# الإسلام

# أنظار وأبحاث

تأليف

## مصطفى الرافعي

دكتور في الحقوق من جامعة باريس

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

كلما امتد عمر الانسان الحضاري ازدادت تبعاته ، واتسعت أمامه ميادين العمل والبناء ، وتشعبت حوله طرق التطوير والارتقاء ؛ فما كان يحمله على عاتقه — وهو في الالف الاول على سني حضارته — ليس شيئاً البتة ، اذا قيس بما يتراكم على عاتقه في النصف الاول من الالف الثاني ؛ من متطلبات الحياة ، ومرافق النماء ، ووسائل العيش ، ومخاطر الوجود .

فخمسمائة عام كفيلة بأن تقلب مفاهيم العقل واساليب المنطق . واسس العلم . فما هو ثابت في اولها يصبح لاغياً في آخرها ؛ وما هو بديهي في بدايتها ينقلب خرافياً في نهايتها ؛ ولا يعوزنا التدليل على ذلك فهو بيّن واضح لكل ذي عينين .

ولست أدري ، هل تكون نتائج الثورة الحضارية الجديدة ، التي تلف العالم من أقصاه الى أقصاه ، في صالح الانسانية ومن اجل رخائها ، أم تكون هي الخطوات التي تنهي بها البشرية دورها ، والسطور الاخيرة التي تختم بها مسرحيتها . فالدلائل

كلها تشير الى ان كل أربع وعشرين ساعة يضيفها الزمن الى عمر المدنية تزيد من انطلاقها في المغامرة ، وشراهتها لتحقيق الفتوح ، وتضاعف في تعشقهـــا لفض المغاليق وتشوفها لحل المبهمات .

ولكن .. هل انتهت ازمة الانسانية ؟

وهل وجد الانسان ضالته المنشودة .. « السعادة » ؟

هل تآصر بنو آدم لتوفير الرخاء والهناء لبني آدم ، أم انهم تآمروا على اقتسام الغنائم ، واستهام الانصبة في الجهات الاربع من هذه الدنيا ؟

لن ارتجل جواباً لهذا التساؤل ؟

ولكنني اذكّر المتفائلين بالتاريخ نفسه .. تاريخ الحروب والايام الحالكة ، والدماء المراقة والمدن المدمرة ، والشعوب المشردة ، والبلاد المقسمة .

اذكّرهم ــ ولعلهم لاينسون ــ بأن فترة السلام كانت دائماً ، فترة قصيرة من عمر الانسانية تتخذها مهلة للاستعداد لحرب جديدة؟وان هذه الفترة لو امتدت طولاً وعرضاً ، لما كان امتدادها ــ ابداً ــ كافياً لتعمير ما هدمته الحروب ، ولتشييد ما قوضته الاسلحة ؟ وابرز دليل على ذلك ان الانسان المتحضر ، عانى في أقل من نصف قرن من الزمن ، حربين عالميتين ، قدم خلالهما مئات الملايين من الاضاحي الغالية ، وحوّل فيهما عامر الارض غامراً ، ودمر امهات المدن .

وفي هاتين الحربين بددت الانسانية المتمدينة ثروتها كلها ــ وتقدر بالبلايين ــ ثمناً للنار والبارود ؛ ومن اجل آلات الموت والافناء ، وفيهما ايضاً جعلت الانسانية عمالها ، وشبانها ، وشاباتها ، واشلاء قتلاها ، جعلت كل ذلك حشواً للمدافـــع ، وطعاماً للهب .

وماذا كانت نتيجة الاحتراب الطويل ؟ ــ وقد عرضت بايجاز صورة أخيرة

منه ــ وهل وجد الانسان نفسه في منجى من العاصفة ؟ .

هذا هو امل الانسان .. الامل الذي يتضاءل وتتهارب اخيلته الحلوة ، امام نذر الحرب التي تحوّم في الاجواء العالمية ، وتهدد بالفناء كل ذي عرق نابض .

لقد قدح المفكرون زناد أدمغتهم ، وابتكروا مخارج عدة للازمة الخانقة ؛ ابتكروها في اثواب نظرية براقة ، يخيل للناظر اليها من بعيد ، انها هي آخر المطاف فيما يتعلق بالتنازع الفكري ، وانهـــا هي الجنة المرتقبة التي يحلم بها البائسون على الارض ؛ وانها هي خشبة الخلاص التي ستنقذ الانسانية المشرفة على الغرق .

ابتكروا : الديموقراطيـــة ، والملكية المقيدة ، والديكتاتورية ، والشيوعية والرأسمالية ، والوجودية ، والبيروقراطية ، والبورجوازية ، الى اخر تلك المذاهب السياسية الحديثة التي يضطرم حولها النقاش ، وتضطرب هي في الحياة ، وتحاول كل منها ان تضم حول نفسها اكبر عدد ممكن من الانصار . واخيراً .. ظهرت الى الوجود نظرية اخرى هي : القومية ، تقاطرت الشعوب على منهلها ، واستقت من مبادئها ، وآمنت بفكرتها ، وتطرف فريق من الناس في فهمها وتطبيقها ، واعتدل فريق آخر وسرت القومية سريان النار في الهشيم في البلاد العربية ، واصبحت عماد النهضة ، ومعقد الامل ، وحور العمل الايجابي والتفكير السياسي .

فاين يقف الاسلام في زحمة هذه المبادىء وضوضائها الكبرى ؟

بل اين تقف هذه المبادىء وتلك النظريات من الاسلام ؟

ان قارىء هذا الكتاب يجد الاجابة على هذه الاسئلة ؟ ويجد ان هذه الاجابة لاتخرج عن السرد المنطقي لتفاعل هـــذه النظريات ، والبيان الصريح لامتدادها حيناً ، وانكماشها حينـــاً آخر ، ووضوحها تارة ، وغموضها تارة اخرى ؛ ولا نتخطى الايضاح المنهجي بقولنا ان هذه النظريات ليست الامحاولات جديرة بالاعتبار والتقدير ، قامت في اطراف الارض ، لاسعاد بني الانسان ، ولكنها للأسف لم تحقق شيئاً من ذلك ! .

ان هذه المحاولات اشبه ما تكون بأدلة متماسكة النسج، قوية التركيب، فصيحة المنطق، غير انها تساق في معرض الدفاع عن متهم محكوم عليه ؟

اننا نرى ان الانسانية تعاني امراضاً خطيرة، قد يكون فيها فناؤها، ولسنا نشك بأن المحاولات النظريه التي برزت خلال النهضة الانسانية الاخيرة، لتفادي الكارثة، أثرت تأثيراً موضعياً، اشبه ما يكون « بالمخدر الطبي » الذي يؤجل الالام ولا يقضي عليها .

ومن خلال ابحاث هذا الكتاب يلاحظ القارى اننا قمنا بجولة في سوق النظريات — ونحن نحمل الاسلام في صميمنا — ورحنا نلاحظ ما يباينه ويجافيه، ونظهر ما يواكبه ويحاريه، ولم نخرج من هذه الجولة بنتيجة محددة، ولا حملنا القارىء حملا على رأي معين، او اعتقاد محدد، بل تركناه يزاملنا في الطريق، ليتحقق في النهاية من ان : ( الاسلام انطلاق لا جمود ) وليكون له في هذه المباحث خير معوان على الهداية والاصابة وحسن التمييز .

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق .

**مصطفى الرافعي**

# الاسلام عبر العصور

● ان الاسلام لم يتغير ولم يتبدل وغم تطاول الايام عليه وتصارع المدنيات حوله ، وليس بينه وبين أي عقيدة اخرى عداوة ولا خصام وهو لا يضمر الحقد لاي دين .

● ومن حسن حظ الاستعمار ان هـــذه البلاد كانت تخضع - في آخر ايامها - لحكم يحمل الاسم الاسلامي وليس فيه شيء من روحه أو مقاصده .

● ان مستقبل الاسلام زاخر كالبحر ، والشعوب الاسلامية تتفاعل في رحابها قوى ناشئة ، وطاقات فتيـة خلاقة . فعليها وعلى الاديان السماوية عامة ان تبدأ جهادها في اعادة البناء .

بين المدنية والدين — على وجه الاطلاق — عداوة مصطنعة وحب مفقود ، تكافلت على ايجاده واختراعه وتطوعت لاذاعته واشاعته ، عوامل شتى ، ودوافع مختلفة ، ما زالت تعمل في هـــذا الشرق المهيض بنشاط عجيب ودأب غريب ، رغم اختلاف مناهجها وتعداد اهدافها . غير انها تبدو لعين المدقق البصير ، والبحاثة

الحكيم ، وفيّة لغرض واحد هو : المقصد الدنيء والنية الشريرة .

ولقد تطوعت بعض القوى في فترات قصية ودانيـــة ، وعصور ماضيـــة وحاضره ، على الايقاع بين الاسلام بالذات وبين المدنية ، واظهار هـــذا الدين الحنيف بمظهر المبدأ المتعنت المستبد ، والذي لا تسري في اوصاله الحياة الا اذا تغذى من دم المدنية المسفوح وثقافتها المبددة

## رسالتنا :

ودراستنا الآن حول الاسلام في أمسه ، وحاضره ليست الا قصة صادقة عن هذه العقيدة عبر فترتين متباينتين من التاريخ ، نهضت في اولاهما نهضة جبارة ، وسكنت في ثانيتهما سكوناً عجيباً . ومن حق الاسلام علينـــا ، ونحن رواده واتباعه ، ان نظهره للملأ عذباً صافياً كما تنزل من السماء وان ندرسه كمبدأ وعقيـــدة ، تقف وجهاً لوجه مع الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية وسواها من مبتكرات العقـــل الانساني وان نلمّ بجوهره وروحه ليتسنى لنـــا من بعد ان ننفي عنه الاوشاب والاعراض ، وان ننزه وجهـــه الكريم من الكلف المفتعل ، وخصوصاً بعد ان استغل هذا الدين اعداؤه ، ونسيه ابناؤه في عصور الجهالة والظلام .

## حقيقتـــان :

وقبل ان انتقـــل الى صلب الموضوع ، احب ان اقرر امرين لا جدال فيهما ولا شك في صدقهما وهما :

اولا ــ ان الاسلام كدين سماوي لم يتغير ولم يتبدل رغم تطاول الايام عليه وتصارع المدنيات حوله . فالقرآن ، كلام الله العلي الاعلى ، مـــا فتىء الينبوع الاول الذي يسقي هـــذه الدوحة الشامخة العملاقة المتـــدة الفروع والاغصان

والاظلال ، وسنة الرسول ما فتئت المشكاة الهادية . امـــا الذين تغيروا وتبدلوا وباعدهم حاضرهم عن امسهم ، اما الذين اضاعوا القرآن وضلوا سواء السبيل ، فهم المسلمون اتباع ذلك الدين الذي كان نظامـــاً وعقيدة ، ففهموه اليوم مجرد شعائر تقليدية ، ومظاهر عادية لا جدوى فيها ولا عطاء .

ثانياً ـ ليس بين الاسلام وبين اي عقيدة اخرى او شعب آخر عداوة تقليدية كما يدعي بعض انصاف المتعلمين ؛ وهو كفكرة ، لا يضمر الحقـــد لاي دين آخر كما يحاو لبعض تجـــار الاديان ان يتخرص ويختلق . وسنعرض لهذه الناحية بالتفصيل الوافي فيما بعد ، والذي يهمنا ذكره الآن هو تعليل الخصام بين الاسلام ، أو على الاصح بين المسلمين وبين سواهم .

## الاسلام بين الشرق والغرب :

لقد ولد الاسلام ، في الشرق ، شأن باقي الاديان السماوية ، ولم يحالفه الحظ ، او على الاصح لم يحالف جنوده التوفيق في غزو الغرب واخضاعه لمنهجهم في الحياة وطريقتهم في العيش .

غير ان هـــذا الوضع لم يكن عائقاً لان تتوطد الصداقة بين الشرق المتدين والغرب المتدين ، وتلك هي اخبار (شارلمان) والرشيد غنية عن الدلالة والترديد .

وتوثقت اواصر الاحترام بين الشرق والغرب ، وشاء سوء الطالع ان يسير كل من الصديقين الودودين في اتجاه مغاير للآخر ، وتعاقبت الاجيال وتغيرت الاحوال حتى كان هـــذا العصر ، فاذا بالغرب قد تخلص من قيود دينه السماوي وتنكر لمفاهيمه ، وتمنطق بالعقل الانساني ، وبالمقدرة البشرية ، وسار اشواطـــاً بعيدة في هذا السبيل . اما الشرق فقد فعل العكس تماماً ومـــا زال يراجع نفسه ويطالع امسه ويقلب تراثه السماوي بين يديه حتى بليت يداه واعتلّ فهمـــه وسقمت حيويته وشلت حركته وغفا ردحاً طويلا من الزمن .

## جرثومة الاستعمار :

ومن هنا ، من وهن هذا وتطلع ذاك ، من خمول هذا وطمع ذاك ، نشأت الجرثومة القاضية التي نخرت جسم البشرية .. نشأ الاستعمار وملأت تلك الفكرة بصورها الخلابة ، من سيطرة وتسلط وثروة وملك ، ادمغة العالم الغربي في العصر الذي يسميه المؤرخون عصر النهضة ... وبرزت الى الوجود صور الخصومة الحادة حيناً والدامية حيناً آخر بين الصديقين القديمين لتخلي كل منهما عن كنزه واقلاع كل منهما عن فكرته

## نظرة على الماضي :

بعد ان قدمنا هذه الايضاحات الاساسية بالنسبة لحقيقة الاسلام ، والهامة بالنسبة لبحثنا ، ينبغي ، لنا كي نستطيع ان ننقل القارىء الى جو الاسلام الصافي وننقل اليه روائع صوره وبدائع اعماله ، ينبغي لنا ان نعود بالزمن القهقرى خمسة عشر قرناً ، الى العصر الجاهلي الاعمى ، الى عصر الضياع الروحي وقلق المصير ، يوم كانت جزيرة العرب تغرق في الجهل والظلام والدم والفتنة ، ويوم كانت الكلمة فيها للسيف الراعف والساعد القوي ، ويوم كانت مصائر الناس ومقاديرهم في قبضة وثنية ساذجة ، ويوم كانوا هم انفسهم عبيداً لاصنام لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً ، اصنام من نحاس بليد جامد ، او من تمر يلتهمه عبّاده اذا جاعوا .

## بداية المعجزة :

في تلك الغمرة من الضلال ، اشرقت في بيت من بيوت قريش طفولة كانت في سجل الزمن صفحة بعث وانطلاق .. فلقد ولد محمد بن عبدالله وولد معه تاريخ

جديد حافل بالاحداث التي قدّر لهـا ان تكون يومـاً مرتكزاً لنهضة جبارة ، وغد مجيد .

وشب اليتيم ليضطلع باعباء الرسالة ويشنّ على الوثنية حرباً لا هوادة فيهـا ولا لين ، ويدعو الى اله واحد لا شريك له ، ويركز في نفوس العرب قيماً جديدة قامت عليها ركائز وثبتهم الكبرى التي حركت ركب الانسانية ودفعته بقوة وعزم الى الطريق السوي والحق المبين .

وقضى محمد وله من العمر ثلاث وستون سنة ، فما هي التركة التي خلفها للبشر من المبادىء والاسس والاصول ؟

## حقوق الانسان :

اما حقوق الانسان فقد كان محمد اول واضع لهذه الحقوق التي ادعتها الثورة الفرنسية فلخصها قادتها بكلمات ثلاث او شعارات ثلاثـة : الحرية والمساواة والاخوة . ثم انبرت اميركا بعد ذلك تزعم لنفسها السبق وتعلن في وثيقة الاستقلال عام ١٧٧٦ انها تعدّ الحقائق التالية من البديهيات :

● خلق الناس جميعاً متساوين . وقد منحهم الخالق حقوقاً خاصة لا تنتزع ، منها : الحياة والحرية والسعي وراء السعادة .

● اما المساواة ومعنـاها ان يكون الناس جميعاً متساوين امـام القانون ، متساوين في الحقوق والواجبات ، فقد اكدهـا محمد بقوله : « الناس سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » و « كلكم لآدم وآدم من تراب » .

ولم يكتف بالقول المجرد بل أتبعه بالعمل الحازم العادل . واجاب صحبه حين

طلبوا منه العفو عن سارقة لشرف أسرتها ومكانتها : « انما أهلك من كان قبلكم. انهم كانوا اذا اذنب الضعيف فيهم عاقبوه ، واذا اذنب الشريف تركوه ، والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

● واما المساواة في القضاء فلم يكن للنبي العربي سوى مجلس قضائي واحد يمثل امامه الناس كلهم دونما تمييز بين رفيع ووضيع ، وغني وفقير .

● واما المساواة في التوظيف فليس ادلّ عليها من هذا الحديث الشريف « من ولى رجلا شيئاً من امور المسلمين وهو يعلم ان فيهم من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين »

● ومثل هذا يقال في الضرائب فانها تجبى من الناس على قدم المساواة فمن كثر ماله كثرت تكاليفه ومن قلّ ماله قلت تكاليفه .

● واما الاخوّة فالنبي العربي هو اول من نادى بالاخوة العقائدية والاخوة الانسانية : « إنما المؤمنون اخوة .. والانسان اخو الانسان أحب ام كره » . وهو اول من آخى بين الانصار والمهاجرين حتى تقاسموا البيوت والاموال ، واول من خص الفقراء والمساكين بحظ موفور من موارد الدولة حتى بات هؤلاء يشعرون بالوجود الصحيح والكرامة الكاملة في امتهم وشعبهم . ولقد تأثر خلفاؤه من بعده بهذا السلوك الانساني الرفيع ، فاعطوا الاماثيل في التغاضي ، وما ونوا عن الجهاد لتحطيم الحواجز الطبقية واشاعة المساواة والعدالة بين الناس

● اما الحرية . فقد هيأ لها الاسلام انقى الاجواء ؛ لقد حرم الشرك بكافة صوره وحاربه بكافة اشكاله ، فالله العلي الاعلى هو وحده رب الناس . فمن يعبد غير الله فهو مشرك ، ومن يستعبد غيره فهو ايضاً مشرك ، وفي هذا قضاء على كل انواع العبوديات . لقد حرر الاسلام الناس من الرق اولا ، حرر اجسادهم من سوط السيد وطغيانه ، ثم حرر بعد ذلك افكارهم وعقولهم ، وفي ظلّ هذا

التسامح وقف خليفة قوي الشخصية عبقري الرأي هو عمر بن الخطاب وصاح في وجه اولئك الذين يطمعون في استعباد الناس واذلالهم صيحته التاريخية المشهورة: « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً » .

## الاسلام والعقائد

ان انصع صفحة ترصع تاريخ الاسلام هي الصفحة التي خلّفها بعلاقاته مع الاديان وآثاره في معاملتهم . لقد كان لقاؤه مع المسيحية واليهودية لقاء محبة واحترام : « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن » . وكان شعاره في رسالته : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، كما كان شعاره في دعوته : « لا اكراه في الدين » .

ويحق لنا ان نقول بفخر ان الاسلام كان يحمي حرية المعتقد ، ويحتضن بالذات أهل الذمة

ولم يُسمع عن رسول الله وعن خلفائه من بعده انهم قتلوا نصرانياً لانه لم يسلم، ولم يسمع عنهم انهم عذبوا كتابياً او سجنوه او منعوه من التعبد ، واقامة شعائر دينه ، ولم ينقل عنهم انهم خلال فتوحاتهم الحربية ودعواتهم السلمية ، هدموا كنيسة او قوّضوا بيعة وانما قال التاريخ : ان رسول الله صالح نصارى نجران وكتب لهم عهداً جاء فيه

« ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد على اموالهم وانفسهم وملتهم وبيعتهم وغائبهم وشاهدهم وكل ما تحت ايديهم من قليل او كثير ، لا يغير اسقف من اسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته ولا يحشرون ولا يعشرون ولا يطأ ارضهم جيش » .

## المسلمون واهل الكتاب :

ولقد كان للاسلام مع اخوانه اتباع الاديان السماوية الاخرى قصص يرويها التاريخ باعجاب واكبار وتقدير ، اعجاب بالدين الذي حارب من اجل العدالة وبذل من اجل سيادة الحق ، وتفانى من اجل الكرامة الانسانية ، الدين الذي لم يكن بينه وبين مواطنيه من اتباع الديانات الاخرى ولاء محتوم ولا طاعة مفروضة، بل كان بينه وبينهم احترام متبادل ووفاء عظيم ، تفيض به قلوبهم وتتفاعل به نفوسهم ولقد كان من صور هذا الوفاء ، كما حدثنا البلاذري في فتوح البلدان انه لما جمع هرقل جموعه ، وجيّش جيوشه وسار الى المسلمين ، بعد ان خرجوا من وقعة اليرموك واكاليل الغار على نواصيهم ، وبعد ان كانوا قد استوفوا الخراج من اهل حمص ليدفعوا عنهم اذى الحرب وليغنوهم عناء القتال . قال البلاذري : « رد المسلمون على اهل حمص ما كانوا اخـــذوا منهم من الخراج وقالوا لهم : قد شُغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم ، فقال اهل حمص ، لَولايتكم وعدلكم احبّ الينا مما كنا فيه من الظلم ولندفعنّ جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم » .

وقال البلاذري ايضاً : « ونهض اليهود ــ اليهود انفسهم ــ قائلين : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد . فاغلقوا ابواب المـــدن وحرسرها وكذلك فعل اهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود » .

## راي مؤرخ غربي :

ولنستمع الآن الى مؤرخ آخر ، انه ( آدم متز ) حيث يقول :

« ان بعض الخلفاء كانوا يحضرون مواكب النصارى واعيـــادهم ويأمرون بصيانتها وان الحكومة في حالة انقطاع المطر كانت تأمر بتسيير مواكب يسير فيها

النصارى وعلى رأسهم الاسقف واليهود ومعهم النافخون في الابواق ، وان الاديرة كذلك ازدهرت وتكاثرت » . ولم يقف تسامح المسلمين عند هذا الحد ، فهذا آدم متز يقول مظهراً استغرابه وتعجبه : « من الامور التي نعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الاسلامية فكأن النصارى هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الاسلام » .

## جريمة الاستعمار :

ان ما فتحنا عليه اعيننا من انشقاق وطني وتباعد عاطفي ، وتباين في الغايات والاهداف .. كل هذا صنعته ايدي المستعمرين .. فانهم لم يجدوا حيلة انفذ ولا وسيلة ادهى من ان يلبسوا مسوح المتدينين ، ويعلقوا على صدورهم اوشحة الصالحين ويرسموا على وجوههم براءة القديسين ، وهم — في الواقع — ابعد ما يكونون عن طهارة الدين وترفع رجاله ، ونواياهم ادنى من ان توصف بالغيرة على مصالح الاله ، لانهم يعبدون انفسهم ، ويقدسون مصالحهم ، ويحترمون تجارتهم ، وما الله والدين من بعد ذلك الا وسيلة ناجحة يفتحون بها اسواقاً جديدة ، ويستعبدون بها شعوبا ضعيفة ، ويمتلكون بها بلاداً واسعة غنية .

ولقد كان من حسن حظ الاستعمار في السابق ، ان هذه البلاد خضعت في آخر ايامها لحكم يحمل الاسم الاسلامي وليس فيه شيء من روحه او مقاصده وليس له مثل طريقته او منهجه : وكان المسلمون تائهين في غمرات من العمايـة والجهل والفوضى ، جعلت بلادهم مسرحا عجيباً من التناقضات والمتباينات . فباسم الدين ولصيانة الطوائف ، تقيم هنا دولة من الدول ، وباسم تحضير الناس وتدينهم تقيم دولة هنالك ، ولا تتورع هذه الدولة من ان تحتضن زوراً وبهتاناً طائفة من الناس وتصطنعهم لنفسها ، لتقف في وجه الدولة الاخرى التي تحتضن طائفة اخرى .

ويا ويح الشرق ! لقد لبث فترة طويلة من الزمن تحارب يمينه شماله ، ويقاتل

شقيقه شقيقُه ، ويجد النار مندلعة في داره ، يحترق منها كبده ولا يدري انه هو وقودها ، وان ابناءه هم حطبها ولهيبها ، ولا يدري انه يسير مغمّض العينين الى هاوية ليس لها قرار .

## لا تعصب في الاسلام :

لم اشا التبسط في هذه النقطة الا لأني وعداً قطعته من قبل بأن اظهر انسجام الاسلام في حقيقته مع غيره من العقائد ولأقرر امراً هو ان الاسلام في صفاته بعيد جداً عن التعصب ، وان الجهل او الغرور او الدس الاجنبي او هذا كله مجتمعاً هو الذي أثار في فترات مختلفة من تاريخنا شيئاً من الحقد والريبة وروح العداء بين المسلمين وغير المسلمين .

غير ان الامل يخضوضر الآن في نفوسنا ، ويملؤنا ثقة وايماناً بوحدة الشعوب وتآلفها . وذلك بعد ان برز الوعي الاجتماعي الى الميدان ، وبدت تباشير النهضة العربية على هذا النصف الاخير من هذا القرن ، وظهرت نتائجها الحلوة الباهرة بتحطيم اماني الاستعمار في اكثر من معركة واحدة ، وارتفعت مطارقها لتهوي على رأس الاستعمار نفسه .. وان غداً لناظره قريب .

## الاسلام والمدنية

تلك هي الانتصارات المعنوية التي سجلها الاسلام في بداية عهده حتى اخذ بناؤه يتشامخ ، ورقعته تتسع ، فتراه بعد ان اطمأن الى الوضع الروحي والخلقي وحقق حلم الانسانية بالرخاء والسلام والعدالة ، تفرّغ بعلمائه وفلاسفته وادبائه وصناعته ومفكريه الى العمل المثمر المنتج ، تفرغ كل هؤلاء ليعطوا للانسانية حضارة من ازهى الحضارات ، وليتركوا للناس ميراثاً غنياً بالفوائد حافلاً بجلائل الفتوح .

## الانتصارات العلمية والعملية :

وسنلقي الآن نظرة عجلى على انتصارات الاسلام العمليـــة والعلمية في سائر الميادين والتي تضفي على المجتمع الصفة الحضارية والقيمة المدنية .

لقد تعلم العرب اللاتينية والاسبانـــية ونقلوا عنهما ، حتى اذا اشتدّ عودهم وتمثلوا ما نقلوه ، بدأت شخصيتهم العلميـــة تظهر وتنمو ولم يلبثوا ، كما يقول غوستاف لوبون ، « ان ادركوا ان التجربـــة والترصّد خير من افضل الكتب فانطلقوا من قيود التلمذة لليونان واخذوا يختبرون مسائل العلم ويجربونهـــا » . قال ( دولامير ) ، صاحب تاريخ علم الفلك : « اذا اعددت بين الاغريق راصدَين او ثلاثة ثم نظرت الى العرب ، امكنك ان ترى بينهم عدداً كبيراً من الرصاد » .

واما في الكيمياء فيقول ( غوستاف لوبون ) : « انك لا تجد عالمـــاً يونانياً استند في مباحثه الى التجربة ، مع انك تعدّ مئـــات من علماء العرب الذين قامت مباحثهم الكيماويـــة على التجربة ، فجابر بن حيـــان استاذ لـ ( لافوازيه ) ، ابي الكيمياء الحديثة .

● لقد عرف العرب الرياضيات فاخترعوا الجبر وطبقوه في عـــلم الهندسة ، وبرعوا في الفلك فاقاموا المراصد في دمشق وسمرقند والقاهرة وفارس وطليطـــلة وقرطبة ، وتوصلوا الى نتائج علمية لم يتوصل اليهـــا العلم في اوروبا الا بعد الف سنة ، ونبغ منهم في هـــذا العلم امثال البتّاني وابنـــاء موسى بن شاكر وابو الوفاء البيروني .

● وعرفوا الفيزياء والميكانيك واستغلوا مناجم الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب واتقنوا فن الدباغة وتسقية الفولاذ . وثبت علمياً انهم هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار .

● وفي الوقت الذي كانت فيـــه اوروبا تكتب على الرقوق، وهي الجلود، كان العرب يستعملون الورق وتزدهر في بلادهم مصانعه وينتج عن ذلك نشاط في حركة التدوين والتأليف والنقل يُثري المكتبات العامةوالخاصة ويزوّد الثقافـــة العربية بزاد لا يفنى .

● واقتحم العرب البحر ، فخاضوا عبابـــه ، واذلوا متونـــه باساطيلهم، واستخدموا في الملاحة البوصلة فكانوا بذلك اول من استخدم هـــذا الاختراع الصيني في اسفارهم .

● وبحثوا في الجيولوجيا وتحولات الكرة الارضية واعلن ابن سينا ان هـــذه التحولات انما هي نتيجه تطورات بطيئة تمت بتعاقب العصور ، وجاء علم الارض الحديث يثبت صحة هذه النظرية .

● وبحث علماء العرب في النباتات واستخدموا الكثير منهـــا في اغراض طبية وانشأوا لها الحدائق وزرعوا فيها اندرها واجودها .

● وظهرت مواهبهم غنية خصبة في الطب فأثروا بمؤلفاتهم المكتبة الغربيـــة وظلت هذه المؤلفات مصدراً ومرجعاً تعتمد عليه الجامعات الاوروبية في تدريس هذه المادة ، ونبغ فيهم «امثال الرازي» الذي بحث في الحميات ذات البثور كالحصبة والجدري وامراض الاطفال وعلم التشريح، و«علي بن العباس» الذي كتب في الطب النظري والطب العملي ، والرئيس « ابن سينا » الذي نقلت كتبه الى اكثر لغات العالم وظلت مرجعاً عاماً لاطباء العالم واساساً للمباحث الطبية في جامعات فرنسا وايطاليا طوال ستة قرون ، ولم ينقطع اطباء جامعة (مونبليه) عن شرح نظرياتـــه وتدريس كتبه الا منذ اقل من قرن .

و « ابو القاسم » القرطبي اشهر جراحي العرب الذي اخترع كثيراً من آلات الجراحة ورسمها في كتبه والذي قال فيه العالم الطبيعي الكبير ( هاللر ) : « كانت

كتب ابي القاسم المصدر العام الذي استقى منـــه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر » .

● وعرف العرب علم الوقـــاية وانشأوا المصحات واقاموا المارستانات ، وبرعوا في فن الصيدلة وتحضير العقاقير .

● ولم يهملوا الفنون فازدهرت الموسيقى والغناء في بعض عهودهم ،وترقى فن العمارة وتميز ، بعد ان مرّ بأدوار تقليدية،بطابع خاص ما تزال شواهده قائمة في بلاد المجد المفقود ، في قرطبة واشبيلية والحمراء .

## ما هو سبب الوهن :

هذه هي الدلالات التي يعرفها الناس ويتناقلها الرواة ، وتزدحم بهـــا بطون الكتب وهي خير شاهد على ان الاسلام قد اوجد من العرب ومن معتنقيه جميعـــاً امة تعرف رسالتها وتدرك طبيعتها وتؤدي واجبها .. واجبهـــا الذي ينحصر في كلمة واحدة هي الدعوة الى الله والنهوض بالعلم ؛واني لو افرطت في ايراد الاماثيل واثبات الشواهد لاعياني ذلك واجهدني لان الكتب حافلة باخبار العظمة .. عظمة الخلق الاسلامي ونبله ، فياضة بانبـــاء ذلك الطراز الرفيع من السلوك الاجتماعي والفردي الذي اتاح لدعاة الاسلام ان يسيطروا على معظم العـــالم القديم المعروف آنـــذاك ، وان يجعلهم في نظر الشعوب المغلوبة على امرها هـــداة لا فاتحين ، ومهذبين لا منكلين .

ما الذي اوهن اذن هذه الدعوة ؟

من الذي جعل المسلمين في آخر الركب الحضاري ، واطمع كل ذي نزوة او رغبة بهم ؟

هل فقد الاسلام حيويته ، ام ان المسلمين هم الذين فقدوا اخلاصهم ؟

## اخبار الانحطاط :

من حق القارىء علينا ، ان نروي له اخبار الانحطاط في المسلمين كما روينا اخبار البعث وذلك لكي تترابط حلقات البحث وتستكمل دراسته .

لقد بدأ البناء الاسلامي ينهار من اللبنة الاولى ، من لبنة الايمان التي سوّاها نبي الاسلام محمد ﷺ ، فالفكرة الاولى محصورة بالمسلمين دون سواهم ، وهي في العرف العقائدي الطريقة التي رآها الاسلام مثلى في تنظيم علاقات البشرية افراداً وجماعات بربهم واخلاصهم له .

والفكرة الثانية ، هي الجهر بهذه العقيدة بعد فهمها روحاً ومعنى ، وتطبيقها بالحسنى ، دون انتقاص من حق شريعة من الشرائع او مجافاة لعقيدة من العقائد او اكراه زيد او عمرو من الناس .

## صور قاتمة :

غير ان المسلمين بعد عصر الراشدين مباشرة بدأوا في تحوير هذه المبادىء وتسخير بعض العواطف ، وهكذا تابعوا السير ينقضون في كل عصر فكرة ، ويزلزلون في كل حقبة عقيدة ويبدلون في كل فترة رأياً ... حتى كان عصر الانحطاط وانصرف الناس عن الدين كعقائد مقرونة بالاعمال ، وروحانية مقرونة بالبحث النظري والوعي العلمي ، وتمسكوا به ( اي بدينهم )كالفاظ واردة وتقاليد جامدة ، وتعصب فريق منهم تعصباً اعمى لهذه التقاليد ببلاهة وجمود لا يصدقها العقل ، واولع فريق آخر بالجدل العقيم والمناظرات الفارغة ، وحمي وطيس الآراء والمذاهب فيهم ، وبالرغم من ان اصحاب المذاهب من الاولياء الصالحين فان اتباعهم في خراسان ( في آخر الدولة العباسية ) كانوا يتطاحنون ،

ويتذابحون وتنهر بينهم الدماء ، ولقد روي ان اهل قرية منهم من الشوافعة قد افنوا اهل قرية اخرى عن بكرة ابيهم ، لا لانهم من عبدة الاوثان بل لانهم من الاحناف . كما روي عن فريق من هؤلاء الاحناف اقوال لاذعة بالنسبة لاخوانهم الشوافعة ، منها « ان من ارتحل الى مذهب الشافعي يعزّر » .

ولقد كان طبيعياً والحالة هـــذه ان تنتقل السلطة والرياسة الى غير العرب من الفرس والمماليـــك والاتراك ، وذلك بعـــد ان انغمس اولئك في بحر من الترف والنعيم وتاهوا في خضم من المتع واللذات ؛ تحمر لذكراها وجنة التاريخ أسى وتدمع لها عينه لوعة .

وكان طبيعياً ايضاً ان تنحط الحياة الفكرية انحطاطاً لا مثيل له في تاريخ الامم وان تهمل العلوم العالية والمعارف الكونية وان يهدر الوقت ويضيع الجهد ــ ان كان هناك جهد في فلسفات نظرية عقيمة ودراسات بيزنطية فارغة ــ وان تعمل كل هذه المعاول في تهديم كيان المدنية التي زهت في بغداد وازدهرت في دمشق وان تكون نهباً مقسماً ومغنماً يسيراً لكل طامع قوي .

## درس في ملك رخج :

قال رتبيل ، ملك رخج وسجستان ، لرسل يزيد بن عبد الملك ، وقد جاؤوا اليه يطالبونه بالخراج ؛ وهو اول مظهر من مظاهر قوة الدولة وسلطانها ، قال لهم : ما فعل قوم كانوا يأتون خماص البطون سود الوجوه من الصلاة ، نعالهم خوص ؟ فقالوا له : انقرضوا ، قال : اولئك اوفى منكم عهداً واشد بأساً وان كنتم احسن منهم وجوهاً ، ثم منع الخراج عن امراء المسلمين وخلفائهم .

## عصور مظلمة :

ومرت بعد ذلك على المسلمين عصور كالحـــة السواد ، شديدة الظلمة ، اذا

تتبع اخبارهم الدارس فانه لا يصدق انهم احفـــاد اولئك الميامين الذين سبق ذكرهم ، ويتردد في ان ينسبهم الى تلك السلسلة من الابطال امثـــال : ابي عبيدة وخالد وعمر وطارق وصلاح الدين .

لقد محت جحافـــل التتار والمغول معالم العظمة وسيماء البطولة والفداء في تلك الامة ، وكأنهم قد استبدلوا الجبن بالاقدام ، والوهن بالشجاعة ، والذل بالاباء ، والخوف بالشمم .

## الهوان العجيب :

روى لنا ابن الاثير حادثـــة أليمة علّق عليها بقوله : « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فانا اقدم اليها رجلا واؤخر اخرى ، فمن الذي يسهل عليه ان يكتب نعي المسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك ؟ ولو قال قائل ان اهـــل العالم منذ خلق الله آدم لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها .. »

اما هذه الحادثة فهي ان احد التتر اخذ رجلا ولم يجد ما يقتله به ؛ فقال له ضع رأسك على هذا الحجر ولا تبرح ، فوضع راسه وبقي الى ان اتى التتري بسيف وقتله !!

## المرأة الجبارة :

وحـــادثة اخرى وهي ان امرأة ( اجـــل امرأة ) من التتار دخلت داراً وقتلت جماعة من اهلها وهم يظنونها رجلا ... ويقول ابن الاثير : وامثال ذلك كثيرة ويكفي ان نعلم ان الناس كانوا يتناقلون فيما بينهم ان من حدثك ان التتر انهزموا فلا تصدقه !

## عصر الدولة العثمانية :

سأقف عند هذا الحد من عرض الصور عن انحطاط المسلمين وذلك لان الجميع يعرفون مـــاذا حدث بعد ذلك . يعرفون ان النكبات توالت وان الغرب فتـــح عينه على الشرق او على الاصح فتح فاه .

ويعرفون ان الدولة العثمانية قد أرخت جناحها المظلم على بلاد المسلمين ، وبدأ في نهاية حكمها عهد اسود من المظالم والويلات والطغيان ، ويعرفون كيف الحّ الهزال على الرجل المريض ، وكيف طمع الغرب في تركته الضخمـــة حتى اذا كانت الحرب الكبرى اغتنمهـــا الذئب المتربص فرصة للانقضاض على هذه التركة ، ويعرفون كيف استأثرت بالميراث اقوى دول اوروبة ( انكلترا وفرنسا ، والى جانبها ايطاليا ) ، ويعرفون كيف مدت هذه الدول الثلاث سلطانها تحت اسماء مختلفة من احتلال واستعمار وانتداب ووصاية .

## حاضر الاسلام :

بعد هذا العرض المفصل نرى ان الامة الاسلامية ــ كطائفة ذات عقيدة واسلوب خاص في الحياة ــ قد خضعت ، شأن بقية الامم والشعوب ، للقاعدة الاجتماعية التي تجعل تاريخ الامـــة مهما امتدت اصوله ومهما تعاظمت فروعه ، يتبع منهجاً واحداً هو : الطفولة والشباب والشيخوخة .. ثم الانبعاث ...

وامنيتي ان اكون قد وفقت في تصوير الاطوار الثلاثة الاولى لحياة المسلمين . واستخراج الحكمـــة من مكنونات احداثها لما في ذلك من علاقة وطيدة بعقيدتهم ودينهم .

بقي الآن ان نتطلع الى الحاضر .. وان نتشوف المستقبل .

ان حاضر الاسلام زاخر كالبحر الخضم تصطخب على اديمه امواج موّارة وان

الشعوب الاسلامية اليوم تتفاعل في رحابها قوى ناشئة، وتتعاظم في ارجائها طاقات فتية خلاقة، صلب عودها واشتد ساعدها، نفضت عن اثوابها غبار الماضي وعن اعينها نعاس الظلام بعد ان امتدت اصابع النور من فجر النهضة توقظ فيها كوامن الحيوية وبواعث الانعتاق ، في هذه الفورة التي يلحظها المعنيون بدقائق الامور في الشرق والغرب، لا بد لنا ان نقرر ان حركة الاسلام — ان صح التعبير — في القرن العشرين غير حركته في القرن الثامن ، فقد انتفت بينه وبين الدنيا فوارق الزمن وحواجز التقاليد .

ولم يعد امامه منفسح من الوقت او من المكان يهتم فيه بالدعوة الى الله .. كما كان يفعل في حقبة شبابه لان كلمة ( الله ) سبحانه وتعالى فقدت سحرها ولم يعد لها اثر في ادمغة البشر ، ولان فريقاً منهم اصبح ينظر الى نفسه ويقول اين الاله ؟ ولان المسلمين انفسهم لهم من دنياهم ما يشغلهم عن آخرتهم ولهم من ذاتهم ما يغلّ ايديهم عن اهدافهم

غير ان هذه الاوضاع ، بتعقيدها وصعوبتها ، وهمومها واحزانها ، وكفرها والحادها ، لا تعني ان الاسلام فقد مكانه في الوجود .. وفقد عمله في الخلق .

## انقاذ وقيادة :

لا ، ان الاسلام ما دام حيا نابضاً في جوانح رجاله ليحمل امانته العظمى ورسالته الكبرى ، التي ظل يحملها في اطوار حياته الناهضة والجامدة ، السعيدة والبائسة ، هذه الامانة هي انقاذ الانسان من حيوانيته ، والسمو به الى روحانية مترفعة ، هي قيادة الناس نحو احترام ذاتهم لا بانكار الاله ورفض هيمنته بل بمعرفة الانسان وادراك واجبه رطبيعته ، فان كل ما نشاهده من تمكن الحقد بين البشر ، واستحكام البغضاء فيهم ، حتى لا تر فترة على الارض دون ان يختضب اديمها

بالدماء ، وتلفها عباءة كالحة من النار والبارود والدمار ، ان كل هذا يدل على ان الانسانية بحاجة الى الاسلام والى كل دين سماوي آخر .

## الصراع المقدس :

ان الصراع القادم ليس بين الاسلام وبين التيارات المادية والنزعات الالحادية فحسب ؛ انه سيكون صراعاً مرّاً بين قوى الخير وقوى الشر ، بين الروحانية بوداعتها وثقتها ، والمادية بجبروتها وجحودها ، ولن تقتصر نتائج هذا الصراع على مبدأ بعينه او عقيدة بذاتها فتحكم عليها بالفشل او تنعتها بالجمود ..

لا .. فان الالحاد ميكانيكي الطريقة ، حديث التفكير ، شديد البطش ، وهو لن يتيح لانفاس الروحانية ان تتردد في صدور المجتمع ، ولن يترك لحيوية التدين ان يسري مفعولها في اوصال الناس .. اذ لا حياة للالحاد مع فكرة الله اصلاً ، لانه يعتبرها وهماً نسجه عقل الانسان وخياله في حالة من حالات الضعف والوهن .

## اننا متفائلون :

وقد يتساءل البعض عن روح التفاؤل العجيب الذي ابديناه في صدر هذه الناحية من البحث وقرونا فيه امكانية الانبعاث من جديد والجهاد من جديد لخلق مجتمع حر متدين ؟

ان الذي املى علينا التفاؤل ، هو فعالية الاسلام وتطوره ، وعدم مجافاته لوسائل البحث العلمي ، والاستدلال العقلي ، والطريقة المنطقية في الكشف عن معميات العقل الانساني ومجهولاته . والاسلام هو الدين الذي لا يقبل ايمان اتباعه بمبادئه ايماناً تقليدياً جافاً ، ولا يرضى ان يكون معتنقوه يحملونه اسماً لا حقيقة ، ونقلاً لا يقيناً . ومن مبادىء القرآن الكريم : « فاعلم انه لا اله الا الله » وهو حين لا

يقبل من ابنائه الا علماً راسخاً على قواعد المنطق بالوحدانية ، يدعوهم بالتالي الى العلم بكل صغيرة وكبيرة حولهم والاحاطة بكل مجهول لديهم ، كما يدعوهم الى البحث في اعماق السماء وما يتلألأ فيها وفي ارجاء الارض وما يدب عليها فيقول لهم : « قل **انظروا ماذا في السموات والارض** » وطبيعي جداً ان النظر المطلوب هنا انما هو النظر العلمي البحت المقرون بالسمو الخلقي .

فالاسلام المتفاعل ، المتطور ، المتسلح بالعلم والمعرفة ، جدير اذن ان يقف وجهاً لوجه مع دعاة المادية ومهرجي الالحاد . وهو بوجهه الصافي واديمه الناصع خليق ان يكشف سوءاتهم حين يقابلونه ، وخليق بان يظهر لهم مواطن الضعف فيهم ، ومواطن الانحلال في طريقتهم .. إذ لا يدحر الظلام الا النور ولا يذهب السواد الا البياض .

## الاسلام والنظريات المادية :

ان تاريخ الدعوات المادية يدلنا على انه كان وليد ازمات خانقة لبعض الطوائف التي تمتهن الاستغلال .. وتطلب اي ربح .. الا الربح الحلال .. ومن منا لا يعلم ان الصهيونية حين فكر علماؤها ان يسيطروا على الغرب ويهيمنوا عليه بنظرياتهم حفظاً لانفسهم من العصبية الروحية التي كانت تسيطر على دول اوروبا ، وضعوا بذور النهضة العلمية المادية البحتة ، وشرعوا بمحاربة العقيدة الروحية محاربة لا هوادة فيها ولا لين سواء بايديهم او بايدي عملائهم او بوسائل الاغراء والتمجيد لكيان الملحدين . وليس ادل على ذلك من تلك المؤلفات التي ظهرت في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر طافحة ببذور الالحاد تدسها في كل ناحية ، مليئة بسموم المادية تنفثها في كل مكان . على ان القرن العشرين ما كاد يطل حتى اصبحت النظرية المادية تسيطر على العالم من كل جانب ، وحتى امتدت اصابعها الى اوساط التشريع ، ودست انفها في المذاهب الفلسفية الحديثة فسمعنا بـ(ماركس)

و ( انجلز ) وسواهما كما سمعنا بالشيوعية والفاشية والنازية وغيرهـــا من المذاهب الاشتراكية والتي سيطرت على الجامعات وكافة الاوساط العلميـــة واستطاعت ان تخضع لمنطقها بعض الاوساط الدينية .. وحين اشتدت الصلة بين الشرق والغرب واخذ طلابنا يتوافدون للدراسة ليستطيعوا ان يتبينوا تلك النوايا الخفية التي دسها علماء المادة في الغرب في معطيات الفكر فنقلوها الى الشرق بقضها وقضيضها وخيرها وشرها ، نقلوهـــا وهم يتيهون فخراً بالمظاهر الجديدة والافكار الجديدة .. وظنوا انهم باذاعتهم اياها انمـــا يدللون على مبلغ علمهم وسعة ثقافتهم .. وفاتهم ان الافكار التي بهرتهم جدتها ، وخلبتهم جرأتها، وسحرهم اسم مبتكرها ، واعماهم حب التقليد عن التبصر والتفكير ، اجل فاتهم ان هذه الافكار ليس فيها من الجديد الا اسمها .. أما نتائجها .. وما تضمنه للمجتمع من الرخاء والسعادة .. فأمور سبقها اليهـــا الاسلام وقررها منذ خمسة عشر قرناً تقريباً .

فقبل ان يكون ماركس وانجلز وسواهما من فلاسفة الاشتراكية كان الاسلام اباً للاشتراكية ، وكان محمد بن عبد الله امامها الاول .

الاشتراكيون انت امامهم ... لولا دعاوى القوم والغلواء

ولو ان انساناً تخيّر مـــلة ... ما اختار الا دينك الفقراء

داويت متئداً وداووا طفرة ... واخفّ من بعض الدواء الداء

فالضمانات الاقتصادية التي جاء بها الاسلام ، وبوسعها ان تغـــني المجتمع عن المبادىء الاشتراكية وسواها من المبادىء ، كثيرة اهمها : الزكاة والوقف وقانون الوراثة وتحريم الاسراف والتبذير والفائدة والربا ومبـــدأ المصالح المرسلة ومبدأ شيوع الموارد العـــامة ومبـــدأ تحريم الترف ومبـــدأ تحريم الكنز . وفي هذه الضمانات تظهر الخطـــوط الاشتراكيـــة العمليـــة التي يمكن لنظـــام الاسلام الاقتصادي بها ان يتوضح وان يستقرّ

اما من الناحية الاجتماعية فبوسع الاسلام ايضاً ان يحقق العدالة الاجتماعية وان يهدم حواجز الطبقات وان يقيم اركان المجتمع الفاضل .

## العمال بنظر الاسلام :

ولئن كانت النظم الاجتماعية والاشتراكية منها بوجه خاص تتغنى في عصرنا الحاضر بما حققته للمواطن من ضمانات وللعامل من حماية ، فانظروا الى اي حد يقدّم الاسلام هذه الضمانات والى اي مدى يمجد الطبقة الكادحة ؛ فلقد قال عليه الصلاة والسلام : « ما كسب رجل كسباً اطيب من عمل يده » ؛ وروي انه ذكر للرسول مرة رجل كثير العبادة ولكنه لايعمل فقال رسول الله :« من يقوم به؟» قالوا « اخوه » ، قال النبي عندئذ : « اخوه أعبد منه » ، ثم قال : «ان الله يحب العبد المحترف » ؛ ومرّ النبي يوماً على رجل فرأى اصحاب الرسول من جلد هذا الرجل ونشاطه في الاكتساب والارتزاق ما حملهم على الكلام فيه ؛ قالوا : « يا رسول الله ، لو كان هذا في سبيل الله » فقال الرسول : « ان كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على ابوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه فيعفها فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان » ؛ وورد ان الرسول عليه السلام قبل يداً ورمت من كثرة العمل ثم قال : « تلك يد يحبها الله ورسوله » ؛ كما ورد عنه قوله : « من أمسى كالاً من عمل يده امسى مغفوراً له » ؛

## مثل رمزي :

فأي تمجيد للعمل ، يفوق هذا التمجيد ؟ ألا يوازي هذا على الاقل التكريم الذي تريده الاشتراكية للعمل والعمال اما العامل فقد حماه الاسلام وأوصى بالمحافظة على حقه وحذر من انتقاصه والافتئات عليه ؛ وضرب لذلك مثلا فيه كثير

من البساطة ولكنه رائع التلقين ، فقد حكي ان رجالا آواهم المبيت الى غار فانحدرت صخرة من الجبل فسدته عليهم ، فدعا كل منهم ربه باحسن عمل قدمه في حياته كي ينقذه من ورطته ، فكان الاول براً بوالديه ، والثاني حفيظاً على الاعراض ، وتوجه كلاهما الى الله بصالح عمله فانفرجت الصخرة قليلا عن فم الكهف ، غير ان ذلك لم يمكنهم من الخروج حتى قال الثالث : « اللهم اني استأجرت اجراء واعطيتهم اجرهم غير رجل واحد ترك الذي له فثمّرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال لي : يا عبد الله أدّ لي اجري ، فقلت له : كل ما ترى من الابل والبقر والغنم فهو من اجرك ، فقال : ياعبدالله لا تستهزىء بي ، فقلت : اني لا استهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه امامه فلم يترك منه شيئا . ثم قال : اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون » .

هذه القصة الرمزية درس رائع في تقديس حق العامل ، فانت في نظر الاسلام حين تبرّ العامل فكأنك تبرّ والديك وتحمي عرضك ، وانت في نظر الاسلام حين تحفظ للعامل حقه تؤدي لله عبادة ، عبادة ليس السجود والركوع قوامها ، ولا الذكر والاوراد ، وانما قوامها صيانة الحقوق والعمل بروح الدين واتباع اوامره الله .

## الضمان الاجتماعي :

ثم ما هو موقف الاسلام من الضمان الاجتماعي الذي يشكل ركيزة من ركائز الاشتراكية الحديثة ؟ والى القارىء بعض الامثلة الاسلامية في هذا السبيل : سيق الى عمر بن الخطاب في عام الرمادة ، وهو عام مجاعة ، اعرابي اتهم بالسرقة . ولما سئل الاعرابي عن التهمة اعترف ان الدافع الذي دفعه اليها قاهر غلاب ، فهو فقير يعيش من عرق جبينه وجني يديه ، وعبثاً حاول ايجاد عمل لنفسه يقيه واطفاله شر

الجوع فلم يفلح . فمـــال ابن الخطاب على الصحابة يسألهم رأيهم ، فاجمعوا على تطبيق الحد بحقه ، ولكن عمر ، وهو عبقرية تشريعية خالدة ، ادرك بثاقب بصره الصلة الوثيقة بين الحاجة الملحة والجريمة ، وانتبه الى وظيفة الدولة الاساسية ووجوب تأمينها العمل للجميع واعتبر اغفالها لمثل هذا الاعرابي الفقير تقصيراً في القيـــام بواجباتها والتزاماتها نحو كل مواطن فالتفت الى الاعرابي وفي عينيه دمعة اكبر من السماح وانبل، وقال له : اذهب يا اخا العرب ولا تعد لمثلها . ثم التفت الى اصحابه وقال لهم : اجروا عليه من بيت المال الى ان يجد عملا .

ولن اسرد للقارىء قصة هذا الخليفة العظيم مع الارملة العجوز ، فكل قارىء يعرفها ويعرف دلالتها الاجتماعية ، كما يعرف بلا شك قصته مع ذلك الشيـــخ الذمي الذي رآه يتسول عند باب المسجد فتقدم اليه معتذراً وقال له : ما انصفناك! اخذنا منك الجزية شاباً وضيعناك شيخاً . ثم امر بان يرتب له من بيت المال مـــا يكفيه في شيخوخته ويجنبه ذلّ السؤال .

من هذه الامثلة ، يتضح لنا ان الاسلام يعرف انواع الضمان التي شاعت في النظم الحديثة كضمان المرض والعجز وضمان البطالة .

اما الاسلام السياسي فانه يعطي العالم كله امثيل رائعة في النبل والتسامـــي والاخوة والمساواة والدفاع عن الحريات وحب السلام والديمقراطية الصحيحة .

## كيف تتم عملية الانبعاث :

السؤال الآن : ما العمل ؟ كيف تكون خطة الانبعاث ومنهاجها ؟ وما هو الواجب الملقى على عاتق الاسلام كدين سماوي ليحفظ القيم الانسانية ويصونهـــا من عبث العابثين ومكر الماكرين؟ ومن هو الذي يحمل القدر الاعظم من مسؤولية هذه الرسالة الكبرى ؟

ان الاصابع كلها تشير الى ان المتهم هو الدولة والفرد . وهذان المتهمان يحملان مسؤولية الضياع وعليهما تتوقف نتيجة الانبعاث .

اما الدولة او المجتمع فعليها ان تحقق العدالة بمفهومها المطلق ، وان تطبق الحق وان تنهج نهجاً سلمياً بنّاءً ... وهذه المبادىء وحدها اذا كانت محمية باسم الدولة كفيلة بان تضبط المجتمع فلا يتحلل ولا يتدنى ولا يتباغض ولا يتباين ولا تأخذه الافتراآت او الاكاذيب ، ولا تؤثر فيه بسهولة ويسر دعوات الهدم المغلف بالغيرة على البائسين والكادحين والفقراء ، ولا تؤثر فيه افتراآت الحرية الفكرية والانطلاق العقلي الذي ليس وراءه الا نسف اليقين بالخير والثواب ؛ وتدمير الايمان بالحق والفضيلة ... هذا هو واجب الدولة .

## واجب المعبد والمعهد والبيت :

اما واجب الفرد ومسؤوليته الكبرى في الانبعاث فهي عملية وذاتية .

ومسؤوليته العملية تقوم على ثلاث دعائم : المعبد والمعهد والبيت ، لان المعبد ، ان خلص عمله وتنزهت رسالته ، وادى فريضة الفكر كاملة غير منقوصة ، واستغنى عن شوائب القرون الوسطى وقشور عصور الظلام وتقاليد الجهل والسطحية .

والمعهد ، ان رسمت اهدافه ، وخططت مناهجه ، ورتبت علومه ، وهذبت فصوله .

والبيت ، ان ارسيت دعائمه ، واقيمت عمده ، وكان فيه الوالد الصالح والوالدة الفاضلة .

كل هذه الشروط ، لو تيسر تحقيقها ولو وجد الاسلام المصفى طريقه اليها ،

وقيض لها التفاعل مع اسسه ومبادئه ؛ لو كان ذلك لضمت ارضنا أليق الناس بحمل رسالة السماء الى الارض واحفظهم لها واشدهم تفانياً في صيانتها وتقديسهـــا .

بقي ان نتكلم عن مسؤولية الفرد الذاتية والتي تنحصر في شعور كل منا بانه قيّم على معانٍ نبيلة واهداف نبيلة واهداف سامية ، وانه جندي من جنود الخالق ، وليس الشعور فقط بل العمل الجدي المثمر في احقـــاق الحق والامر بالمعروف ، ولقد كان القرآن الكريم صريحاً في هذه الناحية فاوصى المؤمنين جميعاً ان يكونوا امة من جنود الحق فقال : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » .

## المشكاة الواحدة :

هذه هي صفحة المستقبل ان اردنا مستقبلا زاهراً يتيـــه على الماضي المجيد ، وذلك هو واجب الاسلام ... كما انه واجب كل الاديان السماوية وعلى الاخص المسيحية ، فان الحق والفضيلة لا يتبدلان ولو تبـــدلت زاوية النظر اليهما . وان الوقت الذي تفرق فيه الاديان بين ابنائها قد مضى الى غير رجعة واصبح اجهل الناس يعلم ان الاديان السماوية انما انبثقت من مشكاة واحدة فجميعها من السماء وكلها من وحي الله ، ووحي الله لا يتغير ولا يتبدل .

انه ما جاء دين بعد دين الا ليزيد في هيكل الهداية الربانية ركناً من الاركان او يضيف الى قانونه الازلي مادة من المواد ، او يخصص عاماً او يعمم خاصاً ، او يجدد دارساً او يوضح مبهماً ، او لينسخ حكماً قد انتهى اجله ولم يعد صالحاً للحياة . يقول السيد المسيح : « لا تظنوا اني اتيت لاحل الناموس والانبياء اني لم آت لاحلّ لكن لاكمل »، ويقول محمد رسول الله ﷺ : «الانبياء اخوة ابوهم واحد والامهات مختلفات »، ويقول الله تعالى عن القرآن الكريم : « انه مصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل » ، ويقول : « قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما أنزل الى ابراهيم

واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى ، وما اوتي النبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم » .

## متى ؟

ان محنة الانسانية كبرى . وعلى الاديان السماوية عامة ان تبدأ جهادها : وعلى الاسلام خاصة ان يباشر في اعادة البناء ، بناء الطود الذي ما زال يراود اخيلتنا ، ويداعب ظله امانينا ، وتلك هي الخطوة الاولى نحو السعادة التي تنشدها الدول ، والسلام الذى تحار في ايجاده ، واللبنة الاولى التي يتسامى بعدها هيكل شامخ ، من المحبة الانسانية والتفاهم البشري والسعادة العالمية .

« ويقولون متى هو ؟ قل عسى ان يكون قريباً » .

obeikandl.com

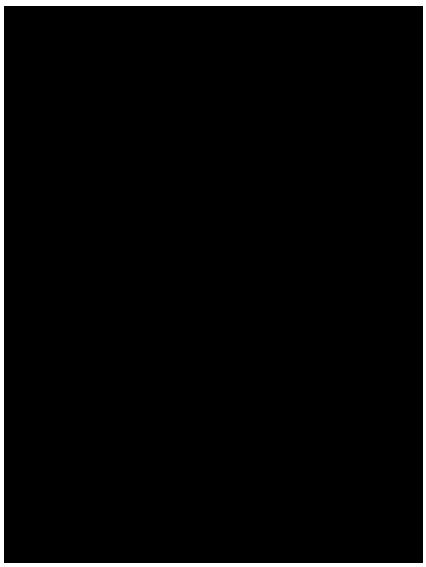

# الحريات العامة في الإسلام

● إن أول حرية نادى بها الاسلام هي حرية الانسان الشخصية ، على هذا الاساس منح الاسلام العبيد حرياتهم ، فاوجد للسيد حدوداً لا يتعداها في معاملته لرقيقه .

● حطم الاسلام اغلال الانسان وانبرى يعطيه حرياته ويدافع له عنها بعزم وبسالة .

● إن الجهل والغرور والدس الاجنبي ، هو الذي اثار الحقد والريبة ، في فترات من الزمن ، بين المسلمين والمسيحيين . والتاريخ جدير بان يعطينا العبرة والموعظة في هذا السبيل .

جاء الاسلام في عصر كانت البشرية فيه تتردى في مهاوي الجهل والتأخر ، وتقاسي اشد المحن ؛ وكانت المجتمعات القبلية لا تعرف معنى للحريـــة بمفاهيمها الحديثة اللهم الا حرية الغزو والقتل والسبي؛ فأراد الاسلام ان ينظم حياة الفرد لانه كان يعلم انه متى نظّم الفرد استطاعت الأمة ان تقيم دولة وان تعطي حضارة وان تدفع ركب الانسانية الى الامام .

وأول مشكلة مزمنة من مشاكل العبودية جابهها الاسلام ورأى انها توقف التطور الاجتماعي وتحول دون رقي المجتمعات هي مشكلة الرق .

فالانسان : هذه الثروة البشرية الكثيرة الطاقات المتنوعة النشاطات يجب ان يرتفع عن مستوى السلعة ، السلعة التافهة التي تباع وتشرى فتنحط ثمناً وتسمو ؛ بقدر ما تقدم للمشتري من منافع .

والانسان: هذا المخلوق الراقي المهيأ للسيطرة على قوى الطبيعة وتسخيرها خير له يجب ان يتحرر من قيوده ، ويجب ان تتحرر ارادته ويتحرر جسده ، ولكن كيف يستطيع الاسلام ان يعالج مرضاً اجتماعياً مزمناً ينهش سمعة الانسان منذ آلاف الاجيال ؟ كيف يستطيع ان يهيىء الجو لتحرير الرقيق واعادته انساناً سوياً له ما للاحرار من حقوق وعليه ما على الاحرار من واجبات ؟

لقد سلك الاسلام لتحقيق هذه الغاية وبلوغ ذلك الهدف طريق التطور الهادىء الفاعل لا طريق الطفرة الهادمة المنفّرة ، فهو لا يستطيع ان يلغي الرق لأول وهلة الغاء تاماً ، ولكنه يستطيع ان يرفع المستوى الاجتماعي للامة حتى اذا بلغت مرحلة من السمو النفسي ، انهار نظام الرق من تلقاء نفسه ، وتصدعت اركانه وقضي تماماً عليه .

اذن فأول حرية نادى بها الاسلام هي حرية الانسان الشخصية ؛ لقد اوصى بالرقيق خيراً وحرم استرقاق المؤمن ومنح الرقيق حق الحياة بعد ان كان يحق للسيد ان يقتل عبده متى شاء ، وجعل عقوبة قاتل العبد القتل لان المسلمين كما ورد في الحديث الشريف ( تتكافأ دماؤهم ) ( ومن قتل عبداً قتلناه ) .

وشدد الاسلام على المساواة ، فقال عز وجل في كتابه الكريم : ( انما المؤمنون اخوة ) ؛ وأكد الرسول هذه المساواة فقال عليه الصلاة والسلام : ( الخلق كلهم عيال الله ) ( والناس سواسية كأسنان المشط ) ( ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ) الى آخر ما هنالك من آيات وأحاديث غايتها ان تركز في الذهن الانساني ان الناس من طينة واحدة ، وانهم جميعهم لآدم ، وان آدم من تراب ، وانهم لا يتفاضلون الا بالعمل وان الله لم يخلق عباده فئتين : فئة من العبيد ؛ وفئة من الاحرار وانما خلقهم جميعاً احراراً كما اعلن ذلك عمر بن الخطاب بكلمته المشهورة يوم قال : ( متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟ )

ثم منح الاسلام الرقيق الحصانة الجسدية فمنع ضرب العبد وتشويهه . ومنحه الحصانة العائلية فمنع السيد من التفريق بين العبد وزوجته .

ولم يكتف الاسلام بذلك بل تعداه الى ابعد من هذا فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يشتري العبيد ليعتقهم وكان يساعد العبيد المملوكين لغيره على شراء انفسهم وذلك ليضرب للمسلمين مثلا حسناً يحتذونه ويقتدون به وكان فوق ذلك يرغبهم بالعتق ويذكر لهم عظيم ثوابه ، فاذا مرض لاحدهم مريض او حل به بلاء او تطيّر من امر أمره بالعتق ، وكان يقول : ( ايما رجل اعتق امرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً من النار ) ، وكان يقول ايضاً ( ايما رجل كانت له جارية فأدبها فاحسن تأديبها ثم اعتقها وتزوجها كان له اجران ) .

ولم يقف الاسلام عند هذا الحد ؛ حد الترغيب في العتق ، وانما استوجبه في حالات معينة فهو كفارة عن القتل الخطأ وعن الظهار واليمين واوجب في موارد الزكاة سهماً مخصوصاً يرصد لتحرير العبيد .

وحاول الاسلام فوق ذلك ان يقوى الروح المعنوية عند الارقاء فنهى الرسول ﷺ عن مخاطبتهم ( بعبد وأمة ) واوصى بمعاملتهم معاملة كريمة ثم قال ( ان اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه

مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فاعينوهم ).

وقد اثرت وصايا الرسول وتعاليمه في اصحابه وفي جمهور المسلمين فكثر العتق واستقامت معاملة الرقيق ورأينا عمر بن الخطاب، وهو من هو، يتناوب ركوب البعير هو وغلامه حتى وصل بيت المقدس وكانت النوبة للغلام فدخلها خليفة المسلمين راجلاً ودخلها الغلام راكباً .

## رأي مستشرق في الرق :

لا نحسب ان نظاماً اجتماعياً سبق الاسلام او جاء بعده الى ان الغي الرق رسمياً استطاع ان يحمي الرقيق وان ينتزع له حقوقه كانسان وان يكفل له المساواة مع الاحرار الا الدين الاسلامي وانه ليروق لنا بهذه المناسبة ان نذكر هنا كلمة منصفة للمستشرق «سنوك» قال فيها ( ان انتقال الارقاء الى ايدي المسلمين يعد من نعم الله عليهم ؛ والاوروبيون الذين يتصورون الارقاء في الاسلام كارقاء الزنوج في اميركا مخطئون جداً ، فارقاء الاسلام يشبهون العمال الاوروبيين واكثرهم يستردون حريتهم بعد زمن قصير من دخولهم في ملك اسيادهم؛ ولعل الجارية التي اصبحت زوجاً لمسلم واماً لاولاده، والرقيق المتوحش الذي تهذب وتعلم ، وظهرت انسانيته في حجر الاسلام اكبر حجة على عدل المسلمين . ) ثم استطرد المستشرق يقول : ( ان الغاء الرق الذي امر به الانكليز عمل انساني لا شك فيه ولكنه لا يفيد اولئك الافريقيين الذين يعيشون في ادغالهم انكد عيش ويسامون اسوأ خطة ولو استرقهم المسلمون لنقلوهم من جحيم لا يطاق الى دنيا يغمرها النور وتسودها الفضيلة ) .

## التحرير لم يتم فعلا :

لقد مضى على ظهور الاسلام اكثر من ثلاثة عشر قرناً واتيح للانسانية خلال

هذا الزمن الطويل ان تتطور وتتدرج في معارج الرقي والحضارة وقدّر لهاان تحقق حلماً من احلامها بالغاء الرق وكان ذلك في اواخر القرن التاسع عشر حين اجتمع في برلين عام ١٨٨٥ عـــدد كبير من الدول وابرموا معاهدة تعهدت فيها الدول الموقعة عليها بمنع تجارة الرقيق في العالم ولكن نظام الرق الذي الغي رسمياً ؛ هذا النظام الجائر القذر ما زال مع الاسف قائما.انه ما زال يعيش في عصرنا هذا عصر الذرة بوجهيه المخزيين: الرق الجسدي والرق المعنوي : ففي افريقياالسوداء مازال الانسان يباع ويشرى ؛ وفي الامم الضعيفة المستضعفة ما فتيء الانسان عبداً للقوي يستغله ويحرمه حقوق الحياة وينتزع من بين يديه ثروة بلاده وخيرات ارضه ، فاذا ثار من اجل حريته او طالب بهذه الحريـــة سلّط عليه القوي الغادرالحديدوالنار وزبانيةالتخريبوالدمار ،قصد اذلاله وخنق ارادته واستغلال جهده وعطاء بلاده .

## حرية الفكر والعقيدة :

لم يكد الاسلام يطلق سراح الانسان ويحطم اغلاله التى ادمت يديه حتى انبرى يهبه حرياته كلها ويدافع ببسالة عن هذه الحريات كلما هددت . وثانيهذه الحريات التي كانت من عطاء الاسلام هي حرية الفكر والمعتقد .

فالاسلام لا يرفض طرق التفكير الخاصة بل يدعو الى احتكاك الآراء وسعة الاطلاع وتنوع الثقافات ،وهو يعتبر الفكر ارثاً انسانياً مشتركا بين الامم وهذا ما جعل العرب يقتبسون دون ما تحرّج من حضارات الامم السالفـــة والمعاصرة وثقافاتها المتنوعة ما يجدونه صالحاً لبناء مجتمعهم الجديد . واكبر شاهد على حرية الفكر في الاسلام تعدد المذاهب السياسية والفرق الدينيةومدارس الاجتهاد؛ ومبدأ الشورى هذا المبدأ الذي امر به القرآن الكريم ( وامرهم شورى بينهم ) كان ركيزة قوية من ركائز الدولة الاسلامية ومظهراً من مظاهر ديموقراطيتها اذ كان للرأي الاصلح دائماً القدح المعلى والكلمة النافذة .

## لا اكراه في الدين :

اما حرية المعتقد فقد صانها الاسلام الا ما كان منها منافيا لكرامة الانسان وكرامة العقل ؛ ومن اجل ذلك حارب الوثنية حربا لا هوادة فيها ولا لين حتى استطاع ان يهزمها ويقلص عن الجزيرة العربية ظلها لانها تعبير عن جهل الانسان والغاء لعقله . فاية قيمة لعقل يسجد امام صنم لايملك نفعاً ولا ضراً ؟ واية كرامة لانسان يعفّر جبينه على اقدام وثن جامد تبول عليه الثعالب ولا تخشاه ؟ومن اجل ذلك اتاح للنصرانية واليهودية ان تعيشا في ظل دستوره الخالد ( لااكراه في الدين ) هذا الشعار الذهبي الذي حمله محمد عليه السلام ودعا على اساسه اليهود والنصارى الى دينه فان قبلوه دخلوا في الاسلام ، وان رفضوه لم يكرههم على شيء ؛ وانما سألهم ان يعطوا الجزية وهي ثمن حماية المسلمين لهم ودفاعهم عنهم في الحروب . ولعل الرسول العربي الكريم خشي ان يشتط اتباعه فيما بعد وان تسول لهم انفسهم التضييق على معتنقي الاديان الاخرى فنهى اتباعه عن ايذاء الذميين بقوله : ( من آذى ذمياً فقد آذاني ) .

وتتفرع عن حرية المعتقد حرية الممارسة للشعائر الدينية وقد كفل الاسلام هذه ايضاً إذ اباح للنصارى ان يقيموا الكنائس ويظهروا الصلبان ويسيروا بها في المواكب .

وليس أدل من بعد الاسلام عن روح التعصب واعطائه الحرية الكاملة لجميع اصحاب الاديان الاخرى — من قول المستشرق — آدم ميتز : « وقد قلد ديوان جيش المسلمين لرجل نصراني مرتين في اثناء القرن الثالث » والمعلوم : ان القرن الثالث هو العصر الذهبي بالنسبة لانتصار الاسلام .

أفلا يعتبر تساهل المسلمين وافساح المجال لغيرهم كي يتمرس باعباء الحكم والادارة

الا يعتبر ذلك دليلا على ان الاسلام لم يصنف الناس على اساس معتقداتهم وانما على اساس كفاءاتهم .

## لا هوادة مع المتآمرين :

غير ان موقف المسلمين يختلف بالنسبة لليهود لا لليهودية؛ ذلك لان اليهود ناوأوا الاسلام عند نشأته وتآمروا على الرسول وحاربوه في خيبر وتكتلوا ضد دعوته فكان من الطبيعي ان يقف المسلمون منهم موقفاً معادياً رداً على موقفهم الذي تميز بحبك الدسائس والمحاولات الكثيرة للقضاء على الدعوة الجديدة وخنقها في مهدها .

ولعل من ابرز الامثلة على تسامح الاسلام الديني ذلك السلوك العملي الذي سلكه خلفاؤهم وخاصة الخليفة الثاني الذي دخل بيت المقدس وزار كنيسة القيامة ولما حان وقت الصلاة لم يجد مكاناً يؤدي الفريضة فيه الا الفسحة الواقعة امام مدخل الكنيسة؛ وعندما قيل له ما معناه لم لا تصلي داخل الكنيسة والله تعالى يقول : (اينما تولوا فثم وجه الله ) اجاب : انه كان باستطاعته ان يصلي داخل الكنيسة ولكنه خشي ان فعل ان يأتي يوم يطالب فيه المسلمون بالمكان الذي صلى فيه عمر .

## هنات عابرة :

قد يقول قائل ان بعض العصور الاسلامية فرضت على غير المسلمين في بعض البلاد قيوداً تغل حرية المعتقد وتحد منها. وعلى هذا نجيب بأن الاسلام في صفائه بعيد كل البعد عن جميع ما يمس الحرية العقائدية واذا كانت بعض الظروف العابرة ومقتضيات السياسة الرعناء قد اعطت في بعض الاحيان الدليل الحي على ذلك فانه يجب ان لا يغرب عن البال ان الاسلام لا يعني ابداً المسلمين وان بعض التصرفات

الشخصية كانت وليدة اهواء ، الاسلام منها براء، وانا لنذكر بكثير من الاسف ان الجهل والغرور او الدس الاجنبي او هذا كله مجتمعاً اثار شيئا من الحقد والريبة في فترات من الزمن مختلفة بين المسيحيين؛ فما ينبغي لنا ونحن نلمح الى هذه الحقيقة الا ان نلتمس فيها الموعظة والعبرة فان التاريخ بما يعرض علينا من ذكريات الشرور والمآسي لجدير بان يهذبنا كما تهذبنا المفاخر .

ولن ننسى ان نذكّر في هذه المناسبة بموقف ملوك فرنسا في القرن السابع عشر من خصومهم الدينيين. ان مذابح (سانت بارتيلمي) بين الكاثوليك والبروتستانت لم يعرف في تاريخنا الطويل ما يشبهها هولاً . ولقد ذكر الاستاذ «رينو» ان فرنسا عام ١٦٨٥ اصدرت امراً بتحريم الديانة البروتستانتية وهدم كنائسها ونفي رؤسائها . وفي عام ١٧١٥ اعتبرت فرنسا كل زواج لا يعقد على الطريقة الكاثوليكية زواجاً غير شرعي .

فهل يعني كل هذا ان تصرف الملوك والحكام يمكن ان يكون حجة على عدم تسامح المسيحية ؟ وهل يمكن ان نتهم الدين المسيحي على ضوء هذه الوقائع التاريخية ؟. ان المنطق السليم يجيب بملء فيه كلا والف مرة كلا .

## حرية الرأي والقول :

( قل الحق ولو على نفسك ) ذلك ما نادى به محمد بن عبدالله ﷺ منذ اكثر من اربعة عشر قرناً ، وجاء اصحابه من بعده يطبقونه تطبيقا نموذجيا رائعا ، حتى اصبحت حرية الرأي والقول مفخرة من مفاخر الدين الاسلامي ومبدأ اساسياً من المباديء التي ترتكز عليها الدولة الاسلامية الصحيحة ، فهذا ابو بكر الصديق رضي الله عنه يبايَع خليفة للمسلمين بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، فيعتلي المنبر ويخطب الناس قائلا ( لقد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان

اسأت فقوموني ؛ اطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ) .

ألا يعتبر هذا القول البليغ الرائع وهذا الاسلوب في التنبيه والتشجيع على النقد مدرسة لحرية القول قل نظيرها في التاريخ .

## موقف عمري :

وهذا ابن الخطاب يدعو الناس على طريقة سلفه الصديق الى معونته ان احسن والى تقويمه ان اعوج فينهض أعرابي من بين الصفوف ويتصدى للخليفة قائلا : ( والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا ) فينشرح لذلك صدر عمر ويشكر الله الذي اوجد في رعيته من يستطيع تقويم اعوجاجه اذا اعوج .

## موقف آخر :

وهذا ابن الخطاب ايضاً يرتقي المنبر ثانية ويخطب الناس قائلا : ( ايها الناس اسمعوا واطيعوا ، فيقف اعرابي جلف ليقول للخليفة الذي ارتعدت من رهبته فرائص كسرى وزلزلت من هيبته تيجان القياصرة ، يقف ليقول له بكل تحد وجرأة : لا سمعاً ولا طاعة يا عمر ؛ ويبتسم الخليفة العظيم ، فان وراء جرأة الاعرابي تهمة بلا ريب ، فليمط الاعرابي اللثام عنها وليقلها بصراحة ، ويسأله عمر : ولِمَ يا أخا العرب ؟

ويتهم الاعرابي خليفة المسلمين ، يتهمه باستغلال مركزه ونفوذه كخليفة . فلقد وزع على المجاهدين ما غنموه في احدى غزواتهم من حبرات يمانية اصاب كل واحد منهم واحدة منها ، وقد حاول الاعرابي ان يجعل منها ثوبا له فلم تكفه ، وها هو

يرى الخليفة يرفل بثوب من تلك الحبرات والخليفة اطول منه واكثر بسطة في الجسم .. اذن من اين لك هذا ؟ وترجم العيون الغضبى الاعرابي الذي يتهم امير المؤمنين بشواظ من نار وتمدّ الالسنة اعناقها تشتهي ان تنهشه ، ولكن الخليفة العظيم يبتسم ثانية ويسري عنه ويلتفت الى ابنه عبدالله قائلا : ( أجبه يا عبدالله ) . ويقف ابن الخليفة ليشرح للاعرابي المتهم كيف تنازل عن حبرته لوالده وكيف صنع الوالد من الحبرتين معا ثوبا له . ويقتنع الاعرابي ويبدد البرهان شكوكه فيحني رأسه مذعنا ويقول : الآن سمعا وطاعة يا أمير المؤمنين .

## موقف ثالث :

وهذا ابن الخطاب ثالثة يسأل سلمان : أملك انا ام خليفة ؟ فلا يرهب سلمان أمير المؤمنين ولا يماريه ولا يصانعه بل يقول له بصراحة ما بعدها صراحة : ( ان انت جبيت من ارض المسلمين درهماً او اقل او أكثر ثم وضعته في غير حقه ، فانت ملك لا خليفة ) .

## النبي وحرية الراي :

وهذا رسول الله يسير الى احدى غزواته فينزل بجيشه في موقع غير لائق من الناحية الستراتيجية فيسأله عمر بما معناه : أبوحي ننزل في هذا المكان ام باجتهاد؟ فيجيبه الرسول عليه السلام انه انما اختار هذا المكان بناء على اجتهاد شخصي لا دخل فيه للوحي ، فيعترض الصحابي الجريء على هذا الاختيار وينصح بالعدول عنه ، فيمتثل رسول الله ويبدل المكان .

وهكذا نرى ان حرية الرأي هي احدث الثمرات التي انتجها الدين الجديد الذي جاء به محمد ﷺ . واننا لا نعرف حركة عقائدية كانت او سياسية في التاريخ

القديم او الحديث اعطت حرية الرأي مثل تلك المكانة التي أحلها فيها الاسلام . ولقد كان من نتيجة هذه الحرية ، ان تقدمت العلوم وازدهرت المدنية وسمقت فروع الدولة الاسلامية وامتدت ظلالها ، وقدر للمواهب ان تتفتح في ظل هـــذه الدولة وان تعطي عطاءها السمح الخير .

## الحرية المقيدة :

ولكن الاسلام لم يذهب بطبيعة الحال في موقفه من حرية الرأي مذهباً ايجابيا الى ابعد حدود الايجابية بحيث يبيح للرأي الصالح الفاسد المفسد ان ينتشر وان يتسلل الى افهام الناس واذهان العامة ، فذلك ما لا يتلاءم وفلسفة الحكم وبالتالي لا يتلاءم مع المصلحة العامة ، هـــذه المصلحة التي ترى بعض المذاهب الاجتماعيـــة الحديثة ان يضحى في سبيلها بكثير من الآراء .

لقد كان الاسلام يدرك تمام الادراك ان المجتمع الاسلامي ككل مجتمع ، لن يخلو من فئة مضللة لا هم لهـــا الا تدمير كل بنـــاء اجتماعي والكيد لكل حركة تصاعدية . فاعتبر هذه الفئة من اصحاب الفتنة واكد ان الفتنة اشد من القتل ، واوجب على السلطة الحاكمة ان تتدخل حين يشيع الرأي الذي يوقظ الفتنة لتتلافى بذلك كل هزة اجتماعية محتملة . ولا تحسب منصفا حين يتصفح التاريخ الاسلامي واحداثه وما ثر افذاذه ، يجرؤ على اتهام الاسلام بمصادرة الرأي اذا ما وقف على بعض الحوادث التي تظهر لاول وهلة انها من قبيل الكبت بل وان شئت فقل القمع لهذه الحرية المقدسة .

## حرية الآخرين :

ان الاسلام يعتبر ان حرية الفرد تنتهي حين تبدأ حرية الآخرين وهذه القاعدة

التي تمشى عليها واتخذها مرتكزاً للحريات العامة هي نفسها اليوم وفي ارقى المجتمعات الحديثة واشدها تعلقاً بالحريات وتغنياً بها ، القاعدة التي ترتكز عليها هذه الحريات. فهاتوا لي بالله عليكم بلداً في عصر الذرة لا يمتهن حرية من يعمل لتحطيم حريات الآخرين ؟ ولا يكبت رأياً يهدد المصالح العامة ريسيء الى هذه المصالح ؟ ان اميركا وهي زعيمة الدول الديموقراطية كما تزعم في عصرنا الحديث ما زالت حتى اليوم تمتهن معتنقي الشيوعية مثلا وتلاحقهم جزائياً وتنزل بهم العقوبات الجسدية من اجل آرائهم العقائدية مع ان مجموعة كبرى من الامم اعتنقت هذا المذهب الاجتماعي وطبقته في بلادها . فهل يؤخذ على المجتمعات الاسلامية خلال تطورها التاريخي انها قمعت بعض الاراء المدمرة حقاً في سبيل السلامة العامة ؟ وهل يجوز ان نعتبر هذا القمع خرقا لحرية الرأي التي كفلها الاسلام ؟

## حرية المرأة :

اما حرية المرأة فقد كفلها الاسلام حين ساواها بالرجل في النفس والجاه والكرامة ،ورفع عنها تلكم الآصار ، وحررها من قيود الذل والاستكانة والهوان. ونزل قول الله تعالى ( يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ) .

حقق الاسلام للمرأة كافة حقوقها وكامل انسانيتها وحررها من كل قيد منذ اكثر من اربعة عشر قرنا . فبينما نتلو قول الله تعالى ( للرجال نصيب من ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ) وبينما نردد حديث رسول الله ﷺ ( سووا بين اولادكم في العطية ولو كنت مفضلا احداً لفضلت النساء على الرجال ) اقول بينما كنا نتلو ونردد مثل هذه الاحاديث وتلكم الآيات نجد المرأة في بريطانيا ، ارقى دول العالم ، قد بقيت حتى القرن التاسع عشر لا يؤذن لها ان تمشي في شوارع لندن

بغير حارس ولا يؤذن لها ان تتنقل الا في عربة مقفلة ولا يؤذن لها ان تسافر الا برفقة رجل امين . بل لقد ظلت بريطانيا لمئة سنة خلت تبيح بيع الزوجات وانه في سنة ١٨٥٠ كان ثمن الزوجة نقداً ستة بنسات اي ما يساوي حين ذاك اربعة فرنكات .

كفل الاسلام للمرأة حرية التصرف واباح لها ان تملك العقـــار والمنقول ، وان تهب وتشتري وتبيع ، وان توصي وتقاضي كما تريد ؛ على حين ان الدول الكبرى صاحبات الدعوة الى حرية الشعوب لم تتوصل الى ما توصل اليه الاسلام فيما يتعلق بحقوق المرأة وانصافها الا في مستهل القرن العشرين . اعطى الاسلام المرأة كل الحقوق التي اعطاها للرجل مدنية كانت او سياسية ، فلها حق العمل بمزاولة كل مهنة شريفة تعجبها ولها حق الانتخاب والتمثيل النيابي البلدي والاداري وان تتولى مناصب القضاء .

وفي صدر الاسلام بايعت النساء محمداً عليه الصلاة والسلام وبايعه الخلفاء من بعده والبيعة ابلغ من الانتخاب . وفي عصر الايوبيين تبوأت « شجرة الدر » عرش مصر وكانت ام المقتدر رئيسة لمحكمة الاستئناف ببغداد .

وعلى الجملة ليس من امة تحت السماء انصفت المرأة وناصرت المرأة وحررت المرأة مثل الامة العربية ، وفي هذا يقول فون كريمر ( ان العرب كانوا مفطورين على احترام النساء ومنهم تعلم الغربيون احترام نسائهم ) .

## حرية العمل :

ان من الحريات العامة التي كفلها الاسلام ايضاً حرية العمل فهذه الحرية مطلقة مبدئياً الا ما خالف منها الشريعة الاسلامية فان الاسلام يحظرها بوصفه ديناً سماوياً ونظاماً اجتماعياً وفكرة سياسية في آن واحد ، وهو حين يحظرهـــا انما يخص بهذا الحظر المسلمين ولا يفرضه على غيرهم من رعايا الدولة .

فلغير المسلم ان يتاجر بالخمرة وان يصنعها ولكن ذلك لايجوز للمسلم لان دينه حرّم الخمرة وحرّم بيعها كنتيجة مباشرة لتحريم تعاطيها . ولغير المسلم ان يقتني الخنزير ويربيه ويبيعه ويشتريه ، وان يتعاطى الميسر والربا ولكن ذلك لايجوز للمسلم لان قانونه الديني حرمه بقوله سبحانه ( انما الخمر والميسر والانصـــاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ) وقوله ايضاً ( واحلّ الله البيع وحرّم الربا . )

ومن الاعمال ما كرهه الاسلام باعتباره آلة المعصية اي انه يفضي اليها كصنع الآت الملاهي واستئجار المغنيات وهذه الكراهة ليست تحريمية وانما هي من قبيل الوقاية والحماية الاجتماعية .

ويجب ان لا ننسى نقطة هامة جداً ما دمنا في صدد الحديث عن حرية العمل فلقد كانت بعض الصناعات والحرف والاعمال مشينة في نظر العرب الجاهليين فجاء الاسلام يمجد العمل ويبارك العـــامل وقد روي عن الرسول ﷺ انه مر بشيخ تشققت من العمل فاخذ يده فقبلها ثم قال ( هذه يد يحبها الله ورسوله ) .

ولقد ضرب الرسول عليه السلام مثلا اعلى في الدعوة الى العمـــل واحترام الحرف حين قال : ( الحرفة امان من الفقر ) وحين طبق ذلك عملياً بأن كان هو بنفسه يرتق ثوبه ويحلب شاته ويخصف نعله .

وكانت حرية الاقامة والانتقال مباحة ايضا عملا بمبدأ الحرية العامة فللمواطن في الدولة الاسلاميـــة ان يقيم انى شاء وان ينتقل حيث ما شاء دونمـــا تقييد او تضييق . وهذه الاباحة مطلقة لجميع المواطنين مسلمين كانوا أو غير مسلمين وذلك في زمن السلم ، ولكن الامر يختلف بعض الشيء في زمن الحرب وهذا امر طبيعي لا يمكن ان يعتبر مأخذاً او تقييداً للحرية .

اما التجمعات الطائفية ان صحت التسمية فلم يكن نظام الدولة يقتضيها ولا الدين يتطلبها ، انما التشكل الاجتماعي وطبيعة المجتمعات هي التي اقتضتها وتطلبتها

اذا لم يكن المسلمون يفرضون على غيرهم من مواطني الدولة الاسلامية ان يقيموا في بقعة معينة او ان يحتشدوا في ناحية معينة، بل كانوا يتركون لهم حرية الاقامة والتنقل يقيمون بصورة عفوية حيث تنتظم احوالهم المعيشية، ويتنقلون بصورة عفوية حيثما تقتضي ظروف حياتهم .

## حرياتنا في الميزان :

انه ليمكن القول بأن الحريات العامة في عصرنا وفي ظل النظم الحديثة ليست اسعد حظاً منها في ظل الدولة الاسلامية رغم مرور اكثر من اربعة عشر قرنا على نشؤ تلك الدولة ، ورغم التطور الاجتماعي الذي طرأ على الانسان الحديث وانظمة الحكم

فما زلنا نرى كل يوم من مآسي الحرية في عصر الاشعاع الذري الذي ماينبغي له جبين الانسانية . فهناك اقطار سلبت حرياتها وحرمت حق الحياة حتى اذا ارادها الوعي ان تنتفض لتستعيد حرياتها المسلوبة وحقها المغتصب ، اغرقها الطغاة باسم الحرية دماً وحديداً ونارا . وهناك فئات لم تمنحها ديموقراطية القرن العشرين سوى لون واحد من الوان الحرية هو حرية الموت جوعاً فتموت دون ان تثير اهتمام حاكم او عناية سلطة .

وهنـــاك فئات ما زال يجني عليها لونها ؛ انها ضحية للون عجيب من الوان العبوديات ما فتىء يعيش في ظل المدنية الحاضرة هو عبودية اللون . اليس عاراً على الانسانية ان يُستعبد انسان من اجل لونه ؟ وأنى للانسانية صوت كصوت ابن الخطاب يرتفع مجلجلا ( متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ) ؟ ليحطم كل قيد وليكسر كل نير ؟ وأنى لحرياتها ذلك الجو الرائع والمناخ الملائم الذي هيأه الاسلام ؟ ألا من يعيد الانسانية الى صوابها ؟ من يفتّح عينيهـــا على

الاسلام ومحاسن الاسلام وديموقراطية الاسلام ؛ وعلى بذور الخير الكامنة في تعاليمه ؟ هذه البذور التي تحتاج الى عقل بصير يكتشفها ويد خيّرة تنثرها ؟ وأنى للحريات العامة نظام آلهي يحميها كالاسلام ؟

« ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب ، وهو يدعى الى الاسلام ؟ والله لا يهـــدي القوم الظالمين . يريدون ليطفئـــوا نور الله بأفواههـــم ، والله متمّ نوره ، ولو كره الكـــافرون » .



obeikandl.com

# المجتمع المثالي

● يؤكد الاسلام بان الناس سواسية ، ولا يتفاضلون الا بالعمل الصالح والخلق القويم ، وهكذا نراه يطهر الانسانية من غرور النسب وصفة اللون .

● ان الاسلام كغيره من ينقض واحداً من الانبيـــاء الذين سبقوا محمداً ونزّه تاريخهم عن الكذب ؛ وضرب بعزمهم وصبرهم الامثال مؤكداً انهم كانوا مشاعل هداية للعالمين .

● استنبط الاسلام الفروق الدينية في القضاء ، فلا فرق بين مسلم وغير مسلم امام العدالة . وقد برهن النبي والخلفاء الراشدون بأعمالهم على ذلك .

## معركة بين النظريات :

ما زال الانسان منذ بدأ يرقى سلم المدنية ، تائها وراء أمله المنشود ، وبغيته الضائعة ، ساعياً من اجل هدفه الاسمى ، ورسالته العليا ، الا وهي « المجتمع الفاضل »

وفي سبيل هذه الغاية ، راح العقل الانساني يبتكر في كل يوم نظرية ، ويرى في كل يوم رأياً ، ويحاول في كل مناسبة محاولة ، وينهج في كل ظرف نهجـــاً .

وتشابكت النظريات والاراء ، وتباينت الحلول والمناهج ، واتخذ بعضها الصفة السياسية ، وحمل بعضها راية العقل ، وتوسل بعضها الاخر بالتجارب والعمليات التطبيقية ، وها نحن في القرن العشرين نعيش على فوهة بركان خامد ، لا نعرف مدى ثورته ؟ ولا ندري لحظة انفجاره . ها هي الانسانية اليوم ، وقد تفرقت شيعاً واحزاباً ، ونظريات وانظمة ، يحاول كل منها ان يكسب التأييد ونيل الغلبة ، بتوفير اكبر قسط من العدالة ، ويسعى كل منها من اجل اخضاع الاكثرية البشرية لمبادئه واسسه ، وكل نظام يحاول ان يغري انصاره بزعمه حماية العدالة ، وحرصه على الحرية ، وحراسته للقيم السامية . وكل نظام يحاول ان يظهر للملاء بمظهر البطولة والترفع والاخلاص للانسان ، وسعادة الانسان وأمنه وسلامه .

ولكن .. ما هي حصيلة هذه المعركة بين النظريات ، وما هي نتيجة هذا التسابق بين المبادىء في كسب وُد البشرية واكتساب رضائها !؟..

## السعادة ضالة البشر :

مما لا شك فيه أن اختلاف الانسان في تطبيق مفهوم العدالة ، وتباين آرائه حول مبادئها ، جعل العدالة نفسها في خطر .. وهذا الاستنتاج امر بداهي تماما . لان الغاية من تطبيق العدالة هي الوصولُ « الى السعادة » والحصولُ على الامن ، والتمتعُ بالراحة والرخاء .. للاحياء جميعاً .. وهذه الغاية لن توصلنا اليها الحروب ولن تضعها بين ايدينا الدماء التي تريقها الشعوب .

وسبيل الانسانية الى السعادة والسلام ، سبيل لايمكن سلوكه بالطائرات ، ولا يمكن تمهيده بالقنابل ، والطريق الى الامن الانساني العام طريق لسنافيه بحاجة الى محالفات عسكرية ، ولا الى اتفاقات دولية ، لُحْمَتُها المصالح الرخيصة ، وسداها التجارة بمصائر الناس .

اجل ان السعادة ليست مطلباً عسيراً ، يستحيل على الانسان امتلاكه والحصول عليه ، وليست هدفاً خيالياً يحلم به المصلحون الاجتماعيون ، ويتوقعون حدوثه في العالم الآخر .

وليس معنى هذه الحروب التي استعرت نارها بالامس ، بين النازية والرأسمالية ، والتي يدوم خطرها اليوم ، بين الشيوعية والرأسمالية ، ليست هذه الحروب دليلاً على ان الأمن بين الانسان واخيه ، والسعادة بين البشر ، اخبار علمية وافكار تدور في الرؤوس ، وتفكر بها العقول وتدور بذكرها الألسن ... ولكنها لا توجد ؟

لا .. فما اشدّ خطأ من يدعي ذلك لان حالة التوتر القائمة دائماً وابداً بين النظريات الانسانية التي تزعم انها تعمل من اجل اسعاد البشر واشاعة السلام بينهم .. حالة التوتر هذه دليل صريح لاينقض على ان النظريات الانسانية كلها نظريات فاشلة .

ودليل على ان العاملين من اجلها انانيون مخطئون ، وان الانسان في كافة مراحله لايستغني عن السماء ووحي السماء . وان رسالة الاديان لم تفقد جوهرها الروحي بعد ، ولم تتنازل عن رفعة مقاصدها ، وترفع اهدافها ، وان الناس مهما اوتوا من العلم ، ومهما حازوا من درجات التقدم ومهما نالوا من اطوار الازدهار .. فانهم دائماً وابداً عباد الله ، بحاجة لشرع الله . ذلك الشرع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذي لا شفاء للانسان الاّ به ، ولا سعادة الا باتباعه ...

والله تعالى اعلم منا بانفسنا ، واحرص على سعادتنا منا ، ونظامه للعدالة نظام إلهي ليس فيه طمع ولا جشع ، ولا كبرياء ، ولا تسلط ، وهو الغاية التي ما بعدها غاية .. والامل الذي ليس من بعده أمل .

## عمل الاسلام من اجل العدالة

الاسلام كدين سماوي ، وشرع الهي ، ضرب بسهم وافر في تنظيم العدالة ، وارساء قواعدها بين الناس ، ونال حظا عظيما في رسم القواعد الاولى لاسعادهم ، وتوفير الامن والطمأنينة لهم ، وفتح فتوحا جديدة في محاربة الآفات التي كانت تأكل كل جهود المصلحين الاجتماعية كما تأكل النار الحطب ...

فماذا فعل الاسلام ؟ وكيف حقق العدالة في بناء المجتمع ؟

## معنى العدالة في رمضان

هذا ما سنحاول كشف النقاب عنه ، للمسلمين خاصة وللمواطنين عامة ، وأول مثل له هو شهر رمضان المبارك الميمون ، الذي انزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان . ذلك بان رمضان وحده بما يتخلله ويحف به من المعاني الانسانية الرفيعة ، هو صورة رائعة من سمو العدالة الاسلامية بل هو من اقوى ضروب الرياضة ، التي يقود الاسلام بها ازمّة النفوس ، الى تحقيق حياة اجتماعية مثلى ، تقوم على اكرم مبادىء العدل والمساواة .

فاذا جاع الفقير وشبع الغني في كل أيام السنة ، وأدى ذلك الى شعور الاول بمرارة الظلم ، وزهو الثاني ببطر النعمة ، ــ جاء رمضان فنشر لواء الجوع على الغني والفقير ، بدرجة واحدة ، فأحدث للعدالة طعماً جديراً بأن يشد النفوس اليها ، ويديم ارتباطهم بها ، لأن في المساواة امام الجوع تعزيةً لنفس الفقير بأن الغني قد اصبح نظيراً له ، وتربية لنفس الغني بان الفقير نده وقرينه .

وكذلك يجمّل وجه العدالة الاسلامية حين يُرسل المؤذن صيحته الخالدة مع غروب الشمس ، فتحمل الاذن بالطعام للفقير والغني على السواء ، فاذا المساواة طابع رمضان ، يُشعر المسلمين بها في الحرمان فيمضي اليوم والناس جميعاً

ممسكون ، ويروضهم على الاعتصام بها في العطاء ، فلا تغرب الشمس الا والجميع مفطرون .

ولا مراء في ان الاسلام يهدف بفريضة الصيام الى تأصيل فضيلة العدل ، سواء بهذه الوحدة بين كافة الطبقات في مظاهر الحياه ، او بما يثير في نفوس ذوي اليسار من الشعور بآلام المعسرين ومد اليد اليهم ، بالمشاركة في مال الله الذي آتاهم اياه .

لقد ضاعف الله اجر الصدقات في رمضان ،

وتسابق الصحابة الكرام الى البذل والعطاء في رمضان ،

وكان رسول الله ﷺ في جوده كالريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان . ثم في نهاية الشهر تجب زكاة الفطر فلا يقبل الصيام الا باداءها إتماماً لحق رمضان . فاين تذهب حصيلة هذه التوجيهات كلها ؟ وهي كثيرة لا يحيط بها الاحصاء ، واي اثر تحدثه هذه العطايا جميعاً في مجتمع يتفاوت اهله في الغنى واليسار ؟

الا ترون ــ قرائي الاعزاء ــ ان مجتمعا تنحدر فيه هذه الاموال من فم الثروات الى سفوح الاقلال جدير بان يجد فيها خير اداة لاحداث التوازن ، وتقريب مسافة الفرق بين كافة الطبقات ؟

ثم الا توافقون معي على ان رمضان بهذا الاعتبار حري ان يعتبر معرضا سنويا لفضائل الاسلام ، وفي مقدمتها فضيلة العدل والمساواة بين عامة الناس ؟

## دعائم المجتمع المثالي :

يقوم المجتمع في نظر الاسلام على دعائم عدة من خلق وحكم ووحدة وامل وتكافل ، ولكل منها اثره الكبير في تسديد خطى الجماعة الانسانية نحو الرقي والكمال .

وما من شك ان العدالة والمساواة دعامتان اساسيتان وضروريتان لبناء مجتمع صالح ، وتأمين استقراره وطمأنينته .

والاسلام حين يحدد دورهما في بناء المجتمع ، ويشدد عليهما كعاملين يضمنان كيانه ويثبّتان قواعده ، إنما يسيّرهما في اتجاهين مختلفين : سلب وايجاب ، ويعهد اليهما بعمليتين : هدم وبناء ، وذلك لان توجيهات الاسلام الانشائية بمثابة بذور النبات الزكي لا بد لكفالة نموّه من تطهير التربة من الطفيليات ، ضماناً لطهارة الفطرة الترابية ، التي تحضن الغرس الطيب ، وتنمّيه ، ليعطي ثمره الحلو اليانع .

## تطهير داخلي :

من اجل ذلك ، يعمد العدل الاسلامي ، الى شق طريقه ، بتطهير وعاء النفس الانسانية من كل ما يشعرها بالصلف حيناً ، وبالصغار حيناً آخر ، حتى يردها الى أصالة طهرها . فلا يغريها الاقبال ، بالجشع والكبرياء ، ولا يشدهها الحرمان والعوز الى استمرار الضعة والهوان . وكلما بلغ الغاية من هذا التطهير في جانب ، أسرع الى ايداعه عناصر العدل الايجابية ، فمد بذلك لقيام بناء المجتمع الراشد على ارض خلت تربتها من الطفيليات وبذور الطفيليات .

ولعل أول ما يستهل به العدل الاسلامي عمله ، في بناء المجتمع الصالح ، هو

انه يقيم الموازين القسط بين ابناء آدم جميعاً ، ويعلن ان النفس الانسانية من اصل واحد :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » .

فيحرر المجتمع بذلك من الإحتكام الخاطىء الى المعايير المصطنعة ، في النظر لى فئات الخلق ، والحكم على اقدار الناس .

قلنا ان الاسلام يشدد الحملة على بذور الكبرياء والضعة ــ وهو الجانب السلبي من عملية البناء ــ ليهيء النفس الانسانية لمنهج الاعتدال الكريم ، الذي لا يبطره زيف الدنيا وبهرجها ، ولا تحني هامته حوادث الايام : « قال تعالى في كتابه العزيز :

« اليس في جهنم مثوى للمتكبّرين » وفي موضع آخر : « قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » .

وقال رسول الله ﷺ : « لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه » .

فهل يسع امرءاً يؤمن بالله وباليوم الآخر ، ان يسد اذنيه ، فلا يصغي الى هذه النذر ، وان يسمح لها فتزين له الزهو على الخلق او تستدرجه الى ادعاء التميز على سائر الناس ؟

بل ألا ترون ــ قرائي الاعزاء ــ ان من شأن هذه النذر ان تحدث رد فعل طبيعي فتكاد تهبط بالنفس الانسانية مباشرة من التعالي والاستكبار ، الى القناعة بالدون والصغار ، لولا ان في هذا العلاج اسباب المناعة من الانتكاس حين يقول تعالى :

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وفي قوله ايضا : « أيبتغون عندهم العزة : فان العزة لله جميعاً »

وحين يقول رسوله عليه السلام : « المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف واليد العليا خير من اليد السفلى » وتبلغ الحصانة أوجها بهذا الحديث الشريف « من اعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس مني » .

## اسس البناء الثلاثة

بمثل هذه الحملات العنيفة على نوازع التمييز بين الانسان ، يقتلع الاسلام من النفس الانسانية الطفيليات ، ويهيئها لتقبل بذور التوجيه الايجابي البناء ، الذي يمكن ان نجملها في ثلاث نقاط :

### اولاها : وحدة المنشا :

لقد قرر الاسلام ان الناس جميعا متساوون في قيمة الفطرة التي نشأوا منها والتي مردهم اليها ، وهي الفطرة الترابية التي لاتسمح لعاقل ان يتخذها مادة للشموخ بانفه ، او العلو بقدره ، « منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى »

« والناس لآدم ، وآدم من تراب »

### وثانيها ـ وحدة القيمة :

فالاسلام حين يضع الاصل البشري بصورة ينتفي معها الغرور ، وفي وضع لا يمكن معه اتخاذه مادة للزهو والخيلاء والاستعلاء ، يقرر كذلك الا تفاضل بين الناس بهذا الاصل بل التفاضل بينهم يقوم على اساس آخر .

ان الناس كما أكد الاسلام سواسية كاسنان المشط ولكنهم يتفاضلون بالعمل الصالح والخلق القويم : « لا فضل لعربي على اعجمي ... الا بالتقوى » . « والخلق

كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله». « ومن اطاعني دخل الجنة ولو كان عبدا حبشيا ، ومن عصاني دخل النار ولو كان شريفا قرشيا » .

ألم يعمد الاسلام في تعاليمه هذه الى توجيه النفس الانسانية نحو الخير، وانتزاع ما يشوبها من غرور النسب وضعة اللون ! ليحقق المساواة في القيمة بين الناس جميعاً عند نقطة انطلاقهم في خدمة مجتمعهم ، ثم لايعترف بشيء من التمايز فيما بينهم بنسبة ما يقدم احدهم لمجتمعه وبني دينه ووطنه .

## وحدة المصير :

اما النقطة الثالثة التي اراد الاسلام ان يهيىء بها النفس الانسانية لتقبل فكرة العدل والمساواة فهي وحدة المصير :

ان الناس حين يشعرون بانهم صائرون الى نهاية واحدة . ومنتهون مهما طال بقاؤهم على الارض الى مصير واحـــد ، ينزعون الى حب العدل والمساواة والى التخلق بكل ما هو كريم وتسامح .

واي شيء يغري الانسان بالتطاول على الخلق ، ونذير الموت يقرع سمعـــه : « كل شيء هالك الا وجهه .. له الحكم واليه ترجعون » .

وكيف يتطاول المرء على اخيه ، وهو يشعر ان الموت مصير كل حي ، وان حفرة القبر الموحشة مثوى لكل انسان، وان القوي والضعيف، والمغرور والمسكين ، والظالم والمظلوم ، كلهم في القريب على مائدة البلى ، بل في ضيافة الدود والتراب ؟

أمام كل ذلك . تنهزم عوامل الاستعلاء والاستخذاء جميعاً في نفس الانسان ويقوى فيها الميل الى القصد والتزام الصراط المستقيم .

« وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيـه : ليُقْضى أجلٌ مسمى ثم اليه مرجعكم ، ثم ينبئكم بما كنتم تعملون . »

وينطلق الاسلام بعد ذلك ، لينفث روح المساواة والعدالة في مظاهر ثلاثة من مظاهر الحياة العامة .

في العقائد ، وفي العبادات ، وفي المعاملات ،

فالاسلام ، يدعو الى احترام الاديان السماوية عامة ،

« قولوا آمنا بالله وما آنزل الينـــا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط ، وما اوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرّق بين احد منهم » .

ثم ينهى عن مضايقة غير المسلم في عقيدته وعبادته وماله ،

ويعلن حرية المعتقد : لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ،

ويؤكد اخوة الاديان جميعها ، فيقول تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » .. ويعلن انهـــا من مصدر واحد « إنّا أوحينا اليك ، كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

اما في العبادات ، فقد حرص الاسلام على ان يساوي بين معابد الاديان جميعاً في الحرمة الواجبة لها ، والقاضية بصيانتها وعدم المساس بها .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضٍ لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . »

ولم يكتف باقرار المبدأ بل انه نهى عن التعرض للرهبان في صوامعهم ، وطبق الخلفاء الاولون هذه التعاليم تطبيقاً رائعاً ، اذ ان القراء يذكرون ما جاء في وصية ابي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، لقواده وكيف نهاهم عن التعرض للصوامع ، ونساكها :

« وستجدون اقواما ترهبوا في صوامعهم فدعوهم وما فرغوا انفسهم له » .

## صور فذة من تطبيق مبدأ المساواة :

ولم يقف احترام الاسلام للعبادات عند هذا الحد ، بل أن السلوك الاسلامي حظر استخدام معابد الذميين لصلاة المسلمين حتى لا يدّعي المسلمون حقاً عليها مع مرور الزمن . والتاريخ ما زال يذكر باكبار ، يوم دخل الخليفة العادل عمر بن الخطاب بيت المقدس ، وحان وقت الصلاة وهو يزور كنيسة القيامة ، وأراد ان يؤدي الفريضة ، فسارع الى الخروج من الكنيسة ، ليصلي عند عتبتها . ويُسأل الخليفة عن سر هذا التصرف رغم ان الاسلام يعتبر المعابد جميعاً من بيوت الله ، ورغم ان التعاليم الاسلامية تبيح للمسلم ان يصلي أنى شاء ، فيجيب الخليفة العظيم بانه لم يفعل ذلك الا لانه لايريد ان يأتي يوم يستولي فيه المسلمون على الكنيسة بحجة ان ابن الخطاب صلى فيها !

أما في المعاملات فان الاسلام وقف من الذميين والمعاهدين موقفاً نبيلا ، لا تلحقه فيه احدث النظم العصرية التي تتشدق بالحرية والمساواة .

فلقد حث على احترامهم واكرامهم واحسان معاملتهم ، واستهدف حمايتهم وحماية اموالهم ، واتخذ دين الذمي اساساً لرعاية ماله ، ولو كان هذا المال من المحرمات في نظر الاسلام ذاته .

والدليل على ذلك انه مع تحريمه الخمر والخنزير ، وتحذيره المسلم من اثمه او

صنعها او بيعها ، ومع انه حرم عليه اكل لحم الخنزير او تربيته ، او الاتجار بـــه لان الخمر والخنزير في نظر الاسلام مال غير متقوم مع كل ذلك فقد اوجب الاسلام حماية هذا المال غير المتقوم اذا تعلق الامر بذمي .

فلو اتلف احد المسلمين خمراً او خنزيراً لمسلم فلا عقاب عليه ولا تعويض ، لان الخمر والخنزير كما قدمنا مال غير متقوم بالنسبة للمسلم ، اما اذا اتلف مسلم خمر ذمي او خنزيراً يملكه ، فان الاسلام يفرض عليه العقاب والتعويض لانه في دين الذمي مال متقوم يجوز التعامل فيه عند اهل الكتاب .

واوجب الاسلام على دولتـــه ان تحسن صحبة الكتابيين من الطوائف التي لا تدين بالاسلام فقال تعالى في كتابه الكريم :

« لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرُّوهم وتقسطوا اليهم » وما اكثر الشواهـــد في التاريخ الاسلامي على نبل المعاملة التي يلقاها الذميون من المسلمـــين ، وكيف كانوا يعملون على توفير الطمأنينة لهم من حيث الحماية المالية والحرية العقائدية .

رب قائل يقول : ان في الاسلام نزعة استعلاء على بقية الاديان ، وميلا الى الظهور عليها بدليل انه استهدف جمع الناس على رسالته ، وانه اورد في مواضع كثيرة من القرآن ، مايفيد بان الله فضّله واظهره على الاديان جميعا مثل قوله تعالى :

« ليظهره على الدين كله » وقوله : « هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » .

## نظرة الاسلام الى الاديان :

ولرفع الشبهة التي تسبق الى بعض الاذهان من هـــذه الآيات الكريمة نقول :

ان الاسلام نادى بوحدة الاديان السماوية جميعاً ، فهي في نظره متحدة المنابع ، موحدة المصدر ، وقد اعطينا الدليل ، فيما مر ، على ذلك .

ولكن الاسلام ، من ناحية ثانية ، يعتبر الاديان التي سبقته مراحل هداية ، وهو اذ يعتبرها كذلك لايقلل من شأنها واهميتها ، وضرورة احترامها ، بل انه يصر على وجوب احترامها واعتبارها وإياه شيئاً واحداً . وانما كانت الاديان التي سبقت الاسلام متوافقة مع حاجات البشرية في عصورها السالفة حتى اذا تم نضج البشرية وتبلورت حاجاتها جاء الاسلام اكثر شمولا وأوفى بمطالب الانسانية التي طرأت عليها بعد رسالات الانبياء السابقين صلوات الله عليهم اجمعين .

وليس أدلّ على حقيقة نظرة الاسلام للاديان الاخرى من مدحه للموسوية الصحيحة بقوله : « وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا » .

ومدحه للمسيحية الربانية بقوله : « اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهّرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » .

ولا نعتقد ان كتاباً دافع عن عصمة مريم كما دافع القرآن الكريم ، واننا لنحيل من يشك في هذا القول على سورة مريم ، ليرى كيف نظر الاسلام الى المسيحية نظرة تنزيه وتقديس .

## الاسلام والانبياء :

اما بالنسبة للانبياء الآخرين الذين سبقوا محمداً ﷺ ، فالدين الاسلامي كرّمهم اعظم تكريم ، فكفر من ينقض واحداً منهم مهما احب محمداً ، ونزّه تاريخهم عن الكذب وضرب بعزمهم وصبرهم الأمثال ، وأكد انهم كانوا مراحل هداية للعالمين :

« لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ، ما كان حديثاً يفترى ، ولكن

تصديق الذين بين يديـــه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

يستنتج مما تقدم ان جمع الناس على الاسلام هو جمع على هدى السماء ، متضمناً روح الاديان السابقة ، وان ظهوره على الدين كله هو ، ظهور الكتب السماويـــة جميعاً بظهور مرحلة الختام على مراحل البداية ، والدليل على ذلك ان القرآن حين يؤكد ظهور الاسلام يقول .. ولو كره الكافرون...ولو كره المشركون...ولم يقل ولو كره اليهود او المسيحيون .

## قواعد العدالة الاجتماعية :

لقد عمل الاسلام من اجل عدالة اجتماعيـــة ، ترسيخاً لفكرة العدالة كمبدأ ، وتنمية لها كسلوك ، لذلك سعى الاســـلام الى تحقيق العـدالة الاجتماعية بوسائل شتى اهمها :

### ١ ـ اعلان الاخوة بين ابناء المجتمع الاسلامي :

ا ) « انما المؤمنون اخوة ، فاصلحوا بين اخويكم . »

ب) لا يؤمن احدكم حتى يحب لنفسه .

### ٢ ـ تشديد النكير على كل عمل يوهن الاخوة الاسلامية :

ومن اجل ذلك حرم التعالي والسخريـــة بقوله : ( يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهم ) .

وحرم التعريض بالعيوب والتفـــاخر بالاحساب « ولا تلمزوا انفسكم ، ولا تنابزوا بالالقاب »

وحرم الغيبة والنميمة وسوء الظن : « اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيـــه ميتاً فكرهتموه »

## ٣ ـ الترغيب في كل ما يجمع القلوب ويدعم الوحدة :

كالدعوة الى الاصلاح بقوله ﷺ : « الا ادلكم على افضل من درجة الصلاة والصوم ؟ إصلاح ذات البين »

وكحسن الجوار بقوله : « اتدري ما حق الجار عليك ؟ اذا استعانك اعنته ، واذا استقرضك اقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عـــدته ، واذا اصابته سراء هنأته ، واذا اصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطيل عليه بالبنيان فتحجب الريح عنه الا باذنه ، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا ان تغرف له منها ، واذا اشتريت فاكهة فأهد له ، والا فادخلها الى بيتك سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

كما اغرى الاسلام بالمساعدات والخدمات الاجتماعية ، فاعتبر مساعدة الضعيف صدقة ، وازاحة الاذى عن الطريق صدقة ، وحث على التعاون ابتغاء خير الجماعة فقال تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى » وقال عليه السلام : « من ادخل السرور على اهل بيت من المسلمين لم ير الله جزاء دون الجنة » .

كما قال : لأن يمشي احدكم في حاجة اخيه خير له من ان يعتكف في مسجدي هذا شهراً .

## ٤ ـ اعلان الاخوة الانسانية ، واسقاط التفاضل بالانساب والمظاهر :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى » ، بهذه الصيحة الثائرة واجه الاسلام الاحساب والانساب والتفاضل القبلي ، ثم راح صاحب الرسالة العظيم يطبق ذلك تطبيقاً عملياً ، فيكتب بين المسلمين واليهود صحيفة الموادعة يساوي فيها ، بين الفريقين ، في الحقوق والواجبات ويأتي قادة الفتح الاسلامي ليترسموا هذا الطريق ، فيفعل مثل ذلك المثنى وسعد مع النصارى الذين حاربوا معه في البويب وفتح بهم فارس والمدائن .

## لفتات نبوية حول الاخوة الانسانية :

ويوصي الرسول العظيم اهله فيقول : « التمسوا لكم عملا ينجيكم من الله ، فوالله لا اغني عنكم من الله شيئاً » .

ويمر به ، وهو في جماعة من اصحابه ، رجل حسن الهيئة فيقول لهم : ما تقولون في هذا ؟ فيقولون : هذا والله حري اذا قال ان يسمع لقوله ، واذا خطب ان ينكح فيصمت الرسول العظيم . فيمر بهم رجل آخر تبدو عليه مظاهر الاقلال فيسألهم : ما تقولون في هذا ؟ فيقولون يارسول الله والله انه لحري اذا تكلم الا يسمع له واذا خطب الا ينكح . فيقول محمد عليه السلام كأنه يعطي الانسانية كلها درسا في ان الخلق العظيم ميزان الافضلية ولو كان صاحبه مثال الفقر والفاقة ؛ يقول عليه السلام : لهذا خير من ملء الارض من هذا » .

## العدل اساس الملك :

ولقد رأى الاسلام ان العدالة لاقيمة لها اذا لم يكن هناك قضاء عادل ، بين

الناس ، فجاء التاريخ يشهد بان المسلمين وفروا للناس عدالة قضائية جعلتهم طليعة الامم العادلة على الارض .

يوصي القرآن الكريم بالعدل ، ويشدد على ذلك بقوله: «واذاحكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » . « .. واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » .

فيقيم المسلمون أسس مملكتهم ، وقواعد حكمهم على العدل ، على هذه الركيزة الامينة الراسخة ، التي لايمكن ان يتزلزل حكم اذا كانت هي قاعدته ، وبفضل التوجيه المحمدي ، يتغلغل حب العدل ، في نفوس اتباع الاسلام ، فيصبح شيئاً من دمهم واعصابهم .

فهذا عمر بن الخطاب يوصي ابا موسى الاشعري حين بعثه قاضياً على الكوفة بوصية لاتزال حتى يومنا هذا ، مصدراً من مصادر التشريع ، في اصول المحاكمات ومثلا يحتذى في تلقين آداب القضاء ، يقول عمر رضي الله عنه وهو يوصي ابا موسى :

اما بعد ، فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي اليك وأنفذ اذا تبين لك . فانه لاينفع تكلم بحق لانفاذ له .آس بين الناس في مجلسك ووجهك وعدلك ، حتى لايطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من انكر ، والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً حرّم حلالا او احل حراماً ، ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم ثم راجعت فيه نفسك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ، والرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل .

الى ان يقول : اياك والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر ... الى آخر تلك الوصية التي ما زال طلاب الحقوق يتدارسونها في الجامعات حتى اليوم .

وهذا هو ايضاً يطلق في سمع الدنيا صرخته التي ما تزال تدوي ، متى استعبدتم

الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ، يصفع بهـا كل من يحاول ان يستغل نفوذه لالحاق الاذى بالناس ، او انزال الحيف والظلم بهم . وهي تذكرنا دائماً كيف ضرب الفاروق العظيم ابن الاكرمين ولد الحاكم عمرو بن العاص اقتصاصاً منه ، لانه تطاول على احد رعايا المسلمين .

وهذا هو ايضاً ، يقيم حد الزنى على ولده ، فيستغيث به ولده ، ويقول : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين ، إلا مزقتني إربا إربا ، ولا تفضحني بين المسلمين ، فيقول له الخليفة العادل جاعلا العدالة فوق عاطفة البنوة :

« يا بنيّ وماذا اصنع بقوله تعالى : وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »

## الناس امام العدل سواء :

ولو اردت ـ قارئي العزيز ـ ان اتقصّى اخبار العدالة القضائية في الاسلام عبر التاريخ ، لأعوزتني المجلدات ، ولكنني قبل ان انتقل الى الناحية الاقتصادية أود ان اشير الى ان الاسلام اسقط الفروق الدينية في القضاء ، فالمتقاضون امام عدالته سواء لا فرق بين مسلم وغير مسلم ، وكلنا يذكر كيف نهى الرسول عليه السلام عمر عن البطش باليهودي الذي اغاظ في طلب حقه من الرسول ﷺ وكيف انكر عليّ كرم الله وجهه من أبي بكر رضي الله عنه انه ميّزه عن خصمه اليهودي بالكنية ، مما يثير الشبهة في نفس المتقاضي .

كما ان الاسلام اسقط الاعتزاز بالعاطفة والقرابة ، وقد سبق ، وذكرنا في موضع آخر موقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب من ابنه واقامته الحد عليه . وتأكيداً لهذا المبدأ ، نود ان نشير اشارة عابرة لحديثه عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه :

ـ لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

## العدل الاقتصادي توأم العدل الاجتماعي

ان كل عدل لا يقوم على اقتصادٍ منظم .. فهو عدل ناقص بل عدل ظالم ان صح التعبير ، فلن نكون عمليين حين نقولُ للجائع او العادي او المفلس او العاطل عن العمل ، لا ترتكب الجريمة قبل ان نُحقق له مجتمعاً صالحاً لا يجوع فيه ولا يعرى ولا يتعطل عن العمل .

ولا شك ان المجتمع الذي يطبق القانون بحرفيته على من لا يؤمّن لهم مثل هذه الضمانات مجتمع فاسد ظالم مهدّد بالانهيار .

فلنر ، كيف نظر الاسلام الى العدالة من زاويتها الاقتصادية :

لقد امر الاسلام بتأمين العمل لكل قادر عليه . ونظر الى كل نوع من العمل مهما كان ، نظرة احترام وتكريم . وقصة الرسول مع ذلك العامل الذي انتفخت يده من العمل معروفة فلقد حيا رسول الله هذه اليد العاملة قائلا : هذه يد يحبها الله ورسوله ، والاحاديث الرامية الى تمجيد العمل ، وتفضيله احياناً على العبادة واعتباره نوعاً من العبادة ، كثيرة جدا لا مجال الآن لسردها وتفصيلها .

ولكن يجب ان نلاحظ ان الاسلام ساوى في الكرامة الانسانية بين الخادم والمخدوم ؛ والمالك والاجير . وهذا ما لم تعرفه الانسانية في غير تاريخ الاسلام .

ولم يكتف الرسول بالناحية النظرية ، بل طبق ذلك على نفسه عمليا فكان يعمل في مهنة اهله ، ويأكل مع خادمه ، ويطحن عنه . وذهب الى ابعدَ من ذلك ، فأمر بأن يدفع صاحب المال للعامل اجراً اضافياً عن العمل الاضافي ، وهذا خير ما توصلت اليه اليوم احدث النظريات الاجتماعية .

ولا شك ان بذور الضمان الاجتماعي على انواعه متوفرة في الاسلام . فلقد كفل هذا النظام ما نسميه نحن اليوم المخاطر الجسمانية والمهنية والعيلية :

قد مت جماعة من التجار الى المدينة فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك ان نحرس سهم من السرقة ؟ فوافق عبد الرحمن ، وباتا يحرسان القوم . وسمع بكاء صبي بينهم فتوجه الى امه قائلا : اتقي الله واحسني الى صبيك . ثم عاد الى مكانه ولكن الصبي عاد الى البكاء فعاد عمر اليها يقرعها ، غير انه في المرة الثالثة قال لها :

ويحك اني اراكِ امّ سوء مالي ارى ابنك لا يقرّ منذ الليلة :

فقالت له : يا عبدالله لقد ابرمتني الليلة . إني أربعه على الفطام .

قال : ولم ؟ قالت : لان عمر لم يفرض للرضيع فعجلت في فطامه لآخذ له نصيب الفطيم واستعين به على فقري .

فانصرف عمر الى بيته وصلى الفجر فلما سلّم ، قال : يا بؤساً لعمر ! كم قتل من اولاد المسلمين . ثم امر منادياً فنادى : الا تعجلوا اولادكم عن الفطام فانّا نفرض لكل مولود في الاسلام .

وجاءت اليه يوماً امرأة وقالت : يا امير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً ليس لهم ضرع ولا زرع ، واخشى عليهم المجاعة ، وانا ابنة خفاف بن امين الغفاري . فقال لها عمر : مرحباً بنسب قريب . ثم انصرف الى بعيرٍ قوي ، فحمّله غرارتين ملأهما طعاماً ، وجعل معهما نفقة وثياباً ، وناولها المراة قائلا : اقتاديه فعسى ان يغني هذا حتى يأتيكم الله بخير .

## لا استغلال :

لقد تشدد الاسلام في نظريته الى العدالةمن زوايتها الاقتصادية فحرّم مانسميه اليوم بلغتنا السيـــاسية ، الاستفادة غير المشروعة عن طريق استخدام النفوذ والسلطان .

وحبذا لو اصغى حكامنا اليوم الى التاريخ الذي يروي من روائع الاسلام وفضائله وسلوك اتباعه الاولين ما يلي :

رأى عمر بن الخطاب إبلا سمينة ، فسأل عن هذه الابل ، فقيل له : انها لعبد الله بن عمر فقال عمر : ما سمنت ابل عبدالله الا لانه ارعاها بجـــاه امير المؤمنين ادفعوا بها الى بيت المال .

واستدان بعض ولد عمر مالا من ابي موسى الاشعري اذ كان والي الكوفـــة فتاجر به فاصاب ربحاً كثيراً ، فلما تطاير خبر هذا الربح ال عمر استجوب ولده عن مصدره فاجابه انه تاجر بمال استقرضه من ابي موسى فدر عليه هذا الربـــح الكثير ، فقـــال عمر : انك حينما اشتريت ارخصوا لك الثمن ، لانك ابن امير المؤمنين ، وحينما بعت اغلوا لك الثمن لانك ابن امير المؤمنين . اذهب الى بيت المال فشاطره تجارتك .

وفي خلافة علي ابن ابي طالب رضي إلله عنه ، قدم عليه اخوه عقيل وكان ذا عيلة فسأله الزيادة في حصته من بيت المال حتى تقوم بحاجة ابنائه فواعده المساء ، فلما اقبل في موعده قال له خذ هذا ... واشار الى شيء في الارض حسبه عقيل صرة فيها مال فهوى اليها فاذا هي جمرة من النار تكوي انامله ، ففزع وقال لعلي : بئس ما جزيت اخاك وبني اخيك ، اسألك مالاً استعين به على حاجتهم فتعطيني

جمرة ؟ فقال له علي : أهذا مبلغ فزعك من جمرة أحماها صبي للعبه ، وتريد ان تقذف بي في نار سعّرها جبار لغضبه ؟

## حلقات التكافل الاجتماعي :

بقيت ناحيـــة مهمة جداً من الموضوع ، وهي مبدأ التكافل الذي فرضه الاسلام وعبر عنه بالامور التالية :

١ ) بالزكاة وهي فريضة غايتها الحد من مساوىء النظام الاجتماعي وقد نجحت الى حد بعيد ، في تحقيق العدالة الاجتماعية بوجهها الاقتصادي اذ يروي لنا التاريخ ان عمر بن عبد العزيز لم يجد في زمن ولايته فقيرا يصرف له من فيض الزكاة .

٢ ) بالصدقة ، وقد كان الرسول ﷺ يرغب بها ويحث عليها فيقول لعائشة « اتقي النار ولو بشق تمره » و « ما نقصت صدقة من مال » .

٣ ) بالوصية في المال لوجوه الخير والفقراء ، وقد كان الرسول ايضاً يرغب بها ويحث عليها : يروى ان ابن عوف سمع النبي ﷺ يرغب في الوصية للفقراء بشيء من المال فبلغ من تأثره ان دعا بكاتب وجريدة ثم امر باحصاء ثروتـــه واحصى الفقراء في جريدة اخرى ثم قسم ماله جميعاً بين الفقراء . وبعد ان فرغ من تفريق ثروته كلها تذكر ثلاثة من الفقراء ، لم يوصِ لهم بشيء وعزّ عليه ان ينتقص ما سبق ان اوصى به لعامة الفقراء فلم يجد الا متاعـــه الخاص فأمر الكاتب ان يلحق في جريدته : وان عمامتي لفلان وان قميصي لفلان وان دابتي لفلان . فلمـــا بلغ امره رسول الله دعا له ثم قال : حسبك الثلث وفي الثلث كفاية .

٤ ) بالميراث الذي يهدف الى تفتيت الثروة واشاعتها بين اكبر عدد ممكن من افراد الاسرة منعاً لتحجر رؤوس الأموال وتجمعها في يد واحدة .

## الدين والدنيا :

لا احسب ان نظاماً من الانظمة الاجتماعية الحديثة ، مهما بلغ من الحرص على تأمين للعدالة ، يستطيع ان يؤمن هذه العدالة ويوفرها للمجتمع كما امنها الاسلام ووفرها .

فالاسلام مع كونه ديناً يعنى بتطهير الروح وتهذيب النفس فقد نظر الى الحياة نظرة واقعية وادرك ان هذه الحيـــاة لايمكن ان تستقيم ، وان يبلغ الانسان فيها سعادته ، الا بتحقيق التوازن بين الروح والمادة .

« ولا تنس نصيبك من الدنيا »

« اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا » بمثل هذا الفهم الواعي للحياة ، بدأ الاسلام نضاله لبناء مجتمع صحيح يتحقق فيه التوازن ، وقد استطاع ولا ينكر ذلك الا المكابر ، استطاع ان يقيم مجتمعاً صالحاً اعطى الانسانية الكثير من قيمها ودفع بها الى الامام في معارج الرقي والتقدم والحضارة .

## اين هو المجتمع المثالي ؟

ان التاريخ يشهد بان الاسلام كنظام اجتماعي ، اثبت جدارته لتنظيم الحياة تنظيما رائعا . وما الحضارة العربية الزاهية ، في الاندلس ودمشق ، والمدينة المنورة ؛ وما الوثبة الرائعة التي فتحت العيون الكليلة على النور والحريـــة ما ذاك كله الا ثمرة ذلك التنظيم وعطاء ذلك النظام .

هاتوا لي ــ قرائي الاعزاء ــ في القرن العشرين، في قرن الذرة، في قرن المعجزات العلمية ، هاتوا لي انسانا كالانسان الذي رباه الاسلام ، هاتوا لي انساناً يفهم القرآن كما فهمه العرب الاولون ، ويطبق احكامه وتعاليمه كما طبقوها ، ويشيع روحه في نظام الحكم كما اشاعوه، هاتوالي انساناً من هذه الطينة . اعطكم مجتمعاً صالحاً لا عوج فيه ولا امتاً ، مجتمعاً لا يحتقر فيه الانسان ولا يجوع ولا يعرى .

## من حقنا :

أليس من حقنا ان نقول للتاريخ : إفتح اذنك لتسمع صيحة الاسلام تصرخ بالناس صراخاً يفزع الظالمين والجشعين « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ثم تؤجج عليهم ثورة المظلومين والمحرومين بالحديث النبوي : « ان الناس اذا رأو الظالم فلم يضربوا على يديه اوشك الله ان يعمهم بعذاب من عنده » وبكلمة ابي ذر المدوية : « عجبت لمن لايجد القوت في بيته ــ كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه » .

أليس من حقنا ان نقول للتاريخ : افتح عينك لترى محمد بن عبدالله تساق اليه اموال الارض وكنوزها ورغد عيشها وهو الحاكم المطاع فيفرقها في الناس ، ولا يحرم منها الا خاصة اهله وذوي قرباه ، حتى اذا عاتبه نساؤه في ذلك اعلن ان ولاية الامر ليست مغنماً يمتاز به السلطان عن سائر الناس ولكنها مغرم يستعذب فيه الحرمان لكفالة تحقيق العدالة بين الناس...«ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجراً عظيماً .

أليس من حقنا ان نستوقف ركب التاريخ لنقول له : سجل بمداد الفخر

والاعجاب : ان رئيس الدولة الاسلامية الاولى صلوات الله عليه قد مات ودرعه مرهونة عند يهودي . وان ابا بكر قد فارق الدنيا محروما من كل مال كان له قبل الخلافة ، وان عمر ، كان يقول : لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتني مسؤولا عنهـــا بين يدي الله :

ورثنا المجد عن آباء صدقٍ أسأنا في ديارهم الصنيعـــا
اذا المجد الرفيع توارثتـه دعاة السوء اوشك ان يضيعا

obeikandl.com

obeikandl.com

# الديموقراطيّة المفقودة

❁ الديموقراطية الحديثة كلمة جوفاء ، حشوها هواء ومبادئها هواء ، اما ديموقراطيـــة الاسلام فسلوك انساني رفيع ، يرتكز الى انبل ما في النفس الانسانية من نزعات ، انه يقوم على دعائم الحق والحرية والعدل والمساواة .

❁ تعالوا نتتبع ديموقراطية فرنسا . ام الحريات ، ونتفحص سلوكها تجاه الشعوب لنلمس الخدعة الكبرى التي اختبأت وراء البرقع الحريري الرائع ، انها تتغزل بالحريات وكرامة الانسان ثم تنكفىء لتنكل بالحريات ولتنتهك — بكل استخفاف — كرامة الانسان .

❁ تعالوا نبحث عن امثلة من ديموقراطية بريطانيا ، والولايات المتحدة ، بـــين مليون متشرد عربي ارادت لهم ديموقراطية الانكليز والامريكان ان يموتوا جوعـاً وبؤساً وعرياً ؛ ارضاء لحفنة من المرابين .

انا نظلم « الديموقراطية » حين ننسبها ظلماً وعدواناً الى المتآمرين على الشعوب ، الذين يتاجرون بالمبادىء ، ويدنسون طهارة المثل .

لقد كثر الحديث ، في عصرنا عن الديموقراطية ، وكثر المتشدقون بهذه الكلمة ومن واجبنا اليوم ان نميط اللثام ، عن وجه اولئك المتشدقين ، وأن نبين للناس الفوارق بين ديموقراطية مزعومة ، وبين ديموقراطية صحيحة ، هي ديموقراطيـــة الاسلام ، ذلـــك الدين الذي اراده الله نظـــاماً للحياة المثلى ، ومطهراً للنفس الانسانية من ادرانها وشوائبها .

إن الرجعة العابرة الى التاريخ الاسلامي ، تظهر تلك الفوارق بوضوح وجلاء فالديموقراطية الحديثة كلمة جوفاء، حشوها هواء ، ومبادئها هراء ، اماديموقراطية الاسلام فسلوك إنساني رفيع يرتكز الى انبل ما في النفس الانسانية من نزعات،انه يقوم على دعائم الحق والحرية والعدل والمساواة .

فأين ديموقراطية اليوم من ديموقراطية ابن عبد الله ؟ ذلك اليتيم الأميّ الذي نبتته الصحراءوهيأته الاقدار لانقاذ العرب من ظلمات الجهل والفوضى والضغينة .

## ديموقراطية محمد :

لقد استطاع محمد ﷺ ان يسحر قريشاً ، بعد ما ارغمته هي على ان يخوض معها معركة حياة أو موت ، استطاع ان ينتصر على عنجهيتها باتباعه القلائل الذين لا سلاح لهم : إلا الايمان بالله ، والتضحية بكل شيء في سبيل العقيدة ، فماذا فعـــل محمد بقريش التي عذبته وآذته وأدمت قدميه ، ورجمه سفهاؤها في الامس القريب ، بالحجارة ؟

أتراه سيتيح للسيوف العطشى أن ترتوي من دمائهم ؟

اتراه سينتقم للضحايا التي ارداها الظلم والتعذيب ؟

اتراه سينسى كيف ارغموه واتباعه على الهجرة مرتين ، وكيف حاصروه في الشعب حتى اضطر هو وهؤلاء الاتباع ان يأكلوا العشب ويتغذوا باوراق الشجر !

كلا ان محمداً لم يبعث ليؤجج نار الضغينة . ولم يرسل ليعطي الاماثيل في الانتقام والثأر ؛ لذلك وقف بين الكفار من قومه وكلهم مطرق امام الفاتح المنتصر وقف ليسألهم : ما ترون اني فاعل بكم ؟

ولا حظ ابن عبد الله ان بعضهم يرتعد فزعاً ، وقرأ في عيون الكثيرين منهم انهم يتوقعون منه ان ينزل بهم شد العذاب والتنكيل جزاء ما قدموا ، فاحب ان يحقق قول الله فيه : وانك لعلى خلق عظيم .

لقد قال لقومه الذين عذبوه وعذبوا اتباعه ما لم يقله فاتح في التاريخ لأعدائه ، قال لهم : اذهبوا فانتم الطلقاء .

وذهب الطلقاء مشدوهين ، وادركوا عندئذ ان رسالة محمد هي رسالة الحق والخير والمحبة والسماح .

واليكم قرائي الاعزاء جانبا آخر من ديموقراطية محمد ﷺ :

ان الرسول العظيم الذي سيطر على جزيرة العرب لم يداخله الكبر يوما . ومعاذ الله ان يداخله شيء من هذا ، لقد كان باستطاعته ان ينعم من الدنيا بما يشاء وتشتهي نفسه . كان باستطاعته ان يحيا حياة الملوك والقياصرة . كان بامكانه ان يتمتع بموارد الدولة التي اقامها بجهاده ونضاله . ولكن معاذ الله ان يزل محمد أو يتبدل ، فلقد ظل وهو الرسول العظيم وسيد قريش وزعيمها السياسي الاكبر ، ظل يخصف نعله ويحلب شاته ويرقع ثوبه ، ويحيا حياة المتقشفين الزاهدين لأنه يعرف تمام المعرفة انه المثل الاعلى للرعية ، وان المثل يجب ان يظل على سموه ليظل مثلا اعلى .

## ليسمع عظماء اليوم :

قد يقول قائل : تحدثنا عن ديموقراطية محمد ، ومحمد نبي حلاه الله باخلاق الانبياء ، فلا يمكن ان يصدر عنه الا ما هو خير وحق وعدل ، فدلنا على الديموقراطية عند اتباع محمد .

اجل قرائي الاعزاء ان محمداً نبي بعث ليتمم مكارم الاخلاق ، فتعالوا معي الى فرائد التاريخ الاسلامي وكنوزه ، نستخلص منها الشواهد على ديموقراطية المؤمنين بمحمد .

لقد انتقلت اعباء القيادة الدينية والزمنية بعد وفاة الرسول الى ابي بكر الصديق ، فأنفذ اسامة بن زيد على رأس جيش الى الشام ، وزوّده بهذه الوصية التي يجب ان تكون دستوراً للناس في القرن العشرين : قال ابو بكر لجنود اسامة :

« لا تخونوا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تغدروا ولا تحقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا لمأكله ، وسوف تمرون باقوام حبسوا انفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا انفسهم له » .

الا فليسمع جزارو القرن العشرين ، ليسمع اولئك الذين ازهقوا مئتي الف نفس بشرية بريئة بقنبلة ذرية واحدة ، محت من الدنيا مدينة « هيروشيما » .

ليسمع اولئك الذين لا يرحمون طفلا ولا شيخاً ، ولا امرأة .. في المغرب العربي

ليسمع اولئك الذين اتخذوا الغدر ديدنا وخطة .

ليسمع اولئك الذين يرون النصر كل النصر في احراق الارض وما عليها .

وتدمير ما اقامه جهد الانسان فوقها .

ليسمع اولئك الذين تلعنهم كل شجرة مثمرة قطعوها، وكل روح دابة ازهقوها

ليسمعوا وليتلمذوا على الاسلام .. الذي اراد ان يحفظ للانسان كرامته حتى في ساحات الحروب .

## صفحة ناصعة :

لنقلب صفحة ثانية من صفحات تاريخنا .. فهذا عمر بن الخطاب يتولى شؤون المسلمين ، فيشعر منذ اللحظة الاولى التي تنتقل اليه فيها اعباء القيادة ، بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، فيصمم ان يرضي الله ورسوله وضميره والشعب .

ولكي نصوّر ديموقراطية ابن الخطاب نحب ان نذكر هذه الحادثة البسيطة التي تحمل في مطاويها اعمق معاني الديموقراطية واسمى مظاهر الانسانية :

لقد كان عادة هذا الخليفة العظيم ان يتفقد احوال الرعية متنكراً متستراً بظلام الليل وصدف ان سمع في احدى جولاته الليلية صبية يبكون ، فاحب ان يستطلع الامر ، وسرعان ما توضحت له خطوط المأساة .

لقد رأى عجوزاً تضع قدرها على النار ، وصبيتها من حولها يضجون . انهم جياع يقض الطوى مضاجعهم ، وليس في الكوخ ما يسد الرمق ، وليس باستطاعة العجوز المسكينة ان تتغلب على البؤس الذي يصارعها ويصارع صغارها ، فلجأت الى الحيلة تخدع بها الصبية دون ان يتاح لها ان تخدع الجوع .

ووضعت على النار قدراً وملأته ماء وتركته يغلي . وكانت كلما الحّ صغارها في البكاء تسرف في تهدئتهم ، وإيهامهم ان الطعام المؤمل قارب ان ينضج ، علهم يلتهون بالوعد عما هم فيه فيناموا .

رأى الخليفة هذه المأساة الحية ، ففاضت عيناه بالدموع ، وسارع الى بيت المال فحمل على ظهره كيساً من الدقيق ، وقصد بيت العجوز التي تخدع صبيتها ، فقرع بابها والقى الكيس بين يديها ، ثم باشر في اعداد الطعام لصغارها . وكان كلما خبت النار أو كادت ، ينحني عليها لينفخ فيها ، فيتطاير رمادها الأغبر ، ليتخلل لحيته ، ويملأ عينيه ، حتى اذا نضج الطعام وأكل الصبية استراح ضمير عمر .

... هل في تاريخ الامم التي تتشدق اليوم بالديموقراطية أمثولة كأمثولة عمر.

## امثولة رائعة

وما دمنا نتحدث عن الديموقراطية .. فإليكم أيضاً هذه القصة التي يرويها التاريخ باعتزاز عن ابن الخطاب .

اعتلى عمر المنبر مرة ليخطب الناس فقال : ايها الناس اسمعوا وأطيعوا . فانتصب من بين المصلين بدوي رث الهيئة زري المنظر ، وجابه خليفة المسلمين قائلا : لا سمعاً ولا طاعة يا عمر .

وثارت ثائرة المصلين ووثبوا الى البدوي الجلف يريدون ان يحسنوا تأديبه ، وان يعلموه كيف يخاطب امير المؤمنين . ولكن ابن الخطاب يصيح بهم : دعوه !

... وهدأت الخرضاء ، وبقي بريق العيون الغاضبة الحانقة ينصب مخيفاً مرعباً على رأس البدوي .

وسأل عمر البدوي المتمرد الذي لا يريد ان يسمع ، ولا يريد ان يطيع ، سأله برفق : ولم يا اخا العرب ؟

وارتفع صوت البدوي متهماً ، قال للخليفة ما معناه : لقد زعتم الحبرات اليمانية التي غنمناها فأصاب المحارب منا حبرة من هذه الحبرات ، وقد حاولت وانا

المتوسط القامة ان اجعل منها ثوبا لي فلم تكفني ، وها انذا اراك وانت الرجل الطويل الفارع ، ترفل بثوب من تلك الحبرات .

وسكت البدوي ... وظل صدى صوته يصفع ابن الخطاب بهذا السؤال : من اين لك هذا ؟ من اين .. يا عمر ؟

ومرة ثانية يثور الضجيج . فالبدوي الوقح يتهم امير المؤمنين ، يتهمه بالاثرة والتوسيع على نفسه من مال الامة . يتهمه بأنه يأخذ من الغنائم اكثر مما يأخذ المجاهدون .

ومرة ثانية يبدىء ابن الخطاب من ثورة الغاضبين ، ويبتسم للاتهام الخطير ، ابتسام الواثق من البراءة ثم يلتفت الى ابنه عبدالله قائلا :

اجبه يا عبدالله !

ويقف ابن الخليفة ليعلن على الناس كيف لبس امير المؤمنين ثوباً من الحبرات اليمانية التي لاتكاد الواحدة منها تكفي لثوب رجل واحد ، واوضح لهم انه تنازل عن نصيبه من الغنيمة لوالده فجعل من الحبرتين معاً ثوباً له .

واقتنع الاعرابي المتشكك بعدالة الخليفة ، وادرك انه اسرف في سوء الظن ، فاغرورقت عيناه ، ووقف وهو يحبس الدمعة بين اجفانه ، ويقول بإجلال واكبار : الآن سمعاً وطاعة يا امير المؤمنين :

## اختيار الحكام :

وكان عمر اذا استعمل الولاة على الامصار ، يقول لهم : اني لم استعملكم على امة محمد ولا على اشعارهم ولا على ابشارهم ، وانما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق ، وتقسموا بينهم بالعدل ، فإذا خالف الامير

الوصية ، فشتم احداً من الرعية ، او ضربه ، او حابى احداً في العطاء ، او صانع احداً في القضاء ، او احتجب عن الناس وتهـــاون في خدمتهم ، كان لعمر معه موقف ينتهي دائماً الى الاقتصاص للرعية من الامـــير او مصادرته او عزله ، او الى هذا كله .

والواقع ان اكثر العمال الذين عزلهم عمر إنما عزلهم لخيانتهم في الاموال العامة ، او لاستطالتهم على الرعية ، او لعجزهم عن خدمة الشعب ، ولكنه لم يعزل عاملا لمجرد ان اجتهاده في الامور مخالف لاجتهاد عمر ، وإنما كان يراقب عماله ، وينصحهم احياناً ، ويأمرهم احيانا ، لقد كان عمر « محكمة تمييز » بالنسبة لهم ... لا تمنع الاجتهاد ولكنها تمنع سوء الاجتهاد ، ومن الحق ان نقول ان مراقبته لعماله كانت شديدة الوطأة ، وكان يتدخل في كل كبيرة وصغيرة ، لانه كان يعد نفسه مسؤولا عن عماله متحملاً لأوزارهم .

فقد كان يجمعهم في موسم الحج ، ليحاسبهم ولينظر فيما عملوه طول السنة . وليصغي الى شكاوي الرعية منهم ، وكان اذا ثبت له ان الامـــير ضرب احداً من الناس ، اعطى المضروب درّته وقال لهم : هلم اقتص من الامير .

وكان إذا بعث بعامل يشترط عليه ان لا يركب برذونا ، ولا يلبس رقيقـــا ، ولا يأكل نقيا ، ولا يتخذ حاجبا .

وقد بلغه مرة ان عامله على البصرة خالف هذه الوصية ، فكتب اليه : بلغني انه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ، ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ، فإياك يا عبدالله ان تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصب ، فلم يكن لهـــا همٌ إلا السمن وانما حتفها في سمنها .

## محاسبة الولاة :

وأخبر ان عامله على مصر يلبس الرقيق ، ويتخذ الحاجب ، فأمره عمر بالقدوم فقدم عليه ، فلما رآه قال : إنزع قميصك ، ودعا بمدرعة صوف ، وبربيضة من غنم وعصا ؛ وقال له : البس هذه المدرعة ، وخذ هذه العصا وارع هذه الغنم ، أسمعت ؟ قال نعم ، والموت خير من هذا .

وسأل اهل حمص عن اميرهم عبدالله بن قرط فقالوا : خير امير : إلا انه قد بنى علية يكون فيها ؛ فأمر احد رجاله فجمع حطباً واحرق باب علية الأمير .

وكتب الى سعد بن أبي وقاص اميره على الكوفة ، وكان استأذنه في بناء بيت يسكنه : « ابنِ ما يسترك من الشمس ويكفيك من الغيث » .

وكان عمر ينهي عماله عن قبول الرشوة ، ويمنعهم من التجارة . فمن اتّجر قاسمه ماله . ومن عماله الذين صادرهم ، ابو هريرة عامله على البحرين . فقد اخذ منه ما ربحه من التجارة وجعله في بيت المال ، فليس من شأن الامراء ان يشتغلوا بالتجارة ويزاحموا الرعية في عملها ورزقها .

وطلب عمر في زيارته للشام ، ان ترفع اليه اسماء الفقراء ، فرفعت اليه رقعة فوجد فيها اسم سعيد بن عامر اميره على حمص ، وكان أهل حمص قد شكوه الى عمر وقالوا : انه لا يخرج اليهم حتى يتعلى النهار فسأله عمر عن ذلك فقال :

نعم ، فليس لأهلي خادم ، اعجن عجيني حتى يختمر . ثم اخبز خبزي ، ثم أتوضأ ثم اخرج اليهم .

## بين عمر وعامل حمص :

واستعمل عمر على حمص « عمر بن سعد » ثم كتب اليه : ان يقدم عليه . فقدم ماشياً ، حافياً ، معه عكازته وادواته (١) ومزوده وقصعته على ظهره ، فعجب عمر من حاله . وقال له يا عمر أخنتنا م البلاد بلاد سوء ؟ فقال : يا امير المؤمنين اما نهاك الله عن سوء الظن وما ترى من سوء الحال وقد جئتك بالدنيا اجرهـا برقابها ؟

قال عمر : وما معك من الدنيا: قال : عكازي اتوكأ عليها وادفع بها عدواً ، ان لقيته ، ومزودي أحمل فيه طعامي ، وادواتي هذه احمل فيها ماء لشربي وصلاتي ، وقصعتي هذه أتوضأ فيها واغسل رأسي . فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الا تبعاً لما معي .

ما قرأت مثل هذه الاخبار المنتثرة في زوايا تاريخنا العربي الرائع ، الا وتواثبت في ذهني ، صور من المقارنة بين اولئك الاجداد ، وهؤلاء الاحفاد ، بين ولاة الامس واولياء اليوم ، الذين يعتبرون الخدمة العـامة وسيلة للاثراء والكسب غير المشروع ، والذين يعتبرون الاموال العامة ، رزقاً مستباحاً يحل لهم أكلها بالباطل ، والذين تستهويهم مظاهر السلطان الزائل فلا ينتقلون إلا بموكب ، ولا يتحركون الا بضجيج يصطفونه حولهم ليضفي عليهم هالة من العظمة ، والأبهـة الفارغة ، والوقار السخيف .

لقد كانت العدالة عند اجدادنا ، هي الجند الحارس الامين لذي السلطان يحتمي بها ، ويستظل بظلها . اما اليوم ، فالبنادق التي لا تنام ، والجند المدجج الذي لا يستقر ، والاسوار التي لا تقهر ، هي الحرس الذي يحشده الحاكم لحماية نفسه من

---

(١) اناء صغير من جلد يتخذ للماء ( المطهرة )

مظالمه . هذه المظالم التي يزرعها في كل مكان فلا يحصدها إلا نقمة وثورة ولعنة في اهون الاحوال .

## ديموقراطيتنا وديموقراطيتهم :

لقد ضربت لكم ـ قرائي الاعزاء ـ فيما سبق الامثلة على ديمقراطية الاسلام في كل مجلى من مجالي الحياة ، وسأحاول ان استعرض معكم بعض « العينات » من ديمقراطية الغرب .

لن ارجع بكم القهقرى الى العهود التي كان الغرب يرزح فيها تحت وطأة الجهل والهمجية ؛ فستقولون إن الديمقراطية لا يمكن ان تنشأ في كنف الجهل ، ولا يعقل ان تترعرع في ظل الهمجية .

لن احدثكم عن محاكم التفتيش في اسبانية ، وعن تلك المجازر الرهيبة التي اقترفها الوحش الهائج وقضى بها على مئات الالوف من العرب ، لا لذنب الا لانهم حملوا الى الغرب رسالة النور والتهذيب والسمو والتمدين .

ولن احدثكم عن الحروب الصليبية ، تلك الحروب التي التقت فيها نذالة الغرب بنبل الشرق .

لن احدثكم عن ذلك الحقد الوحشي ، الذي دفع بالكتائب العطشى الى الدم ، فانطلقت باسم المسيح ، تدنس مقر المسيح ، وتقوض دعائم المحبة التي اقامها ، وتنشر الدمار في ارض السلام التي اراد لها ان يظللها غصن الزيتون .

لن احدثكم عن كل ذلك ، وانما سأضرب صفحاً عنه ، وانتزع امثلتي من عصور النور ؛ من العصور التي بلغ الغرب فيها ذروة الرقي المادي وهوى فيها مع الاسف ، الى اسفل دركات الانحلال الروحي .

## ماذا تفعل فرنسا ؟

يعلم الجميع ان فرنسا ، ما لبثت منذ ثورتهـــا تدل على الدنيا ، بما طلعت عليها من مبادىء قررت حقوق الانسان. فتعالوا نتتبع ديمقراطية فرنسا، أم الحريات.. تعالوا نتفحص سلوكها تجاه الشعوب لنلمس الخدعة الكبرى ، التي اختبأت وراء البرقع الحريري الرائع .

أليس من المضحك حقاً ان ترتفع عقيرة فرنسا مثلا لتردد على مسمع الدنيا ، أسطوانة أمجادها، ولتتغزل بالحريات وكرامة الانسان، ثم تنكفىء لتنكل بالحريات ولتنتهك ـ بكل استخفاف ـ كرامة الانسان .

## مجازر الجزائر :

لن أذكركم بفظائعها في سورية ولبنان ، وكلنـــا ما زال يذكر كيف غرست أرضنا مآسي ، وإنما أود ان انقل اليكم شهادة وردت على لسان أديبين فرنسيين معاصرين ، اصدرا مؤخراً كتاباً عن الجزائر سمياه «الجزائر الخارجة على القانون» وقد نشرت مجلة الآداب البيروتية ملخصاً له في عددها الصادر في آذار ١٩٥٦ ، فاستمعوا بالله عليكم الى « كوليت وفرنسيس جونسون» يؤديان امام التاريخ هذه الشهادة ؛ ويعطيان بعض الأمثلة عن بطش فرنسا بالجزائريين فيقولان :

« في مساء السادس من نيسان عام ١٨٣٢ يوجه القائد Rovigo حملة على قبيلة «أليفا» في الجزائر فيذبح جميع اهليها ، دونما تفريق بين شيخ او طفل ، بين امرأة او رجل ، ويحمل الظافرون بعد ذلك رؤوس القتلى على رماحهم » .

« وفي تشرين الاول من عام ١٨٣٦ ترسل الرؤوس كما ترسل الهدايا وتباع الماشية، لقنصل الدنمارك ، ويعرض باقي الغنيمة في سوق باب الزون ، حيث ترى

أساور النساء ، وهي ما تزال في معاصمهن المقطوعة ؛ واقراطهن المتدلية من قطع آذانهن ، ويتوزع الظافرون الصفقة ، ويؤمرسكان مدينة الجزائر بعد ذلك باشعال النار في حوانيتهم ابتهاجاً بهذا الحادث السعيد » .

« ذلك ان الفرنسيين المعتدين ، اخذوا يتذوقون حملات الافناء هذه ، وقد خلق لدى محاربيهم ذوق خاص ، للاستمتاع بفنون التعذيب والتقتيل ، وفرض الغرامات المالية فوق ذلك ، بل خلق لديهم ولوع خاص بالغـــدر والضحك من الوعود والاستهزاء بالعهود والحدود ، فهذه قبيلة تعذب بعد ان اعطيت وعداً بأن تصان ، فيسلب منها أولا مائة الف فرنك ، وتؤخذ أملاكهـــا دون تعويض ، بل يكره بعض المالكين على ان يغادروا منازلهم ، لتخرب بعد ذلك ، وليدفعوا نفقـــات تخريبها ، بل نفقات تخريب الجامع هناك ، وهذه معابد وجوامع وقبور وحرمات تدنس وتنتهك ، وها هم أولاء اتباع الحاكم « Bugeaut » يتغنون عام ١٨٤٢ بالحرائق التي شهدوا نارها الجميلة في قرى : بني مناصر ، وبني سالم ، وبلقاسم »

## فظائع مريعة :

ويتابع المؤلفان سرد فظائع فرنسا قائلين « وهكذا يتردّى الفاتحون في مجون الفتح ، فيتلاعبون بالانفس تلاعبهم بصيد ، ويشرون الضحايا كما تشرى طيور البر ، فيدفع ثمن زوج من آذان المواطنين عشرة من الفرنكات ، ويبحثون خاصة عن صيد النساء ، فهو عندهم صيد رفيع كامل يحتفظون ببعضه ، ويساومون على بعضه الآخر مقابل الخيل ، ويبيعون بعضه بالمزاد العلني .

وأجمل بدعهم حرق الجماعات . واليكم وضعاً موجزاً للحريق الذي امر به ، عام ١٨٤٥ ، وأي قـــلم يستطيع وصف ذلك المشهد ، كما يقول أحـــد الجنود الذين وصفوه :

« في قلب الليل وفي ضوء القمر ، ترى فريقاً من المحاربين الفرنسيين مشغولين

بايقاد نار جهنمية ، وتسمع الأنين الاصم من رجال ونساء وأطفال وبهائم ، وتصل اليك اصوات الصخور وهي تتفتت ، وفي الصباح تدخل الكهوف الثلاثة التي أحرقت ؛ فترى في مدخلها الثيران والحمير والخراف ، وبين هذه الحيوانات ، وتحت أرجلها تجد الرجال والنساء والاطفال ، وتشهد بعينيك رجلا ميتاً ركبته على الارض ، ويده ما تزال ممسكة بقرن ثور ، وامامه امرأة تحمل صغيرها على ذراعيها ، وتعد القتلى في هذه المغاور الواسعة ، فتبلغ عدتهم ٧٦٠ جثة » .

## شاهد من اهله :

هذه شهادة يؤديها فرنسيان . وقد استقيا معلوماتها عن تقرير لجنة التحقيق التي قامت بأعمالها بين ايلول وتشرين الثاني عام ١٨٣٣ . فلننتقل الى عصر الذرة فماذا نجد ، إن الاساليب نفسها ما تزال تستخدم ، والارهاب الفرنسي في المغرب العربي يعتمد على خطة واضحة يعتبرها أنجع الوسائل للقضاء على روح المقاومة ، ألا وهي الافناء . واليكم قصة تناقلتها الصحف ووكالات الانباء ، في بدء الثورة المغربية الاخيرة .

لقد جمع الفرنسيون جميع سكان احدى المدن الجزائرية ، وصبوا البترول على وجه الماء في المستنقعات القريبة ، ثم امروا الجموع بالتوجه الى هذه المستنقعات و وعندما لاحظوا ترددها فتحوا عليها نار البنادق والمدافع الرشاشة ، فاندفع الناس الى الماء ، يحتمون به من الرصاص ، حتى اذا غصت المستنقعات بالرجال والنساء والاطفال ، أشعل المستعمرون النار فيها ، ولم يكد ينتصف النهار ، حتى كان عدد الذين قضوا بهذه الطريقة ، غرقاً وحرقاً وقتلاً يزيد على السبعين الفاً .

وأي شاهد على ديمقراطية فرنسا ابلغ واصدق ، من هذه الحرب الافنائية ، التي تشنها فرنسا اليوم على الجزائر ... وتحشد لها مئات الالوف من الجند ، وكل ما لديها من قوى الجو والبر والبحر .

## ماذا تفعل بريطانيا :

وهناك ايضاً مثالا صغيراً على ديمقراطية بريطانيا ؟

اسألوا ثرى النيل ، وساحات بغداد ، وربوع الهند ، بل اسألوا فلسطين الشهيدة ، اسألوا مليون متشرد عربي ، أرادت لهم ديمقراطية الانكليز ان يموتوا جوعاً وبؤساً وعرياً ارضاء لحفنة من الافاقين وحثالات الشعوب .

اسألوا طبريا وحيفا واللد والرملة ودير ياسين ، اسألوا تاريخ دنيا العرب يأتكم الجواب صريحاً لا غموض فيه ولا ابهام : ان نكبة العرب الكبرى من صنع الانكليز ، فهم اساتذة في فن الخيانة والتدجيل على الشعوب ، والتنكر للعهود والمواثيق وازدراء كلمة الشرف ، مدّ لهم الحسين يد الولاء ، ويمين الوفاء ، فطعنه خنجر غدرهم . وطالبهم فيصل بتحقيق الوعود ، وحرية العرب ، فأودت بهم مؤامراتهم . وأنسوا في غازي انتفاضة الإباء ، فهصروا شبابه الريان . وظلوا يناصبون أمة العرب العداء ، يحبكون لها الدسائس ، كلما جمعت عزمها ، وحاولت أن تنهض من كبوتها ، وان تقف على قدميها .

## ماذا تفعل امريكا :

قد يقول قائل وما قولك بديمقراطية الأميركان ، حماة الحريات الأربع ونافحي الانسانية أمثال : واشنطن ولنكولن وسواهما ؟ لن أتعرض — قرائي الاعزاء — جواباً على هذا التساؤل ، إلى الدور الانساني اللاديمقراطي ، الذي ما برحت أميركة تلعبه منذ ربع قرن تقريباً والذي مثل فيه الرئيس ترومان فصلا رهيباً .

لن أتعرض الى المجزرة التي أثارتها أميركة في كوريا ، ولن أبين مدى مساهمتها

في نكبة فلسطين . فقد يكون في التعرض الى هذه الامور ، ما يحمل الشك بأنني أعطي الحكم مشوباً بعيب التحيز ومآخذ الانفعال .

ولكني أود أن أبحث ديمقراطية الاميركان، من زاوية أخرى ، وأنا مقتنع تمام الاقتناع بأن المهزلة الكبرى: مهزلة الحريات الاربع . ومبادىء ولسون لم تعد تغني الاميركان شيئاً بعد اليوم .

## امثلة من ديموقراطية اميركة :

إن أميركة التي تعتز بحرياتها الاربع . هي اليوم موطن العبودية . . . موطن التمييز العنصري . . . في زمن انهارت فيه كل العبوديات ، بما فيها عبودية الالوان .

واليكم بعض الامثلة :

لا تزال في أميركة بعض المناطق يحرم على الزنوج دخولها . وبعض الاماكن لا يباح لهم ارتيادها ، وقد حرمت قوانين بعض المقاطعات الأميركية على الزنوج أن يركبوا في القطر أو الاوتوبيسات التي يركبها البيض .

ومن منا لم يقرأ مأساة الطالبة الزنجية، المسز «أرثولوسي»، تلك الفتاة المسكينة التي أقامت مشكلتها أميركة ولم تقعدها فترة طويلة من الزمن . لقد دفعها حب العلم والرغبة به الى أن تقصد جامعة تكساس ، وأن تعمل بكل الوسائل على الانتساب اليها ، وقد تمكنت بعد جهد من الوصول الى بغيتها ، ولكنها ما كادت تنجح في ذلك ، حتى اعتبر الاميركيون قبول زنجية في جامعة «أميركية» إهـــانة لا تغتفر لكرامتهم ، وقامت المظاهرات احتجاجا على ذلك ، وانفلت الناس هائجين ، مطالبين بإخراجها من الجامعة، ومعاقبة المسؤولين ، الذين مهدوا لها السبيل وأتاحوا لها الدخول .

ونزلت الجامعة عند ارادة الاميركيين « حماة المدنية» فطردت الطالبة، وعندما

تطوع أحد المحامين للدفاع عنها ، ولتبني قضيتها ، انهالت عليه كتب الاستنكار والاحتجاج ، والتهديد بالقتل إن هو استمر في غيّه ، وفي تدنيس الشرف الاميركي الذي لا يرضى أن يزامل الابيض زنجي .

## اللون المجرم :

واليكم ـ قرائي الاعزاء ـ حادثة اخرى بسيطة ... ولكنهـا قوية الدلالة ، رائعة التعبير نشرتها الصحف مؤخراً ، وهي ان دلت على شيء فإنما تدل على نمط جديد من ديمقراطية الاميركان .

لقد غصت قاعة مسرح «برمنغهام» في إحدى الليالي بالرواد ، وقد جاؤوها للاستماع الى المغني الزنجي المشهور « ناث كول» وما أن صعد المغني خشبة المسرح حتى ثار الاميركيون البيض، الذين كانوا في القاعة ويقدر عددهم بـ ٣٥٠٠ شخصاً ، وتقدم منهم عشرات فهاجموا المغني وانهالوا عليـه ضرباً ولكماً ، لا لسبب إلا لانه زنجي .

قد يعتقد الكثيرون ان التمييز العنصري غير قانوني في أميركا .

فإليكم هذه الحادثة الثالثة : لقد مرت إحدى الفتيات «الطائشات» فتيات الشارع الاميركي ، وما اكثرهن ، أمام فتى زنجي مراهق ، فانتشى المسكين وراعه الجمال المتبرج المستهتر ، فند من بين شفتيه صفير إعجاب .

أفتدرون ماذا كـان جزاء الفتى ؟ لقـد هجم عليـه شابان اميركيـان وانهالا عليه طعناً بالمدي حتى لفظ أنفاسه ومات من يومه . الى هنا والامر عادي بالنسبة للأميركان ، ولكن أتدرون ماذا كان جزاء القاتلين ؟

لقد أعلنت المحكمة براءتهما ورفضت حتى تغريمهما بجزاء نقدي ، لا لشيء إلا لان المغدور زنجي تحرش ببيضاء ... ولم يشفع له ان الفتاة لعوب ، وانها من فتيات الطريق ، وانه لم يزد على « ابداء اعجابه بها » .

## لا وجود للديموقراطية :

أبعد هذا كله يحق للغرب ، أن يتشدق بالديمقراطية ؟

أهي ديمقراطيـــة حقا ، أن يحارب الغرب الاحرار في كل مكان ، وان يخنق الحرية في كل أرض ؟

اهي ديمقراطية حقاً ، ان يحصد رصاصه الغاشم ، طلاب الانعتاق انى كانوا ؟

اهي ديمقراطية حقاً ، ان تتآمر دول الغرب على كل شعب ضعيف لتتقاسمه تحت سمع هيئة الامم وبصرها وبمعرفتها ؛ وتسرق خيراته باسم الديمقراطية وحماية الحريات ، وتحرير الشعوب

اهي ديمقراطية حقاً ، ان تتساند هذه الدول ، كلما ارادت امة مظلومة من امم الشرق ، ان ترفع الكابوس عن كاهلها ، والنير عن عاتقها ، فاذا ذئاب الغرب لها بالمرصاد ، يخنقون كل انتفاضة ، ويكبتون كل حركة ، ويصعقون كل منـــاد بالتحرر ، او عامل لوحدة الاوطان ؟

## انبعاث الديموقراطية العربية :

ليعلم المتشدقون بالديمقراطية ، ان العرب والمسلمين ، قد استفاقوا اليوم ، على الحقيقة الرهيبة والواقع المرّ ، وانهم باتوا يدركون ماذا تعني هذه الكلمة ، حـــين يتغنى بها الغرب ، ويترنم باسمها . انهم يعرفون انها المصيدة ، التي ينصبها العدو الماكر ؛ للطريدة الساذجة . ولم نعد والحمـــد لله سذجاً يسهل إيقاعنا في الشراك وحبائل المصائد .

ان الديمقراطية التي نؤمن بها ، ونعمل لها ، هي ديمقراطية الاسلام ، الاسلام الذي أعطى امثال الخلفاء الراشدين وسواهم من الابطال الذين اسهموا في تقدم الانسانية ، ورفاه البشرية ، وملأوا الدنيا عدالة ومحبة ، واخوة ومساواة ، ونشروا في الارض الطمأنينة ، والحق والسلام .

# الإشتراكية الاسلامية

* الاسلام ابو الاشتراكيـــة قبل ماركس وانجلز واضرابهما ، وهو الذي نادى بالاشتراكية المنظمة ، وقضى على الطبقيـة ، والفى فروق اللون والجنس والدم ، وفتت الملكية الواسعة ، ورسم المناهج للقضاء على الفقر . وجعل هذه المناهج ركناً من اركانه .

* الاعتدال صفة ملازمة للاسلام في تشريعاته المالية ونحن لا نطالب بالتقشف ، ولا بالحرمـــان ، ولا بشظف العيش ، ولكننا ننعم بالحياة ونستمتع بطيباتها دونما ترف ولا اسراف .

* ان المسؤول ، حين يحفظ للعامل حقـــه ؛ ويصون مستقبله ؛ ويسيجه من عوادي الزمن ونوازله ، انما يؤدي عبادة لله ؛ عبادة ليس السجود والركوع قوامها ، ولا الذكر والاوراد شكلها ، بل قوامها صيانة الحقوق والعمل بروح الاسلام ، واوامر الله .

في هذه الغمرة من الصراع العقائدي الذي يجتاح العالم يبدو ان الاشتراكية هي

النظام الذي سيكتب له النجاح ، كوسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية التي ينادي بها الناس ، وكقاهر جبار لذلك الفراغ الطبقي الذي كان وما زال بذرة الحقد المدمر ، المودي بالحضارات ، وبكل ما يبني الانسان من خير وحق وجمال .

وقد وقف الناس في شرقنا العربي من الاشتراكية مواقف مختلفة ، فمنهم من تعامى عن حسناتها كلها ، واعتبرها شراً محضاً . وهؤلاء هم الرأسماليون وانصاف الرأسماليين ، ومنهم من ارادها متطرفة جارفة حاقدة ، بل شيوعية بكل الظلال العامية للكلمة . وهؤلاء هم الذين لا يؤمنون بالاعتدال . ومنهم من وقف يحاربها باسم الدين ، والدين براء من منطقه ؛ ومنهم من شوهها ، واتخذها ستاراً لجر المغانم وكسب الامجاد الرخيصة .

ولا يعنينا من هذه المواقف إلا واحد . هو موقف اولئك الذين يحاربون الاشتراكية باسم الدين ، ويناهضونها زاعمين انها تناقض جوهره ولا تأتلف مع تعاليمه .

هذا ما سنحاول بحثه الآن .

## الاشتراكية قبل ماركس :

قبل ان يكون ماركس وانجلز وسواهما من فلاسفة الاشتراكية . كان الاسلام أبا للاشتراكية ، وكان محمد ابن عبد الله إمامها الاول :

الاشتراكيون أنت إمامهم ... لولا دعاوى القوم والغلواء

داويت متئداً وداووا طفرة ... وأخف من بعض الدواء الداء

انصفت أهل الفقر من أهل الغنى ... فالكل في حق الحياة سواء

فلقد جاء الاسلام والناس فوضى ، والطبقية المشينة تجلد بسوطها الكافر كرامة الانسان فأراد الدين الجديد ان يعيد للانسان كرامته المسفوحة ، وان يقيم بين الناس علائق اساسها المحبة ، وقاعدتها الاخوة ، وركنها العدالة ، ولم يكتف بهذا الوجه من الاصلاح بل تجاوزه الى الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي . فالى اي حد استطاع الاسلام ان يكون اشتراكياً في سائر وجوه الحياة ونشاطاتها ؟

## الاسلام والرأسمالية :

رأى الاسلام ان الفقر اساس كل مشكلة ، وانه هو الذي يقيم نظام الطبقات وينمي الحقد الطبقي ، فنادى بالاشتراكية المنظمة التي تقضي على الفروق المادية القائمة بين الناس ، وجعل للفقراء حقاً معلوماً في اموال الاغنياء :

«والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وفرض على الاثرياء الموسرين ان يخرجوا زكاة اموالهم ، ويعطوها للفقراء والمحتاجين ، لا كصدقة تذل كرامة الفقير وتطعن كبرياءه ، بل كحق له مفروض ، ونصيب له معلوم .

وبذلك كانت فريضة الزكاة ركيزة اشتراكية ضخمة المجتمع الاسلامي ، إذ انها اقامت التوازن الاقتصادي بين الطبقات ، وهي تشبه الضريبة المفروضة في عصرنا الحديث على رأس المال مع فارق واحد هو ان الضريبة الطوعية « الزكاة » كانت اشمل من الضريبة الجبرية على رأس المال ، فهذه تتناول الرأسمال فقط ، اما تلك فتتناول الحلى والجواهر ، والعقارات وكل ما يمكن ان يمتلكه الانسان .

ان المال في نظر الاشتراكية ملك الدولة . اما في نظر الاسلام فهو ملك الله ، يتصرف به الانسان في حدود المصلحة العامة اولاً فمصالحه الخاصة ثانياً ، فان اساء التصرف بالبخل او التبذير او سوء الاستعمال ؛ اوجب الاسلام على الدولة مصادرة

المال واعادة توزيع الثروة العامة حسب المقتضيات والاحوال .

ولم يحرم الاسلام الملكية الخاصة الا لانـــه وضع من ناحية ثانية ضوابط لها ، تكفل بقاء التوازن الاقتصادي قائماً .

وهذه الضوابط هي : الزكاة ، والوقف ، وقانون الوراثة ، وتحريم الاسراف والتبذير والفائدة والربا ، ومبدأ المصالح المرسلة ، ومبـــدأ شيوع الموارد العامة ، ومبدأ تحريم الترف والاسراف ومبدأ تحريم الكنز .

## تشابه نظام الوقف والنظام الاشتراكي :

ان نظام الوقف يعني ابقاء عين الارض محبوسة على الجهة المعينة لها الى قيام الساعة ، فلا يمسها تصرف ما ، اما غلتها فتنفق في الوجوه التي حددت لها ، من وجوه الخير الموجودة او التي ستوجد . وهـــذا يعني ان الفقه الاسلامي سمح بان يحبس اصل الارض ، وان تبذل ثارها للمستحقين . وهذا ما توسع الشيوعيون في تطبيقه وتنفيذه ، فاصبحت الارض ، كلها ملكاً عاماً لا يتناولها بيـع ولا إرث ، واصبح الشعب كله مستحقاً فيها .

## نظام الوراثة :

اما الارث ، فهو نظام استطاع بـــه الاسلام ان يحطم الرساميل ، ويفتت الملكية الواسعة ويجزيء التركة ارباعـــاً واثماناً واثلاثاً ، وقد رأى حزب العمال الانكليزي في برنامجه الاشتراكي ان يتجـــه بالمواريث هذه الوجهة ، اذ ان الزكاة هناك والالقاب ، من نصيب الابن الاكبر وحده ، لتبقى الثروات على ضخامتها وليبقى للاسر الاتوقراطية دعامتها المادية التي تعتز بها وتشمخ .

لكن اغنياء المسلمين، مع الاسف، كثيراً مايحتالون على احكام دينهم باجراءات مصطنعة للفرار من تطبيقها ، فتـــارة يحرمون البنات ، وتارة يفضلون وارثاً على وارث ، وما اكثر عقود البيع الصوري التي تنجو بها الملكيات الكبرى من التفتت والتوزيع العادل ، رغم انه أثر عن الرسول العربي العظيم انه قال : « الاضرار في الوصية من الكبائر » ثم تلا قوله تعالى : « تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنـــات تجري من تحتها الانهـــار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها » وما الحدود التي اشار اليها الله العلي الاعلى في الآية الكريمة الا انصبة المواريث ، كما وزعها على المستحقين في الآية الكريمة : « يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .. الخ »

قد يقال ان الاشتراكية تنكر مبدأ التوريث ولا تكاد تقره الا في توافه المتاع وحجتها في ذلك ان الميراث ينافي العدالة ، ومبدأ تكافؤ الفرص ، وينقل الثروة لمن لا يستحقها ... لانه لم يجنها بنفسه ، ولم يكسبها بعمله .

ولكننا نرد على ذلك ان نظام التوريث في الاسلام له ضوابطه ايضاً التي تجنب المجتمع مثل تلك المحاذير التي يلمح اليها المعترضون . فالاسلام حين حـــدد لكل وارث حظه من التركة ، وضع من القوانين ما يحول دون سوء استعمال هذا النصيب الموروث ، فسد باب الحرام في المجتمع كيلا يمكن انفاق المال في الحرام ، وحدّ من نزوات الفرد ، فاذا جنح وتجاوز الحدود الى التبذير والاتلاف ، امكن الحجر عليه الى ان يعود عن ضلاله .

## الاسلام والربا :

قال تعالى : « احل الله البيع وحرّم الربا » وهذا يعني الاّ جزاء في نظر الاسلام الا على الجهد ، وربما ان رأس المال في ذاته ليس جهداً فهو لا يربح بذاته ، انما

طريقة الربح الوحيدة هي العمل ، فلا يجوز اذن ان يكون وجود المال عندصاحبه وسيلة لزيادة المال ، باضافة فائدة اليه عند اقتراضه .

ان هذا المبدأ الأساسي في الاسلام يحول دون تضاعف المال بذاته كما يقع في النظام الرأسمالي ، ويحول دون تضخم الثروات على حساب حاجة الافراد ، واضطرارهم للاستدانة بالربا ، كما يمنع سبباً رئيسياً من اسباب الاستعمار والحروب الدولية ، ويعطي العمل قيمة في مجال الانتاج . ويحقق العدالة بين الجهد الحقيقي والجزاء على الجهد . ويمنع ان ينال القاعدون الكسالى جزاء ما يستحقونه ، وهم ينالونه في النظام الرأسمالي بمجرد توظيف اموالهم في المصارف وغيرها ، فيضمنون الربح الحرام وهم قابعون ، وتتضاعف ثرواتهم وتتضخم ، وتخل بالتوازن الاقتصادي والاجتماعي .

## الاسلام والاحتكار :

ان المحتكرين في العالم يلتقفون ـ كما قال احد الكتاب ـ السحب الهامية فيبيعونها للناس قطرة قطرة بالسعر الذي يشاؤون ، ويستولون على خيرات الارض ثم يوزعونها على الناس ذرة ذرة كما يشتهون .

فالاحتكار يخلق قوة طاغية في يد المحتكر لا يستمدها من الجودة والاتقان وحسن الخدمة وكفايتها ، وانما يستمدها من وجود الامتياز في يده او من احتكاره للسلعة في السوق ، وهذه القوة الطاغية تستخدم دائماً ضد مصلحة المستهلكين ـ اي ضد مصلحة الجماعة ـ فالمحتكر ابداً منّاع للخير ، معتد اثيم ، مضيق لفضل الله على الناس يقول له الله يوم القيامة « اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك » .

لذلك حرم الاسلام الاحتكار ، وندّد رسوله الكريم بالمحتكر فقال عليه السلام

« لا يحتكر الا خـــاطىء » « من احتكر طعاما اربعين يومـــا فقد برىء من الله وبرىء الله منه »

لقد حمل الاسلام على المطففين في الكيل فقال تعالى « ويـــل للمطففين » فماذا يكون موقفه من المحتكرين الذين يريدون ان يسلبوا الشعوب كل شيء ... دون ان يعطوها شيئاً ؟؟

واذا كان الاسلام قـــد غضب لحبة يسترقها الطمع وشره الانسان من كفة ميزان ، او جوف مكيال ، فكم يكون غضبه مستطيراً ، وعقابه شديداً لأولئك الذين يحتكرون خيرات الارض ، ويأكلون حقوق الشعوب .

## الاسلام ومبدأ المصالح المرسلة ـ اي المصالح العامة :

لقد خول الاسلام للدولة ، ان تأخـذ من اموال الاغنياء ما تقتضيه حاجـــة الخزانة العامة للانفاق على مصالح المسلمين العامة ، وما تتطلبه وقاية المجتمع والوطن من نفقات قد تعجز عن سدها الموارد العادية للدولة ، وما تأخذه الدولة في هذه الحالة ليس من الربح كما قد يتبادر الى الذهن ، ولا هو ضريبة ، او حق كالزكاة .

وفي هذا المبدأ كما يبدو تقييد لحق الملكية الفردية ، وتحديد يجعله دائمـــاً خاضعاً لحاجات الدولة العامة ، اي لحاجات الجماعة ، وخاضعاً لسلطة الدولة بلا قيد الا قيد الحاجة الاجتماعية ، وفي ظـله تملك الدولة تحقيق التوازن الاقتصادي ، لا عن طريق الضريبة فحسب بل بانتزاع النصبة من الملكية الفردية دون تعويض او رد ، لتنفق في المصالح العامة للجماعة .

## الاسلام ومبدأ شيوع الموارد العامة :

وهو ما يسمى بلغة العصر تأميم المرافق العامة . قياساً على شيوع الماء والكلأ

والنور التي نص عليها الحديث الشريف بوصفها موارد عامة لا يجوز تحديدهـا بملكية خاصة ، وبوصفها ضرورات حياتية يجب ان تظل مشاعة بين الناس . وقد رتب المذهب المالكي على هذا شيوع الركاز فلا يؤول الى ملكية خاصة . . . «فليست في نظر المالكيـة المعـادن والسوائل في محـالهـا ـ اي مناجمها ـ من الاموال المبـاحة حتى يتملكها من وجدها واستولى عليها . وانما هي ملك للمسلمين استولوا عليها باستيلائهم على ارضها لانهـا منها وثمرة من ثمراتها ، ولكنها مع ذلك لا تعد تابعة لها فلا تملك بامتلاكها » .

ولا ريب ان رد الملكية العامة في هذه المرافق للجماعة فيه قضاء على سبب هام من اسباب فقدان التوازن الاقتصادي في المجتمع ، لان هـذه الموارد تمثل القسم الاكبر من الثروة العامة تملكه في النظام الرأسمالي شركات او افراد ، وتنشأ من هذه الملكية آثار سيئة في المجتمع ، كما تصبح سبباً من اسباب المنازعات الدولية ومبررات الطغيان والعدوان ، وأساليب الاستعمار .

## الاسلام ومبدأ تحريم الترف والاسراف :

ليس الاسلام دين تقشف وشظف وحرمـان ، ولكنه دين يبيح لمعتنقيه ان ينعموا بالحياة ويستمتعوا بطيباتها « كلوا من طيبات ما رزقناكم » « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ »

غير ان ما ينكره الاسلام على معتنقيه ، تعديهم حدود الاعتدال ، وانغماسهم في الترف ، لما يورثه الترف من فساد . وتعفن في كيان الفرد وكيان المجتمع ، فلقد حدثنا القرآن الكريم ان المترفين كانوا عبر التاريخ ، علة انهيار المجتمعات ، وتقهقر الشعوب وانحلالها :

« واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فدمرناها تدميراً » .

ان الترف الذي تغرق فيه طبقة ، يقابله بالضرورة حرمان ، تعاني شظفه طبقة اخرى ، لان المترفين يمتصون دماء الجماهير ، ويستغلون جهودهـــا ، ويتصرفون بخيراتها ، ليرضوا شهواتهم ويحققوا رغبـــاتهم ، ولا شك ان مثل هذا السلوك الاجتماعي ، يفقد الجماعة روح السلام والاخاء لانه يثير احقاد النفوس ، ويوقظ حزازات الطبقية ، فضلا عما يخلفه هذا الوضع من آثام اجتماعية ، هي ابنة الشهوات القذرة التي يتفانى في سبيلها المترفون .

من هنا كانت حكمة الاسلام في تحريم التبذير والاسراف والـــترف « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » وذلك حفظاً للمجتمع من التفسخ ، والترهـــل الروحي والميوعة الخلقية .

## الاسلام ومبدأ الكنز :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ، فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

ذلك ان حبس المال عن التداول ، وكنزه في الصناديق والخزائن ، يؤدي الى اختلال التوازن المالي والتجاري والاقتصادي ؛ وبالتالي الى اختلال التوازن الاجتماعي .

وهذا يعني ان الكنز ليس سلوكاً شخصياً مؤاخذاً عليه فحسب . بل جريمـــة اجتماعية ، يجب على الدولة ان تستأصلها بما تضع من تشاريع واقية ، فحبس المال ان كان سببه البخل والتقتير فقد ندد الله سبحانه بالبخلاء والمقترين « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » وان كان سببه التهرب من الانفاق في سبيل الله ... اي في سبيل حماية المجتمع ومصالحه ، فأحر به ان يحارب ويعاقب .

قد يقول قائل ... ان ما تؤدى زكاته من مال ليس بكنز لان تحريم الكنز في

مثل هذه الحال ، افتئات على الحرية الشخصية ، وغريزة الادخار .

وجوابنا على ذلك حديث للرسول الاعظم حازم جازم ، يقول عليه الصلاة والسلام فيه :

« من جمع ديناراً او درهماً او قبراً او فضة ، ولا يعده لغريم ، ولا ينفقه في سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة » .

هذه صورة موجزة عن نظام الاسلام الاقتصادي ، تظهر فيها الخطوط الاشتراكية التي اراد الاسلام لها ان تتوضح ، وان تستقر . ولننتقل الآن الى الناحية الاجتماعية ، التي أراد الاسلام بها ان يهدم حواجز الطبقات ؛ وان يقيم اركان المجتمع الفاضل .

يتغنى عصرنا الحاضر ، وتتغنى معه النظم الاجتماعية ، والاشتراكية منها بوجه خاص ، بما حققته للمواطن من ضمانات ، وللعامل من حماية .

فإلى اي حد قدم الاسلام هذه الضمانات ، والى اي حد مجّد الطبقة الكادحة ؟!

ان الاحاديث الشريفة التي رويت عن الرسول الاعظم تشير الى ان احب الطبقات عند الله ، الطبقة الكادحة : فلقد قال عليه السلام : « ما كسب رجل كسباً اطيب من عمل يده » .

وروي انه ذكر للرسول رجل كثير العبادة لا يعمل . فقال : « من يقوم به . قالوا اخوه : قال اخوه اعبد منه . وقال ان الله يحب العبد المحترف » .

وعن انس قال : كنا مع النبي في سفر ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، قال : فنزلنا منزلا في يوم حار اكثرنا ظلا صاحب الكساء . فمنا من يتقي الشمس بيده . قال فسقط الصوام إعياءاً ، وقام المفطرون فضربوا الابنية ، وسقوا الركاب ، فقال رسول الله : « ذهب المفطرون اليوم بالأجر كله » .

ومر النبي ﷺ على رجل فرأى اصحابه من جلد احدهم ونشاطه في الاكتساب والارتزاق ما حملهم على الكلام فيه : قالوا : يا رسول الله لو كان هذ في سبيل الله ؟ فقال الرسول : إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله . وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه فيعفها فهو في سبيل الله ، وان كان يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان .

كما ورد عنه قوله : من امسى كالاً من عمل يده امسى مغفوراً له » .

فأي تمجيد للعمل يفوق هذا التمجيد ؟ الا يوازي هذا على الاقل ، التكريم الذي تريده الاشتراكية للعمل والعمال ؟

أما العامل فقد حماه الاسلام واوصى بالمحافظة على حقه ، وحذر من انتقاصه والافتئات عليه .

فأنت في نظر الاسلام ، حين تحفظ للعامل حقه ، تؤدي لله عبادة .. عبادة ليس السجود والركوع قوامها ، ولا الذكر والاوراد شكلها ، وإنما قوامها صيانة الحقوق والعمل بروح الدين ، واوامر الله .

وبعد...ما هو موقف الاسلام من مبدأ الضمان الاجتماعي الذي يشكل ركيزة من ركائز الاشتراكية الحديثة ؟؟

واليكم قرائي الاعزاء بعض الامثلة التي تدل بوضوح على تعلق الاسلام بمبدأ الضمان الجماعي والعمل على تحقيقه .

● سيق الى عمر بن الخطاب في عام الرمادة ـ وهو عام مجاعة ـ اعرابي اتهم بالسرقة ، ولما سئل الاعرابي عن التهمة اعترف بان الدافع الذي دفعه اليها قاهر

غلاب ، فهو فقير يعيش من عرق جبينه وجني يديه ، وعبثاً حاول ايجادعمل لنفسه يقيه واطفاله شر الجوع .

فمال ابن الخطاب على الصحابة يسألهم رأيهم : فأجمعوا على تطبيق الحد .

ولكن عمراً ، وهو عبقرية تشريعية خالدة ، ادرك بثاقب بصره الصلة الوثيقة بين الحاجة الملحة والجريمة ، وانتبه الى وظيفة الدولة الاساسية ، ووجوب تأمينها العمل للجميع ، واعتبر إغفالها لمثل هذا الاعرابي الفقير ، تقصيراً في القيام بواجباتها والتزاماتها نحو كل مواطن . فالتفت الى الاعرابي ، وفي عينيه دمعة أكبر من السماح وانبل ، وقال له :

اذهب يا اخا العرب . ولا تعد لمثلها .

ثم التفت الى اصحابه قائلا ما معناه :

« اجروا عليه من بيت المال الى ان يجد عملا » .

اما قصة هذا الخليفة العظيم مع الارملة العجوز ، فلا احد يجهلهـــا او يجهل دلالتها الاجتماعية ، وكذلك قصتهمع ذلك الشيخ الذمي الذي رآه يتسول عند باب المسجد فتقدم اليـه معتذراً : « يا شيخ .. استخدمناك شاباً وضيعناك شيخاً »ثم امر ان يرتب له من بيت المال ما يكفيه في شيخوخته ، ويجنبه ذل السؤال .

ومن هـــذه الامثلة يتضح ان الاسلام عرف انواع الضمان : التي شاعت في النظم الاشتراكية الحديثة ، كضمان المرض والعجز وضمان البطالة .

اما الاسلام السياسي فقد اعطى العـــالم كله اماثيل رائعة في النبل والتسامي ، والاخوة ، والمساواة والدفاع عن الحريات ، وحب السلام والديمقراطية .

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »

« انما المؤمنون اخوة »

« وكونوا عباد الله اخوانا »

« لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى »

« الانسان اخو الانسان احب ام كره »

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً »

« لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه »

بمثل هذه الضمانات كفل الاسلام للفرد طمأنينته وحريته وحرماته، فان اعتدى عليها معتد فالقصاص نصيبه ، أياً كان المعتدي ، لأن الاسلام لم يميز في قانونه ، ولا في واقعه التاريخي بين خليفة او امـــير ، وبين فرد من عامة الناس . فمحمد بن عبدالله كان يُقيد من نفسه ، وعمر بن الخطاب يسلط ذلك المصري المظلوم ، وهو ابن الشعب ، فيضرب حـــاكم مصر وابن الاكرمين . وعلى بن ابي طالب يخاصم نصرانياً سرق درعه الى قاضيه شريح ، فيحكم القاضي ضد الخليفة لان الخليفة لا يملك بينة على السارق .

فيبتسم الخليفة ويطيع .

obeikandl.com

# بين الاشتراكية والقومية

● ان الهدف الاساسي لجميع المذاهب الاشتراكية هو القضاء تدريجياً ، او بطريق العنف ، على نظام الملكية الخاصة ، وتنظيمها ، ثم الغاء الانتاج واختيار موارده وطرق توزيعه .

● اما القومية فهي مجموعة مندمجة من الاشخاص ، يتفاعلون بنفسية واحدة ، ويندمجون في صفات وخصائص واحدة ؛ ويخضعون لعواطف وتيارات واحدة ، ويعملون من اجل هدف واحد .

● لا تناقض ـ الآن ـ بين القومية العربية والاشتراكية وليست الثانية هدفاً للاولى ، لان القومية العربية متحركة وليست جامدة متطورة وليست متأخرة ، وهي بالتالي واقعية في نهجها السياسي ، ومنطقية في كفاحها الاجتماعي . وطبيعة الاحداث اليوم ، والظروف الدولية ، تحتم عليها ان تتوسل بالاشتراكية من اجل رخاء العرب واستقلالهم .

موضوع الاشتراكية والقومية موضوع شائك لكثرة ما خاض بـــه الباحثون وتعددت فيه آراؤهم ، ولكننا سنحاول قدر المستطاع ترضيح نقطة هامـــة جداً تتمثل بهذا السؤال : هل هناك تناقض بين الاشتراكيةوالقومية؟..او بكلمة اخرى هل يمكن فصل الاشتراكية عن القومية او القومية عن الاشتراكية ؟

## تعريف الاشتراكية :

يمكننا ان نفسر الاشتراكية بوجه عام على انها نظريات او حركات اجتماعية وبالتالي سياسية واقتصادية ، تهدف الى تنظيم مجتمع يقوم على صالح الغالبيـــة من الشعب ، وذلك عن طريق الملكية الجماعية والرقابـــة الجماعية لعناصر الانتـــاج والتوزيع . فهدف الاشتراكيـــة اذاً هو تحويل الملكيـــة الخاصة لعناصر الانتاج ( كالمصانع والمنشآت الكبيرة والاراضي الزراعية والمناجم ونحوها ) الى ملكية جماعية ؛وتنظيم الانتاج القومي وفقاً لخطة مركزية مرسومة تحقق الصالح العـــام لا صالح طبقات معينة ، وهي تهدف الى ازالة جميع المساوىء الاجتماعية والسياسية التي تمخض عنها النظام الرأسمالي الحر ، وترى ان هدفها الاول هو ازالة هـــذا النظام والقضاء على مـــا يترتب عليه ، من تمسك الافراد بقيم ماديـــة ضارة بالمجتمـــع وبالصالح العام .

## انظمة اشتراكية اخرى :

هذه هي الاشتراكية العلمية غير ان هناك انظمة اخرى اتخذت من الاشتراكية شكلا لها ، على حين انها ليست في الواقع ، الا اتجاهاً اصلاحياً تقدمياً يمثل خطوة الى الامام نحو الهدف الاسمى .

على ان الكثيرين من الكتاب المتأثرين بالفلسفة الماركسية يرون انسبل الاصلاح الاجتماعي هذه لا تخرج عن كونها مخدرات وقتية تؤخر الوصول الى الهـــدف

وخصوصاً اذا كانت الطبقة الرأسمالية الحاكمة هي التي تحتضن هذه الاصلاحات وتقوم بها . وقد اثار هذا الاختلاف في وجهات النظر جدلاً حاداً على مر السنين بين مدارس الاشتراكية المختلفة . ففريق يؤيد الاصلاح التدريجي وآخر يؤيد اتباع وسيلة فعالة تقلب النظام الرأسمالي من اساسه وتمحو معالم الطبقة الحاكمة وطائفة الملاكين على اختلاف انواعهم .

## اهداف الاشتراكية

اما وقد عرفنا ان للاشتراكية تفسيرات متعددة وطرقاً مختلفة في تحقيق اهدافها فانه ليمكننا ان نجعل تلك الاهداف في قائمة ترشدنا الى الاسس العامة التي تقوم عليها المذاهب الاشتراكية ؛ والاهداف التي تتضمنها القائمة المذكورة لا تعبر عن برنامج حزب اشتراكي معين؛ كما انها لا تشمل النواحي التفصيلية للمذاهب المتبعة . وانما هي قائمة عامة تتضمن رمزا او شعاراً عاماً لمفهوم المجتمع الاشتراكي وتتلخص هذه القائمة بما يلي :

اولا ــ ازالة طبقة الرأسماليين ونفوذهم . ٢) تخطية الجماعة فوق شخصية الافراد ــ ٣) تغيير نظام الملكية الخاصة بنظام ملكية جماعية ــ ٤) رفع مستوى المعيشة لعامة الشعب من جميع الوجوه ــ ٥) ازالة نظام الملكية الزراعية والقضاء على الاقطاع ــ ٦) كفالة الفرص المتكافئة للجميع دون تميز طبقي . ٧) هيمنة النظام المركزي على الانتاج وادارته طبقاً لخطة مرسومة تحقق الرفاهية للجميع على السواء .

ويتضح من هذه القائمة ان الهدف الاساسي العام لجميع المذاهب الاشتراكية هو القضاء اما تدريجياً واما بطريق العنف على نظام الملكية الخاصة ثم تنظيم الانتاج طبقاً لخطة مركزية مرسومة، باعتبار ان الدولة تكون هي المهيمنة على عناصر الانتاج وعلى توزيع الناتج القومي على افراد الشعب .

## الاشتراكية والمذاهب العنصرية :

وقبل ان ننتقل الى تعريف القومية، يجب ان نشير الى ان بعض الباحثين يقعون في خطأ جسيم عندما يتوهمون النازية او الفاشية مذهباً من المذاهب الاشتراكية ، بمجرد ان النظم الفاشية والنازية قد غطيت بتسمية هي الاشتراكية القومية . فكلمة نازية ليست الا اختصاراً لعبارة « ناسيونال سوزيالسمس » الالمانية اي الاشتراكية القومية. ان الفرق شاسع بين الاشتراكية والفاشيـــة او النازية ؛ وهو فرق في العقيدة والاسلوب والفلسفة ونظام الدولة ، بل يمكن القول ان العداء مستحكم اصلا بين النظامين منذ نقطة البدء، فالفاشية تمثل دولة تعبئية تسخر فيها كل الجهود والعوامل والامكانيات لصالح الدولة . وتختصرها كلمة موسوليني: (كل شيء هو الدولة ولا شيء خارج الدولة ولا شيء ضد الدولة ) وهي تعتمد على منطق واحد هو القوة الشخصيـــة التي هي مصدر كل قوة اخرى ؛ اي انها تعتمد على مبـــدأ الزعيم الديكتاتوري وتأليهه ، فليس الزعيم هو الذي يظهر في الملمات فينقذ البـــلاد من خطر داهم، ولكن الذي يفرض ارادته وسلطته على الامة بصورة اسوأ من تلك التي عرفتها الامم ايام الاباطرة والقيـــاصرة المستبدين . اما النازية فترتكز على اسطورة الجنس الآري المتميز والمؤهل لاستعباد الشعوب الاخرى؛ لذلك يهمنا ان نشير الى ان تسمية النازية مثلا بالاشتراكيـــة القومية ، ليست الا من قبيل الدجل السياسي والعقائدي وتضليل الناس .

## تعريف القومية :

ان اكثر الصيغ الموضوعة لتعريف القومية تثبت ان التفكير النظري عاجز عن التفرد بمعالجة مركبها؛ وهكذا رأينا المفكر الاسباني ( بيمارجال ) يجهد منذ ١٨٧٦ لالحاق مبدأ القوميات بالمبدأ الاتحادي ؛ وجعله رديفاً له . وذلك بتحديد القومية

بواسطة خصائص ثابتة فهو يقول : اذا كان يمكن لشعب ان يرضى بما يأباه بالغريزة فيدين عنوة لشعب آخر ، ويصبح تابعاً له ؛ واذا كان يكفيه ليرضى بهذا المصير ان يحترم نوع حياته ويعطي مساواة في الفرص والحقوق مع المحتلين الغالبين . وكذلك اذا استطاع ان يعيش اسوة باميركا الشمالية في سلام وانسجام مع الغاصبين ، وذلك دون اي اندماج طبقي بالمحتل الذي تفصله عنه عوامل الجنس ، واللغة ، والدين ، والشرائع ، فمن البدهي عندئذ ان تكون قاعدة القوميات ومقياسها غير منحصرين لا في وحدة القوانين ، ولا في وحدة الدين ، ولا في وحدة اللغة ولا في وحدة الجنس. اما ( اورياخ ) فيمتنع عن تعريف القومية الا بصفتها حدثاً نفسياً اجتماعياً . في حين يرى ( كيلتيي ) انها ليست الا شعوراً يضاهي الشعور الديني ويمكن ان يمارسها الانسان طائعاً او مختاراً .

وقد عرفت دائرة المعارف البريطانية القومية فقالت :(القومية مفهوم يعتوره بعض الغموض ، ولكنه يستعمل في معناه الدقيق في الحقوق الامية ، للدلالة على صفة حالة ثابتة ؛ تعين التبعية في داخل الامة او الدولة بمعنى اكثر شمولا ؛ يستعمل في المناقشات السياسية والابحاث للدلالة على مجموعة مندمجة موحـــدة من الاشخاص الذين يحيون فيما بينهم من وحدة الجنس والارض واللغة وسواها ) .

اما ( رمزي موير ) فلا يفرق بين الوطن والامة ، ولا يرى في القومية الا دلالة اجمالية على صفات الوطن وخصائصه ، ويعتبر القومية مجموعة من النـــاس الذين يشعرون بروابط طبيعية تجمعهم ؛ وميول طبيعية تبلغ من القوة ومن الحقيقة انها تتيح لهم الحياة المشتركة وتجعلها ممكنة بل مستحبة ، وتجعلهم لا يرضون ان تفرض عليهم العبودية للشعوب الاخرى .

واما ( شارل ديمورغان ) فيرى ان لفظة القوميـــة تظل غامضة المدلول ، فلا تدل الا على مناهج غير دقيقة ، والقواعد التي تقوم عليها مزعزعة غير ثابتة ، وذلك ناتج عن كثرة العوامل التي تحاول ان تثبت عليها مرتكزاتها .

وهناك من يصنف القومية في قوميتين : قومية انسانية وقومية لا انسانية والمثل على القومية اللا انسانية هو الاستعمار . فالاستعمار شعور قومي «لا انساني» وسبب

لجميع الثورات القائمة بين الامم .

وخلاصة القول ان اجماع العلماء في الفقه قائم على ان عناصر القومية هي: الجنس والارض واللغة والدين ... ولكننا لا نريد ان نسترسل في النظريات التي ساقها علماء الغرب حول هذا الموضوع بل نود ان ننتقل الى قول كلمة القومية العربية .

## القومية العربية :

من الصعب جداً تحديد اركان القومية ؛ فاللغة وحدها لا تصلح ان تكون ركناً من اركانها ، وكذلك الدين لا يصلح وحده ان يكون ركناً من اركانها ، والوحدة الجغرافية والتاريخية والمصالح المشتركة لا تصلح كل منهـــا منفردة في ان تكون ركناً من اركان القومية . فمم تتكون القومية اذاً ؟

الحقيقة هي ان القومية لا تحدد بأي عامل من هذه العوامل ، وانما تحدد اولا واخراً بشعور مجموعة من الناس انهم ابناء قومية واحدة . والدكتور الرزاز يرى انه لم يجتمع لامة من اسس القومية مثل ما اجتمع للامة العربية ؛ واول هذه الاسس وحدة الارض .. هذه الارض التي تمتـــد من اقصى الشرق الى اقصى الغرب ، ومن الشمال الى الجنوب قطعة واحدة لها جغرافية واحدة ، تتمثل في كل قطر من اقطارها المجزأة ؛ وتتلخص في احتوائها جميعاً على صحراء وجبل وسهل .

اما اللغة فواحدة منذ اربعة عشر قرناً وهي ليست ركناً بسيطاً من اركان القومية العربية لانها اشركت العرب جميعاً في حضارة واحدة ، ونتـــاج عقلي واحد منذ ذلك التاريخ حتى اليوم .

اما الركن الثالث الذي تقوم عليه القومية العربية فهو التاريخ الواحد .. هذا التاريخ الذي حمل صورة واحدة ومر على ادوار واحـــدة وصبغ هـــذا الوطن بصبغة واحدة .

واما الركن الرابع فهو وحدة المصالح والمشاكل ، غير ان هذا كله في رأي الدكتور الرزاز لا يكفي وحده لاجل خلق قوميةواحدة ، وانما الذي يكفي حقا هو ان هذا كله قد انتج شعوراً عاماً لدى سكان الوطن العربي كله بأنهم ينتمون الى قومية واحدة . وهذا الشعور لا يرجع في الاصل الى ركن واحد من هـذه الاركان التي ذكرناها ، وانما يرجع اليها جميعاً ويعلو عليها جميعاً ... يعلو عليها لانه هو الاصل اما هي فاسباب وعوامل ؛ ولو اجتمعت كل هذه العوامل معاً ولم تنتج هذا الشعور بالقومية الواحدة ؛ لما نتجت قومية عربية واحدة . وهذا الشعور ينتج باللاوعي اكثر من الوعي ؛ لأن عوامل واحدة هي التي سيطرت على ماضينا وعلى حضارتنا وعلى تراثنا ، وهي التي تشكل حاضرنا ، ولاننا نجابه نفس المشاكل بنفس العقلية ونصادف نفس الامراض ، وتسيرنا نفس التيارات .

ولا شك ان هذه القرون الطويلة التي عاشهـا الوطن العربي ـ كمجموعة ـ تسيطر عليه نفس الحضارة ونفس العقلية ، ونفس المعتقدات ونفس الخرافات ، ونفس العادات ونفس الآلام ونفس الآمـال ، لم تمض دون ان تترك آثارهـا الواحدة كذلك ، في نفس الجيل القائم اليوم في البلاد العربية .

واما الركن الخامس فهو الدين ، ولا نريد ان نقلل من اهمية هذا الركن ، فعلى الرغم من ان الدين لا يمكن ان يحدد القوميات ؛ خصوصا ونحن نعلم ان الدول التي تدين بالمذهب البروتستانتي كثيرة ، وتمثل قوميات مختلفة اشد الاختلاف ، ونعلم ان الدول التي تدين بالمذهب الكاثوليكي كثيرة كذلك وتمثل قوميات مختلفة ، وان الاسلام ايضاً يضم قوميات مختلفه اشد الاختلاف ، بينها : الهنـدي والباكستاني والتركي والايراني والعربي والاندونيسي ، الا ان الذي لا شك فيه ، هو ان الاسلام قد صبغ حياتنا العقلية طوال ثلاثة عشر قرناً ، كمـا صبغ تقاليدنا وعاداتنـا ، واساطيرنا ومعتقداتنا ، وحياتنا اليومية المعيشية .

فالاسلام في البلاد العربية لم يكن مجرد دين فحسب ، بل كان تاريخاً وحضارة

وحياة عقلية ، اثّرت في حياة سكان هذا الوطن على اختلاف اديانهم ، ووحدتهم مسلمين ومسيحيين في اطار فكري ومعيشي واحد .

## هل تناقض القومية الاشتراكية ؟

نستطيع دون تردد ، ان نجيب على هذا السؤال بكلمة لا ، فالقومية تحقيق لميل طبيعي في البشر يدفعهم للتعاون ، والاشتراكيـــة ميل من البشر لرفع مستواهم وتحسين ظروفهم الحياتية والمساواة فيما بينهم في الفرص .

ولا يطعن في القومية انها رافقت النظام الرأسمالي ، فأدت الى قيـــام الحروب لان هذه القومية قادرة على ان تعايش النظام الاشتراكي ، وتسير في ركابه ، فتمنع الحروب وتنمي روح التعاون .

واعظم ما يمكن ان يستشهد به من الواقع ، مثل الاتحاد السوفياتي نفسه ، الذي هو اقوى مظهر حتى اليوم لتعاليم كارل ماركس ، فهـــذا الاتحاد لم يقض على القوميات التي انضمت اليه ، ولم يلغ الحدود التي كانت تحـــدد بلاد التركستان او الارمن ، بل اعترف بها وقواها وانشأ في كل منها دويلة قائمة بذاتها ، ولكنه الغى طغيان القومية الروسية عليها ، القومية التي كانت سائدة في العصر القيصري ، أي انه أراد تحرير القوميات من الاستعباد ، ولكنه لم يرم الى الغاء القوميات نفسها ، بل عمل على تنشيطهـــا ، واحياء تراثها ورعاية فتوتها القومية . ولقـــد حدثنـــا صديق زار الاتحاد السوفياتي ، وتجول في جمهورياته المختلفة فأكد لنا انه لمس لمس اليد الطابع الخاص المميز لكل قومية في نطاق الاتحاد الواسع .

فاذربيجان مثلا او تركستان او اوزبكستان او ارمينيا ، تتمتع كل منهـــا باستقلالها الخاص ، ولها عاداتها وتقاليدها ولغتها القومية الخاصة بها ، ولا همّ للدولة الا تطوير هذه العادات وتلك التقاليد .

## الاشتراكية العربية :

اما في البلاد العربية ، فقد دار جدل كبير وحمي الصراع كثيراً حول ما اذا كانت الاشتراكية يجب ان تواكب المد القومي وتندمج فيه ، او ان تنفصل عنه كمرحلة لاحقة نرقى اليها بعد ان نحقق وحدتنا ونتحرر . فهناك فئة تقول بان الاشتراكية يجب الا تكون في هذه المرحلة التاريخية التي نجتازها هماً من هموم نضالنا، لان هذا النضال يجب ان يتركز بادىء ذي بدء في تحقيق الوحدة القومية ، حتى اذا ما تحققت هذه الوحدة تسنى لنا طرد الاستعمار واستئصال نفوذه وتصفية قواعده. ومن ثم .. نتفرغ لمعالجة امراضنا الاجتماعية وتنظيم حياتنا الاقتصادية تنظيما تفرضه علينا ضرورات حياتنا الجديدة ومتطلبات ارضاعنا .

الا ان هذه الفئة حين تقول هذا القول تنسى كثيراً من الحقائق، فهي تنسى اولا ان الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا اذا طردنا الاستعمار، فما دامت للاستعمار جذور في ارضنا ، وما دام للاستعمار سلطان على بلادنا ، فانه لا يمكن الا ان يكون عدو وحدتنا ، وقد تجلت هذه الحقيقة في السنوات الاخيرة ؛ وخصوصاً عندما توحدت مصر وسوريا في جمهورية واحدة . فلقد جن جنون الاستعمار ؛ ونشط عملاؤه نشاطاً عجيباً غير عادي، واخذت دوائره تعمل ما وسعتها الحيلة للحؤول دون خطوات توحيدية اخرى ؛ كما تعمل ما وسعها العمل لمحاربة الجمهورية الفتية الناشئة ؛ ومحاربة افشائها كمثل مشجع، وقدوة يجب ان تشخص اليها ابصار الاحرار في دنيا العرب.

كما تنسى هذه الفئة ثانيا ان التحرر هو طريق الوحدة ، وان القومية العربية ليست درجة في سلم الارتقاء والتطور ، وانه ليس بينها وبين الانسانية فاصل اساسي وتفاوت في الدرجة والقيمة ، بل انها هي تربة الانسانية ، والمجال الحي لاخصابها ، وان الانسانية ليست وضعا اجتماعيا او سياسيا، بل روح واتجاه ومثل تنبث في تكوين الشعوب والامم ، وتلون حضارتها وتوجه سلوكها واخلاقها، وهي مرافقة للقومية وليست لاحقة لها .

وهناك تيار قومي آخر هو الاقوى والاسلم ؛ يؤمن ان القضايا الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن ان تفرغ من مضمون القومية .

فالقومية العربية بمضمونها الحديث هي مزيج متفاعل من هموم الانسان العربي كلها ، فالعربي بحاجة الى الحرية بحاجة الى الوحدة ، بحاجة الى العدالة الاجتماعية ، بحاجة الى تحرير اقتصاده من نفوذ الدخيل وسيطرة الغريب ، بحاجة الى تنمية موارده ، واستخلاص خيراته وكنوزه من ايدي غاصبيها وسالبيها ، وهو لا يستطيع ان يفاضل بين هذه الحاجات كلها ، فهي مترابطة متفاعلة ، ولا يستطيع ان يحجز فيما بينها فهي متواصلة متداخلة متشابكة ؛ ولا يستطيع ان يعتبرها مراحل يجب ان يجتازها مرحلة بعد مرحلة ؛ لانها في الواقع ليست الا ملامح متعددة لوجه واحد .

## النضال القومي العربي والاشتراكية :

ان النضال في سبيل القومية العربية يعني في الوقت نفسه : نضالا في سبيل التحرر ، ونضالا في سبيل الوحدة ، ونضالا في سبيل الاشتراكية .

ان من يدعو الى القومية العربية ويبشر بها ، ويدعو الى محاربة العبودية والاستعمار والتجزئة والظلم الاجتماعي ، يبشر في الوقت نفسه ويدعو الى مقارعة الفقر والجهل والمرض ، والتفكك والانحراف والرجعية .

يبشر ويدعو الى الانسانية . . لان قوميتنا ومبررات وجودها تجعلنا لا نستطيع ان نتصور انها انما وجدت لتخاصم غيرها ؛ او لكي تثبت وجودها ازاء قوميات اخرى . او لكي تدعي التفوق او حق السيطرة على غيرها او لتدفع التهمة عن نفسها .

ان القومية العربية تلتقي مع النزعات الانسانية في انبل امانيها . . وانما يتوهمه

البعض نزعة غير انسانية تتمثل في كره العرب للاجنبي، ليست الا نتيجة حتمية للعهود السوداء الطويله التي عاشوها في ظل الاستعمار والكبت والعبودية .

لقد طغى الغرب وفرض على البلاد العربية التجزئة ؛ وحارب امانيها القومية محاربة لا هوادة فيها ولا رفق ، ولم يكتف بذلك بل اقام في قلب الارض العربية دويلة مصطنعة زائفة، وراح يغذيها ويمدها بالايدي والمال والسلاح، ويدعمها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ويحرّضها عند كل مناسبة ويزين لها العدوان رامياً من وراء ذلك الى تمزيغ الكرامة العربية ، واذلال الاباء العربي وتمزيق الاخاء العربي والنيل من القومية العربية .

وكان الغرب من قبل ان يقيم اسرائيل قد اذاق العرب الوان العذاب .. فاحتل ارضهم واغتصب خيراتها وتنعم بثرواتها ، وحصر همه التمديني في اشاعة الفقر والجهل والخوف .. لذلك كان طبيعياً ان تنشأ عند العربي عقدة يمكن ان تسمى « عقدة الاجنبي » .

وكلما سنحت له الفرصة للشفاء من هذه العقدة، سارع الغرب الاستعماري الى ترسيخها وتأكيدها، فهو لا يفتأ ينبري للاماني العربية فيحاربها ويضطهدها ، ويعمل ما وسعه العمل لاحباطها وخنقها والحيلولة دون تجسدها وتحققها ؛ ولكن هذه العقدة ليست شيئاً اصيلا في الفطرة العربية ، بل الشيء الاصيل في هذه الفطرة هو الحس الانساني والانفتاح السمح على العالم ، والشعور بان هناك رسالة يجب ان يؤديها العربي لخير الانسان او ان يهم بأدائها مع الآخرين .

وكذلك فان الشيء الاصيل في هذه الفطرة هو الكره الشديد للذل والاستعباد وعدم الاستكانة للطغيان .

## ميلاد القومية العربية :

لا يمكننا كباحثين ان نحدد للقومية العربية ـ كفكرة وشعور وحقيقة ـ يوماً نوضح فيه تاريخ تكونها وصيرورتها عاملا من اهم العوامل الفعالة في البلاد العربية؛ ولكننا نستطيع ان نلاحظ خلال الازمات التي مر بها الشعب العربي عبر تاريخه الطويل ان هذه القومية كانت اثراً من الآثار الخالدة التي واكبت تطور هذا الشعب منذ طفولته الجاهلية حتى شبابه الاسلامي .. الى ان تعاقبت عليه فيما بعد شتى المحاولات الرامية الى تفتيته وتضييع معالمه . والتي كان يقوم بها الشعوبيون تارة ، والاعداء الخارجيون تارة اخرى .

ومن منا يمكنه ان ينكر ان هذه القومية بدت اكثر ما تكون وضوحا وجلاء في كافة العصور العربية ؛ وانها كانت في العصر الجاهلي وفجر الاسلام ، نوعا من الصلات الوجدانية التي تربط بين سكان الجزيرة ، وتشد اطراف اليمن الى اطراف نجد ، وتربط بين الشواطيء التي تطل على المحيط الهندي ، وبين الشواطيء التي تطل على البحر الاحمر .

ومن خلال دراسة بسيطة لعادات العرب في هذه الجزيرة شمالها وجنوبها ، شرقها وغربها نجد ان « العروبة » كانت تسم الجميع بميسمها الخاص ، فما هو منكر في الشمال منكر في الجنوب ، وما هو متبع في الشرق متبع في الغرب ، والتقاليد واحدة ، والعبادات واحدة ، والتكوينات النفسية للشعب واحدة ، والطابع الحياتي واحد ، والمفاهيم الاجتماعية واحدة ، ولعله من العجيب ان تكون الحدود بين نجد وتهامة مثلا كافية لان تفرق بين النطق هنا وهناك ، وان تكون « أل التعريف » مثلا في احدى القبائل ، هي « الميم » في القبائل الاخرى ، من العجيب ان يتم حصول هذا الفرق في اللغة الواحدة ، وان يظهر جليا واضحا كلما تباعدت المسافة بين القبيلة والقبيلة ؛ في حين انه لا يؤثر هذا نفسه على عروبة اي عربي في اي مكان من الجزيرة العربية .

ولعل متسائلا يتسائل : علام كانت تثار الحروب بين القبيلة والقبيلة ؟ ولاي

شيء كانت تهدر الدماء بين قوم وقوم؟ ونحن قد عرّفنا القومية بانها شعور واحد لجماعة واحدة من الناس . فأين هو ذلك الشعور ؟

والجواب على ذلك هو ان الحياة العربية في اطوارها الاولى كانت قبلية بحتة ، ليس فيها اي لون تعاوني غير العنصرية ؛ وليس فيها اي رابط مدني ما خلا « العائلية » وليس فيها اي شكل حضاري ما عدا « العشائرية » وهذه الصفات المميزة للحياة العربية ، هي معان بدائية للقومية في المجتمعات الناشئة ، وهي نفسها الدلائل الناصعة على وجود القومية العربية كرابطة بين العرب لا على انتفائها ، وبالتالي فهي المراحل « الجبرية » الاضطرارية التي تمر بها القوميات في تكوينها الاول .

لقد اختلف ظهور هذه القومية الى الوجود وطبعه حياة المجتمع العربي بطابع ظاهر ، اختلافاً بيناً ، وسبب هذا الاختلاف هو ان العرب انطلقوا في اول عهدهم ينقلون الى الدنيا قوميتهم العربية وعقيدتهم الاسلامية ، وكان الواجب الغالب وهو « الاسلام » ابرز اثراً في انطلاقهم . بل انه كان هو الدافع الاول لهذا الانطلاق ، لذلك فقد انصبت كافة جهودهم على الدعوة الاسلامية . وبعبارة اوضح ، يمكننا ان نقول ان العقيدة الاسلامية كانت هي الرباط الاوثق . والصلة الاحكم ، والهدف الاسمى ، الذي يشترك العرب في التفرغ له وخدمته ورفع رايته في كل مكان ، ويمكننا ان نقول ايضاً ان الدعوة الاسلامية استغرقت بل استنفذت الطاقة العربية ، وكان من مفاخر هذه الطاقة ان حملت الاسلام الى جهات الدنيا الاربع .

اما القومية فكانت بجانبه شمعة مضيئة ذهبت بنورها الضئيل ، انوار الشمس الفياضة .

اما فيما بعد ذلك من العهود فقد استقر الاسلام في القلوب ، واخذ مكانه على الارض ، واخذت جذوره الكبرى تتمدد في الاعماق ، وتتناشر هنا وهناك ووثق

علاقاته مع العقائد الاخرى ، ونظم مشكلاتـــه معها ، واقام الحدود بينه وبين خصومه ، ووضع الاسس لاقامـــة مجتمع مثالي متعاون بناء .

ولقد اقيم ــ باسم الدين ــ هذا المجتمع فعـــلا ، وتقننت قوانينه ، وانتظمت شرائعه ، وتحـــددت حدوده ، واقيمت اركانـــه ، وبنيت جدرانه .

واطلت خلال فترة الراحة هـــذه ، العواطف والمشاعر الاخرى في صدور الناس: المسلمين وغير المسلمين،وبرزت الى الوجود دعوات دينية واحزاب سياسية ، كانت في حقيقتها متنفساً طبيعياً لمطالب الشعب العربي القومية ، وكانت بعض هذه الاحزاب مغالية في تطرفها ، وذلك لانها برزت تحت مؤثرات بحتـــة ، كالشعوبية ، والخوارج ، والقرامطة ، والعلوية وغيرها ، وبالرغم من ذلك فقد ظلت العروبة هي خط الدفاع الثاني بعد الاسلام في هذه الازمات .

## مراحل تكوين القومية :

كل قومية من القوميات تتبلور ، وتأخـــذ طريقها في التكوين الفعلي ، وتبرز ملامحها الخاصة بعاملين اساسيين :

١ ــ العامل الايجابي : كتحمل اعباء رسالة ، او القيام بمهام حضارة ، او التمرس بعمل كوني، تكون من آثاره ان تتغير بعض الصفات الاساسية لفريق من الناس ، او تتغير خلائقهم ، وان تنمحي طبقات خاصة من البشر وتبرز الى الوجود طبقات اخرى .

و «الاسلام» يمثل هذا العامل في تكوين القومية العربية .

٢ ــ العامل السلبي ، كانطفاء جذوة السلطة ، أو الهزيمة المؤثرة في واحد من الميادين الهامة في حيـــاة الشعوب ، او انكسار شوكة الشعب ، وانحداره من مستويات القيادة الى حضيض العبوديـــة ، او مكوثه تحت ظلال احكام خارجة عن ارادته ، متنافية مع طبائعه ،مخالفة لقواعده واسسه .او خضوعه

لعوامل القوة والتحكم والسيطرة لشعب آخر او قوى اخرى .

وحملات الاستعمار التترية والمغولية ، والحملات الصليبية، وسيطرة الدول الغربية وتحكمها في البلاد العربية ... كل هذه التفاعلات المتفرقة تمثل العامل السلبي في تكوين القومية العربية .

ولعله من المفيد ان نلاحظ ان العاملين السلبي والايجابي هما متكاملان ؛ اي ان كلا منهما يكمل الآخر في ابراز معالم القوميات ، واعطائها صورة خاصة ، وشخصية خاصة ، فان العامل السلبي ، كالهزيمة مثلا لايمكن ان يكون ذا اثر فعال في تكوين قومية ما اذا لم يسبقه عامل ايجابي وهو عزة المكانة وانفة الخلق، وكبرياء النفس ، في اي شعب من الشعوب ، بل انه لابد ـ على الاصح ـ من توفر العامل السلبي ، فهو اشد اثراً واعظم خطراً في التكوين القومي .

ومن القضايا المسلّم بها ان العروبة تعرضت في تاريخها الطويل بعد سقوط بغداد ـ اذا اعتبرنا هذه المرحلة بداية التعرض للعوامل السلبية ـ لصنوف شتى من القهر والاذلال والعبودية ، والتحكم ، واننا لنحيل القارىء العربي الى التاريخ لكي يتبين مدى ما تحملته هذه العروبة من الضغط حتى تكونت لديها امكانية الانفجار .. بالقومية العربية .

## القومية العربية والاشتراكية :

لكي نتمكن من تحديد علاقة القوميات وهي كما اسلفنا : مشاعر ، وامال واهداف واحدة ، بالنظريات كالاشتراكية أو غيرها ، لكي نتمكن من ذلك علينا ان ندرس اولا احتياجات هذه القوميات ، ومشاكلها التدريجية .

ووصفنا المشاكل « بالتدريجية » لأن الشعوب كالافراد تختلف مشاكلها باختلاف اعمارها الحضارية .

فالشعب البدائي ، تنحصر مشكلته في تأمين الغذاء الضروري ، والشعب الآخذ بسهم من المدينة يحاول ان يتغلب على الضائقـــات ويكوّن لنفسه ذاتية خاصة ، والشعب المتمدين ، يواجه مشكلات القضاء على الطبقات فيه ، وتطوير حياتـــه العامـــة ، وزيادة الدخل وصيانة الاستقلال ، وتأمين الرخـــاء والصحة والضمان الاجتماعي لكافة افراده .

فمن هذه الناحية يمكننا الآن ان نتساءل : ما هي مشكلات القومية العربيـــة؟ وهل تغيرت منذ ربع قرن ؟

للجواب على هذا السؤال ينبغي لنا ان نرجع بالذاكرة القهقرى .. الى زمن الانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا والانتداب الانكليزي في فلسطـــين والعراق ومصر ، وزمن الاحتلال الفرنسي لشمال افريقيا بأكمله ... في هذا الزمن بالذات كانت القومية العربية موجودة بأجلى وابهى معانيها ، ولكنها كانت مغللة اليدين ، تواجهها مشاكل كبرى ، وتداهمها صعوبات هائلة :

الحدود المصطنعة بين البلاد ، اساليب الحكم المختلفة ــ كالملكية والجمهورية ــ والحكومات الانتدابيـــة المؤقتة ، جيوش الاحتلال المسلحة ــ العملاء في كافـــة الطبقات ، ابتداء بطبقة الحكام وانتهاء بطبقة صغار الموظفين ، الجهل ، الاقطاعية ، الاسر الحاكمة ، الاتكالية ، الفوضى ، واخيراً ... المطامع الجشعة للدول المحتلة .

كل هذه الصعوبات كانت تتراكم على عضد القومية العربية ، وكانت تحول دون ركبها المظفر ، ولكنها ظلت تقاوم هذه الصعوبات واحدة واحدة ، بفضل خلود هذه القوميـــة وقوة احتمالها العجيبة .

لقد استقلت سوريا واستقل لبنـــان ، واستقل العراق ، واستقلت مصر ، واحتفظت الدول المحتـــلة لنفسها في البلاد العربية « بموطىء قدم » اسمتـــه اسرائيل ، ومن ثم شعرت هذه البلاد شعورها الطبيعي بضرورة الالتئـــام حول الفكرة الواحدة والمصلحة الواحدة ، والهدف الواحد ، فتكونت الجامعة العربية ،

ولكن ، حين ظهر ان هذه الجامعة تضم النبلاء والصعاليك ، والسادة والعبيد ، ظهرت عليها بوادر الشلل ، وفقدت قيمتها العملية ، بدليل اختلاق دولة اسرائيل في عهدها الميمون ، ثم سرت عدوى الاستقلال الى الشمال الافريقي ، فنهضت ليبيا ، وتحررت مراكش ، واستقلت تونس . وتبلورت القومية العربية اكثر من ذي قبل ، واصبحت ضرورة ملحة .. ينادي بها الجميع .

ثم اصبحت المشكلة التي تواجه القومية العربية هي تنظيف الحكم ، فقد طالما مكث في دسوت الحكم صغار ، وطالما تحكم في الشعب العربي عبيد .

وانتصرت القومية على ادناس الحكم ، وارجاسه ، وهدأ الحال في مراكش وفي تونس ، وانقلب الوضع المهترىء في سوريا قضي على الملكية الفاسدة في مصر ، واستقام الوضع في السعودية ، وعمت البلاد الاغتيالات السياسية ، وكانت هذه الاغتيالات بداية الطريق لتنظيف دسوت الحكم ...

ثم تطورت مشكلة القومية الى مواجهة العدو المشترك ، ومنازلته ، والثبات بوجهه ، فتغير حكم وحاكمون ، وارتفعت ميزانيات الدفاع ، ومصاريف الحرب في البلاد العربية ارتفاعاً ملموساً ، وجرت مبارزات مضحكة ، وكانت الدول الغربية تحاول ان تثبت ـ في كل مرة ـ ان القومية العربية دائمة العجز ، دائمة الحاجة الى الغير .

ومن هنا برزت القومية لمواجهة مشكلة جديدة ... مشكلة توحيد الجهود والتخلص من السطرة وفك قيود الحصار الاقتصادي ، وهكذا عقدت اتفاقيات اقتصادية جبارة ، اذهلت الدول الغربية وقضت بسهولة على احتكار السلاح ، واختل ميزان القوى .

ثم انتقلت القومية لتحقيق مطلب جديد هو الوحدة . ومطلب آخر هو التسلح ، ومطلب ثالث هو الاستعداد . اما مطلبها الاخير الآن فهو تطوير المستوى الاجتماعي .

## القومية العربية متحركة :

من هنا نرى ان القومية العربية متحركة وليست جامدة، وانها متطورة وليست متأخرة ، فهي في كل مرحلة من مراحل حياتها ذات هدف ورسالة ، بدأت رسالاتها واهدافها هكذا بالتدريج :

١ً ـ الاستقلال ، ٢ً ـ الحكم الصالح ، ٣ً ـ القوة ، ٤ً ـ التحرر ، ٥ً ـ الوحدة ، ٦ً ـ واخيراً : تطوير المستوى الاجتماعي .

ولقد حققت القومية العربية اهدافها واحداً واحداً بعزم شديد ، ويقين عظيم، وستحقق هدفها الاخير بالطريق العلمي الصحيح .. طريق الاشتراكية الصحيحة .

والدليل على ان القومية العربية متحركة ؛ هو ان قادتها ورواداها الاوائل لم يكونوا في البدء يلتزمون خطة واحدة، وكانت الاحداث التاريخية نفسها تجعلهم وجهاً لوجه أمام مطاليب محددة، وتحتم عليهم ان يتخذوا موقفاً معيناً ، ففي زمن الاحتلال الاجنبي لم يكن للقومية من مطلب الا الاستقلال واتمام الجلاء ، ولم يكن العرب في ذلك الحين يعملون لتحقيق الوحدة، ولا يسعون للتسلح ولا يفكرون بالتطور الاجتماعي ، اذ ان هذه المطالب مع وجود قوات الاحتلال على الارض العربية ليست في الواقع الا احلاماً بعيدة المنال، ومن حسنات القدر ان القومية العربية كانت واقعية في نهجها السياسي ، ومنطقية في كفاحها الاجتماعي ، فلم تكن تعالج الداء الا بالدواء ولم تكن تشهر كل اسلحتها لكل معركة. بل كانت تصعد السلم درجة درجة ، وها هي ذي اليوم تواجه اخطر مراحل وجودها ، وادق فترات حياتها ، فترة النهضة الاجتماعية والاقتصادية .

## الاشتراكية والنهضة العربية :

اصبح من ترداد القول ان نبين ان الشعوب العربية كانت منذ اول عهدها فريسة « الطبقات » بالرغم من ان الاسلام ـ وهو الدين السائد في بلاد العرب ـ قد حارب الطبقية محاربة لا هوادة فيها ولا لين ، وبالرغم من ان الخلق العربي لا يسيغ التعالي ولا يطيق مظاهر العبودية والذل ، ولكن الواقع هو ان نظام الطبقات كان معروفاً عند الشعوب العربية ، وهذا النظام ، وان لم يتخذ شكل النظام الغربي ، ولم يكن فيه نبلاء ، وسوقة ، واكليروس ، وملوك وعبيد ، فانه تلون بلون ديني ، وتحزب احزاباً اسلامية بحتة ، ومن المعلوم ان المجتمع العربي في بداية عهده كان عبارة عن طبقة واحدة هي « طبقة المحاربين » وهم المجاهدون في سبيل الله ، ثم انفرط هذا العقد وتوزع الناس الى امراء وسادة وشعوبيين ، والى عرب وعجم واحرار وموالي والى صناع وتجار وفلاحين .

ولقد كان الصناع والتجار والفلاحون ، الطبقة الوحيدة الباقية منذ اكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وهذه الطبقة هي التي تحملت المغارم ، وهي التي بذلت الاضاحي ، وهي التي حافظت على الروابط الخالدة بين ابناء الشعب العربي ، ولا جدال في ان المذاهب الانسانية ، التي تهدف الى الرقي الاجتماعي والاقتصادي ، وضعت كلها هذه الطبقة موضع التجربة ، ولا عجب فانها هي الطبقة الغالبة في سواد الشعب وفيها تكمن اسس النهضات ، وقواعد الانطلاقات الثورية في المجالات السياسية والاقتصادية والحربية والصناعية .

## الاشتراكية طريق القومية :

لقد انتهت القومية الآن من معركة الاعداد النفسي ، وحصلت ـ في اغلب بلادها ـ على الاستقلال ، ووقفت على قدميها ، تواجه صفعات اعدائها بصفعات

اشد قسوة واكثر تنكيلا ، وطبيعة الاحداث اليوم ، ومفاهيم السياسة الحديثة تفرض على القومية العربية ان تسهم في بناء الحضارة ،وان تمد بساعدها الجبار لتقيم للانسانية طودها الشامخ ، وهي لن تتمكن من التمرس بهذا العمل الضخم ، ولن تستطيع القيام باعبـاء هذه الرسالة الا اذا تخلصت من الامراض الاربعـة : ١ ــ الانقسام ، ٢ ــ السيطرة الخارجية الاقتصادية ، ٣ ــ الاقطاعية الداخليـة ٤ ــ التأخر الصناعي .

ولسنا بحاجة الى بحث وتنقيب كبيرين ، لـكي نصل الى النتيجة الحتمية ، وهي ان الاشتراكية هي السبيل الوحيد ، للقضاء على هذه الآفات الاربع ، والا شيء غير الاشتراكية يحقق الوحدة العربية ، ويقضي على السيطرة الخارجية الاقتصادية ويذيب الاقطاعية الداخلية في بوتقة من المحبة والاخوة والتسامح ، ويرفع في سهول البلاد وفي جبالها ، وفي صحاريها ووديانها ،مداخن المصانع الكبرى ، ويدير عجلات المعامل الضخمة التي توطد دعائم الاستقلال ، وتمد مرافق البلاد بدماء جديدة ، وتدعم جيش البلاد ، وترفع معنوية الشعب ، وتجعله حقاً وصدقاً نداً قادراً على الوقوف بوجـه الذين كـانوا الى زمن قريب يمصون دماءه ويسرقون ثرواته ويتحكمون في ارزاقه .

ان القومية العربية تنشد الرخاء الاقتصادي ،ولا شيء يحقق ذلك الا : «التصنيع» ولا وسيلة لتعميم التصنيع الا وسيلة الاشتراكية ، وتسخير ثروات الشعب من اجل رخاء الشعب وعزته .

وانه لمما يملأ القلب فخراً واعتزازاً ان تنهض في الجمهورية العربية المتحدة اسس المئات من المصانع ، وان ترسى القواعد لاضخم المؤسسات الصناعية في الشرق ، التي ستكون ولا شك المنارات الحديثة ، التي تستهدي بها العروبة طريقها ، وترفع القومية هامتها ، وترسخ اقدامها ؛ وتعود الى سابق عهدها ، رسالة انسانية نبيلة ، تساهم في اسعاد البشر ، وفي توفير الرخاء لبني الانسان .

ولن يمر زمن طويل حتى تحقق الاشتراكية العربية اهدافها ، في كل مكان ،

فتلغى الحواجز المصطنعة ، وتمحى الفوارق المفتعلة ، وتوزع الثروة توزيعاً عادلا ويقف العربي في تطوان، ليشهد في ربى النيل قوافل الشباب العربي الناهض؛ يبني امة ويصنع مجداً ، ويصعد الى الجبل اللبناني ، ليبارك الضواحي الصناعية على ضفاف دجلة والفرات .والشعب العربي واثق كل الثقة ، ان اعداء القومية العربية هم وحدهم الخاسرون ، وان القومية العربية هي المنتصرة في النتيجة، لانها مندمجة بمنطق التاريخ وتطوراته ، ولانها تحمل في ذاتها جميع امكانات الانتصار .

obeikandl.com

obeikandl.com

# بين العروبة والإسلام

● الاسلام في كافة مظاهره : في عقائده ، وعباداته ، ونظمه ومعاملاته ، لم يكن لطائفة معينة او لجنس خاص ، بل كان يطالب الانسانية كلها بعقيدة واسلوب في العمل ، ولا يفاضل بين الناس الا بمقدار ما يقدمون من اجل العقيدة ، وبنوعية ما يعملون طبقاً لهذه العقيدة .

● من حظ العرب ان اختيروا لرسالة الاسلام ، ومن حظ العروبة انها كانت احد الوية الاسلام . . وهو الذي افصح عن مواهبها وساهم في تاريخها فامتزجت به في امجاد اواره ، والمسلمون في العـــالم لا يؤلفون قومية واحدة ولا وطناً واحداً .

● ان العروبة هي واقعنا الذي لا غنى لنـــا عنه ، وحاضرنا الذي لا حياة لنا بدونه ، ومستقبلنا الذي لا وجود لنا الا به . . مسلمين ومسيحيين ؛ والذين يخلقون الاكذوبة القائلة بأن الإسلام هو القومية العربية هم المستعمرون .

قد يتخيل البعض ان موضوع العروبة بالذات ، والفصل بينها وبين الاسلام مركب صعب . غير اني قبـــل كل شيء ، احب ان اصارح القراء الاعزاء باني افخر بعروبتي مثلما افخر باسلامي ، واني لاسمح لنفسي في هذا المقام ؛ ان اتبنى بعض الفرائد التي نطق بها الخالدون فأقول : لو لم اكن عربياً لتمنيت ان اكون عربياً ، ومن هذه الروح اصوغ عبارات بحثي هـــذا ؛ ومن وحيها سأحاول ان اسلط الاضواء حول هذه القومية العزيزة وانفخ في حناياها قبسة من نار الحياة ونورها ، وانفض عن مرآتها الجلية ، بعض غبار الزمن وبعض لطخات الصدأ ، عساها تعود كما بدأت قومية فتية بنّاءة ؛ تكمن فيها كل عوامل الخلود والبقاء .

## فترة حاسمة :

ان التاريخ الآن يمسك قلمـــه ، ويتطلع نحو البلاد التي تشرق منها الشمس . ويرنو ببصره نحو الربوع التي تواكب مغربها ، والتاريخ حينما يمسك بالقلم ويرقب شعباً من الشعوب ، فان هذا الشعب قادم على اخطر مرحلة من مراحل حياته سلباً او ايجاباً .

ونحن العرب في هذا الزمن بالذات يحق لنا ان نتفاءل مسبقاً بالمستقبل الضاحك ، ويحق لكم ايها القراء الاعزاء أن تعتبروا انفسكم من الخالدين لانكم تواكبون فترة خالدة من تاريخ العرب ، هذه الفترة التي سيقرأ عنها احفادكم غداً ، وسيقولون : هنيئاً لهم لقد شهدوا يقظة العروبة .

سيقول البعض : انني اغرق في التفاؤل ، وسيقول آخرون لقد نطقت عاطفته . ولكني ادعو هؤلاء واولئك ، فاقول لهم انظروا الى مصر التي كانت الى عهد قريب تربط ماضيها وحاضرها ومستقبلها بالرعامسة والفراعنـــة ، وتسير في ذلك النهج حقباً طويلة من الزمن ، لاينالها منه الا الضيم والاحتلال والذلة والامتهان ، ثم اذا هي تصحو على فجر دافىء ، تنبع انواره من ذاتها ، من ذات الشعب المصري ،

فتظهر لهـــا حقيقتها العربية الصريحة ، وخيالها الفرعوني الكاذب ، وتفرض بهذه الحقيقة وجودها وارادتها واحترامها على دول الآرض جميعاً .

لست اريد من وراء ذلك ان اذهب الى ان العروبـــة هي التي نصرت ارض الكنانة ، أو انها على الاقل هي التي عاونتها على اجتياز المحنة ، والتغلب عليها ، ولست اريد من ناحية اخرى ، ان انفي فعالية الوطنية المحلية وصمودها الجبار في معركة الشعب المصري . ولكني اريد ان اقرر حقيقة واحدة ، وهي ان العروبة في مصر وفي سورية وفي الاردن وفي لبنان هي المرحـــلة الناضجة من مراحل تطور الوطنية . وانه في اللحظة التي يتفاهم فيها العرب جميعهم على انهم عقد واحد، يشع جمالا أخاذاً، ويشكل في مجموعه ثروة هائلة، اما في افراده فليسوا سوى بضعة احجار كريمة ، ليس لها قيمة العقد المنظوم ولا قدره . اجل في الوقت الذي يتعارف فيه العرب على اختلاف دولهم انهم عقد ثمين واحد ، وان رابطة هذا العقد هي العروبة فقد عرفوا الطريق الذي يمتد بهم نحو الغاية التي ينشدها جميع شعوب العالم ، وهي الرخاء والعزة والسيادة والاستقلال .

## بين العروبة والاسلام :

وانه لمن المؤسف حقاً ، ان ينفخ بعض دوي الاغراض من ابواق الاستعمار نغمـــاً طائفياً دنيئاً ، لا غاية له ولا هدف ، الا تفريق الكلمة وتصديع الصفوف والاطاحة بالوحدة الوطنية التي تجمع شتات فئات هذا الوطن، حول الميثاق الوطني المعقود عـــام ١٩٤٣ والذي اعتنقه لبنان الرسمي بمجرد دخوله الجامعة العربية وابرامه ميثاقها وتوقيعه على بروتوكول الاسكندرية .

هذه النغمة المقيتة، ارتفعت بها بعض الاصوات الناشزة، رداً على الموقف الذي وقفه الشعب اللبناني من قضية العـــدوان الآثم على مصر ، بقصد عزل لبنان عن

المجموعة العربية ،وشل كل نشاط يمكن ان يقدمه لخدمة القضية الكبرى التي يناضل من اجلها العرب .

وقد دفعتني هذه النغمة الى اختيار هذا البحث بالذات ،لأنها كانت تهدف الى الايهام بان العروبة تعني الاسلام . وانه لا يمكن ابداً الفصل بين العروبة ، كقومية والاسلام كدين؛ فهما متلازمان كل التلازم ، مندمجان كل الاندماج .

ومن المؤسف ايضاً ان يقع في هذه المزالق ـ عن حسن نية طبعاً ـ بعض قادة الفكر في هذا البلد، فيخلطون بذلك مع الاسف بين العروبة والاسلام، ويزعمون ان مؤسس الاسلام هو مؤسس العروبة ، متجاهلين بذلك كل وقائع التاريخ وكل الحقائق العلمية التي هم ولا شك حريصون عليها حرصهم على معرفة الحقيقة .

وسنحاول الآن في هذا البحث ان نجلو هذه النقطة الدقيقة الخطيرة ، التي يتمسك بها بعضهم عن سوء نية مدفوعاً بعوامل كثيرة لا تشرف في كل حال ، والتي ينادي بها البعض الآخر عن حسن نية ؛ دون ان يتحروا بذلك الدقه العلمية والتاريخية .

ولسنا في هذا المقام نقف موقف المدافع عن العروبة؛ لاعتقادنا انها ليست بحاجة الى دفاعنا. ولا لنرد على فرد معين ، بل لنعرض بعض الحقائق التاريخية التي تثبت ان العروبة ليست فعلا هي الاسلام ، وانه وان كان من امجاد العروبة انها كانت جندي الاسلام الاول .. فمن مظاهر قيامها بنفسها ، ان الاسلام ـ في بعض مناسكه الدينية ـ قرر عاداتها وتقاليدها؛ وأقرها حتى انها في النهاية حملت اسمه ؛ وهي من أفعال العرب الأولين .

ثم إن الباحث في هذا الموضوع يصادفه منذ البداية سؤال واحد : ما هو الاسلام ؟ وما هي العروبة ؟ وما هي الصلة بينهما ؟ وهل كان الاسلام كدين سماوي لا يحمل على الاعتقاد بأنه ظاهر الرعاية للعرب دون غيرهم من الأمم ؟

## الاسلام للانسانية :

لننظر الى الاسلام نظرة عاجلة؛ولنحاول أن نستخلص منه بعض الصور الناطقة بانه لم يكن في يوم من الايام دين العرب فقط لاعتبار واحد بسيط ، وهو ان الله حسب المفهوم الاسلامي هو رب العالمين ، وان محمداً حسب التعبير القرآني رسول للناس كافة .

والاسلام في كافة مظاهره : في عقائده وعباداته ، في نظمه ومعاملاته ، لم يكن انانياً قط ، ولم يحارب الاديان التي سبقته ، بل دعاها اليه للمجادلة والبحث بروح من الفهم العميق ،والسماح الرائع ،وسعة الصدر ، وحسن الخلق فقال : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي احسن ، وكان ذلك بعد ان أقر لجميع الناس بحرية العقيدة « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم » .

وبعد ان وضع القاعدة المثلى للسلوك العقائدي الاسلامي الذي لايؤمن بالاكراه ويقدس العقل النير « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » وبعد ان أكد ان محمداً ليس الا نبياً يوحى اليه ، كما اوحي الى عيسى من قبله ، وكما أوحي الى موسى من قبلهما ، وكما أوحي الى داود ونوح قبل اولئك جميعاً فقال تعالى « إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » .

ولو ان الاسلام أقر للعرب بشيء من الفضل أو السابقة ، لرفع قدرهم وأجل شأنهم ، واظهر ذلك للملأ . ولكنه جعلهم مسؤولين عن الفكرة وتنفيذها كغيرهم من الناس ، وانه ليس لواحد من بني البشر ان يفضل أخاه ابداً الا بالتقوى ( لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ) وذكر العربي بالذ ت .ثم انه من ناحية أخرى

فرض على العامة إطاعة أولياء الامر ، دون النظر الى عروبتهم أو الى اعجميتهم ، ودون التفريق بين ألوانهم وأجناسهم فقال : ( اسمعوا وأطيعوا ولو ولّي عليكم عبد حبشي رأسه كزبيبة ) .

ثم ان قريشاً وهي القبيلة التي كان منها النبي ، وشرفت بنبوته في أعين الناس بين العرب ، وبلغت شأواً بعيداً ، قريش هذه فضل بعض الفقهاء شرف العلم على نبالتها حينما بحثوا قضايا الكفاءة بين الزوجين .

فأين هي — قرائي الاعزاء — آثار تذليل الاسلام للعرب ، حتى يتجرأ الناس على القول بأن الاسلام هو العروبة ؟

اسمحوا لي ان اكون صريحاً الى ابعد حدود الصراحة ، وان أسير في الشوط حتى النهاية . فهناك بعض الاسئلة تحرق شفاه الناس ولا يبدونها . وهناك بعض المخاوف تدمدم في صدورهم ولا يظهرونها ، وأنا منذ نشأت عدو التخفي والخوف ، والرياء والحذر ، اذا كانت بضاعة رائجة بين الاخ وأخيه والشقيق وشقيقه .

## العروبة لا تخيف احداً :

لنتصارح ، فالعالم بأسره يعلم ان العروبة لا تخيف ، وليس منها ادنى خطر على جميع العقائد ، اسلامية ومسيحية ويهودية .

قلت اسلامية ، لان فريقاً من المسلمين يعتبر العروبة خطراً على الاسلام كاعتبار بعض المسيحيين لها ، فيجب محاربتها والقضاء عليها في نظر الفريقين جميعاً .

ان العروبة لا تخيف ... لأنها وطنية سامية وقومية هادية ، تجمع كل الملل والنحل . ففيم الحيرة إذن ، وعلامَ الريبة والشك ؟ أمن الاسلام ، أمن ذلك الدين الحنيف العادل المترفع ؟

ان الذين يحاربون العروبة يريدون لها ـ قوة واقتداراً ـ ان تكون في صف الاسلام، حتى تتكون ضدها جبهة من تجار الاديان المتحالفة ، ولان نعتها بالاسلام، وجعلها بديلا عنه وجعله بديلا عنها يخدم هؤلاء التجار ، ويوفر عليهم عناءً كبيراً في إذكاء نار الطائفيـــة وبث سمومها ، وبالرغم من اننـــا بصدد البرهنة على ان العروبة قومية من القوميات التي كثر فيها المسلمون وليست الاسلام نفسه ، بالرغم من ذلك، فاننا سندفع بايجاز شديد عن هذا الدين بعض ما اتهم به معتقدوه، دون ان نجافي عنصر الموضوع ؛ لأن العروبة قرينة الاسلام وشريكته في هذا الاتهام .

## المساجد والصوامع في القرآن الكريم :

لنستمع معاً الى قول الله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله » ألا نلاحظ فيه انه يعتـــبر صوامع الرهبان شقيقة لمساجد اتباع الاسلام ؟ ثم ألم يكن الاسلام نبيـــلا حينما قدم معابد النصارى واليهود على مساجد المسلمين ؟ ان سلوكه في هذه الناحية سلوك مفعم بالتسامح والاكبار والاجلال لأهل الكتب السماوية من اليهود والنصارى . فقد حظر على المسلمـــين ان يستخدموا معابد الذميين لآداء الصلاة حتى لا يدعي المسلمون فيما بعد حقاً عليها . وما زال يتخايل أمام ناظري ظل الخليفة العادل عمر ابن الخطاب ؛ وهو قائم يصلي خارج كنيسة بيت المقدس، لا لشيء إلا ليؤكد للمسلمين عملياً احترام المسلم لأخيه المسيحي احتراماً يقوم على محبته وتقديره للكنيسة .

أما ما فعله قبل ذلك الصحابي الصادق ابو بكر رضي الله عنه ، وما اوصى به جنده حين سيّرهم في سبيل الله ، من اجتناب البغي والعدوان ، والامتنـــاع عن قتل الاطفال والنساء والشيوخ ، وحين نهاهم عن التعرض بقليل او كثير للرهبان المنتثرين في صوامعهم في البلاد ، كل ذلك اصبح مشهوراً بـــين الناس ومعروفاً ، ولست اجد فائدة من تكراره في هذا المقام .

## الملوك المنحرفون :

لقد احترم ديننا أتباع الاديان الاخرى احتراماً لايكنه حزب سياسي في القرن العشرين لأنصار حزب سياسي آخر ، واذا كانت الظروف السوداء قد جعلت على بعض العروش المسماة على الاسلام ملوكاً يحملون اسماء اسلامية ، ويحكمون بغير ما أنزل الله ، كما حدث في الازمنة الاخيرة للاسلام ، فليست هذه جريمة الدين بل جريمة رجاله ، وليست مبرراً للحملة عليه بل على القائمين بأمره .

ولكي نظهر مدى هذا الاحترام الذي يضمره الاسلام لسائر ابناء الديانات الاخرى ؛ علينا ان نلجأ الى القرآن الكريم وهو اصدق دليل عندنا ، وفيه مايدل بوضوح على اعتباره التقديسي لروح الموسوية الصحيحة إذ يقول « وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا » وفيه ما يطمئن المسيحيين صراحة بأنه يجل المسيحية الربانية ايما اجلال ، ويكرم نبيها ايما تكريم إذ يقول له «ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا » .

## رسالة الاسلام وحقيقة القومية :

اظنني استطعت الايضاح عن موقف الرسالة الاسلامية من اتباع الرسالات الاخرى ،واستطعت وضع النقاط على الحروف؛حول بعض الالتباسات التي كانت تثار ، وتثور من ورائها الشكوك عن ارتباط الاسلام بالعروبة ؛ وانني لاعتقد انه امكنني الاثبات ، بأن الاول هو دين سماوي لاتهمه القوميات ولا الشخصيات بقدر ما يهمه العمل والاخلاص ، وان الاخيرة هي قومية قائمة بذاتها ، لها تاريخها وحضارتها ومدنيتها السابقة على الاسلام وعلى المسيحية ايضاً . وانها تتميز بالمعنى التاريخي بخطوط كبرى ، وشخصية منفردة جديرة بالبحث والدراسة .

بقي الآن ان نثبت للعروبة تاريخها المنفصل عن الاسلام ، وحضارتها الفردية ذات الطابع العربي الخاص ، وانها كان لها رجالها وامجادها ، وكانت لها حقبة من الزمن لعبت فيهـــا الدور الاساسي الاول ، في سياسة هذه البلاد ، وحكمهـــا وشؤونهـــا . وقبل ان نخوض هذا البحث التـــاريخي الصرف ، نحب ان نوجه الانظار الى بعض الملاحظات الهامة التي تعبر عن وجهة نظرنا تعبيراً صادقاً بدون غموض .

اولا : على الذين يؤمنون بأن الاسلام هو العروبة ان يؤمنوا بالمقـــابل بأن المسيحية هي الانكليزية مثلا أو الافرنسية أو الايطالية أو الاسبانية .

ثانياً : من حظ العرب ان آمنوا برسالة محمد وحملوها الى جميع الانحاء ، واذا كان انتسابهم اليه ، يجعلهم بدلا عنه ، فلماذا تكون الاندونوسية بديلته ايضاً ؟

وفي هذه المناسبة تحضرني حادثة طريفة ، كلما مرت بخيلتي ازددت اعجاباً بالعروبة ، وتعلقاً بها ، وازددت ايماناً بأننا هنا في لبناننا الحبيب ، حملة رسالتها قبل غيرنا من الشعوب العربية . والحادثة هي : أن اول مجمع لغوي عقـــد في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، وجرى فيه التساؤل الذي يحيرنا الآن ، وهو : هل نحن عرب قبل ان نكون مسلمين أم نحن مسلمون قبل أن نكون عرباً ؟ .

وجواباً على هذا التساؤل تبارى مندوبو الدول العربيـــة في رسم الحلول وترتيب النتائج .

امـــا مندوب لبنان وكان يومها الشيخ عبد الرحمن سلام امين سر الفتوى إذ ذاك فقد ارتجل هذين البيتين :

قال عبد العزيز قولا حكيما ... والصواب الذي يقول الامام

نحن قبل الاسلام عرب ولكن ... نحن بعد الاسلام عرب كرام

## حضارة العرب قبل الاسلام :

والآن لنرجع الى التاريخ القديم نقلب صفحاته بإمعان وتجرّد ، بحثاً عن حضارة العروبة ومدنيتها .

هذه واحة خصبة تمتد في الطرف الشمالي من الصحراء العربية يكتنفهـــا دجلة والفرات ، وسهول حلب وحمص وانطاكية ، وواحة دمشق وسهول حوران .

انها تدمر عاصمة أذينة والزباء ، عـــاصمة الدولة الفتية التي لعبت دورها الخالد في التاريخ .

لقد تنبه الرومان الى الموقع الستراتيجي الهام لهذه الواحة ، فأرادوا ان يستولوا عليها نحو عام ٣٦ قبل الميلاد. فهاجمها قائدهم مرقس انطونيوس عندما كان عائداً من حرب الملوك الارشكيين .

وما ان وصلت انباء هذا الغزو الى مسامع التدمريين العرب ، حتى هبوا لملاقاة القائد الروماني الغازي دفاعاً عن مدينتهم ، ونشبت بين الفريقين معركة من اعنف المعارك قدّر فيها للتدمريين ان ينتصروا وان يحطموا النير الاجنبي .

ولكن الرومانيين لم ييأسوا فهم يعرفون اهمية المركز التجاري والحربي لمدينة تدمر ، ويعرفون ان الاستيلاء عليها ضرورة من ضرورات البقاء لامبراطوريتهم ؛ فعمدوا الى فرض الحصار الاقتصادي عليهـــا ، وانبروا يعتدون على القوافل التدمرية ، وينهبونها بعد ما صمد في وجههم جيشها الباسل .

وظلت تدمر على صمودها نحواً من قرن ، ولكنهـــا اضطرت امـــام الضيق الاقتصادي الناتج عن الحصار ، وتوالي غارات الرومان **على تجارتها** ، اضطرت الى الارتماء في حضن الامبراطورية .

ولكن ارغامها هذا لم يفقدها طابعها الحضاري ، ولم يوقف نمو مدنيتها مما ساعدها بعد قليل على الانتفاض والثورة في وجه الفاتحين.

وكان ذلك في عهد اذينة الاول ابن السميذع وهو من قبيلة عربية كبيرة من القبائل المعروفة عند الفرنج باسم Sarrasins وهي محرفة من لفظ « الشرقيين ».

لقد كان أذينة يتصرف في صبـــاه كما يقول المؤرخ ( ن . بوليون ) تصرف الرجل ، وكان يصطاد السباع والفهود والدببة وغيرها من الوحوش الضـــارية . وكان يحتمل في سهولة ويسر الحر اللاهب والبرد القارس في السهول والجبـــال والغابات . كما كان يتحمل متاعب هذا الصيد في رضى وسرور ، وبفضل هذه الرياضة المفضلة استطاع الا يرى أوار القيظ ، واهباء الزوابع في معارك فارس غير امر عادي لا يعبأ به ولا يؤبه له .

لقد كان اول عمل قام به اذينة العربي خلع سلطة الرومـــان ، وتحرير تدمر ، والتحالف مع سابور ملك فارس الذي كان خطره يقترب يومئذ من بلاد الشمال .

غير ان سابور مني في احدى معاركه مع الرومان باندحار هائل ، حمله على التراجع الى الفرات ثم الى فارس ، ومكن للخطر الروماني ان يقترب من الشرق ومن تدمر بالذات ، فأدرك اذينة ان الرومان سيسحقون جيشه ، وسينتقمون منه جزاء ثورته عليهم ، وادرك ان سابور حليفه لا يستطيع تقديم المعونـــة اليه بعد اندحاره الفظيع في بر الشام امام جحافل الرومان ، فلجأ الى ذكائه وسعة حيلته كيلا يعرض تدمر لاستعمار روماني جديد .

وقرر سلوك نهج سياسي جديد ينقذ مملكته ، فأعلن ولاءه للرومان ؛ وذهب لمحاربة سابور باسمهم ، ثم ارتد الى تدمر وقبع فيها يترقب الفرص ويتحينها للسيطرة على جميع البلدان العربية وطرد النفوذين : الروماني والفارسي معاً .

ومرت روما بعهد الانحطاط والضعف ، وكان سابور قد استعاد قواه فشن على

الرومان حرباً ثأرية كتب له فيها النصر .

وفكر اذينة في موقفه تجاه هذا الوضع، واحس ان سابور يبيت له الشر فحاول ان يتقرب اليه تجنباً للاصطدام به ، إلا ان سابور داخله الغرور والصلف فكان لا مفر لأذينة من ان يحاربه .

وقدر للبطل العربي ان يدحر سابوراً وجيشه ، وان يحطم كبرياءه وعنجهيته ، بما أوتيه من قوة البأس والذكاء ومهارة التصميم .

وانكفأ اذينة لمقاتلة الرومان فسار الى حمص، وحاصر الجيوش الرومانية فيها وتمكن من فتح المدينة وقتل قائدها ( كياتوس ) .

وتم لأذينة اخراج الرومان من شمالي سورية ، وتحقق على يده قيام مملكة عربية مستقلة .

وكان اول ما سعى اليه مؤسس هذه المملكة ، هو القضاء على الاضطهاد الذي كان نصارى الشام في انطاكية وحمص ودمشق وقيسارية عرضة له ، فأطلق لهم الحرية الدينية واوعز الى الوثنيين ــ وكان هو وثنياً ــ اوعز اليهم الا يتعرضوا للنصارى في قضاء فروض عبادتهم ، واباح لهم إقامة البيع والكنائس .

ولكن أذينة لم يفسح له لتزدهر الحضارة العربية التدمرية على يديه ،فكثيراً ما يكون المصلحون الثائرون أول الضحايا لثورتهم . وهكذا قدر لاذينة، فلقد غدر به احد ابناء عمه ، بينما كان يتوجه الى حمص لقتال القائد الروماني هرقليوس .

قد يقول قائل : ان الطموح لا الاحساس العربي هو الذي دفع أذينة لان يبني ملكاً له ... فنجيب : ان عنصر الطموح لا يمكن نكرانه حقاً ، ولكن الاحساس القومي كانهو أهم الدوافع التي حملت أذينة على التمرد والوقوف في وجهأقوىدول عصره ، بلالدولتينالتين تسيطران يومذاك على العالم وأعني بهما الفرس والرومان .

فلقد حز في نفس هذا البطل ان يظل قومه مطايا اطماع الفاتحين ، وان تظل بلادهم موطئاً لسنابك خيلهم؛ فآثر المغامرة ونذر نفسه لتحريرهم من العبودية ، وجاءت من بعده زوجته الزباء او زينب او زنوبيا كما اطلق عليها الرومان واليونان ، جاءت من بعده تكمل رسالته وتعمل على ازدهار المملكة .

فلقد تولت الحكم في سنة ٢٦٧ ميلادية ، بعد أن ورث ابنها البكر « هبة اللات » لقب ملك الملوك ومصلح الشرق .. واخذت تنظم شؤون مملكتها وتوجه اهتمامها — جل اهتمامها — الى الجيش، وتشرف بنفسها على التمرينات العسكرية، وتشاطر جندها شظف العيش وخشونة الحياة ، وتعد نفسها لتحمل اعباء القيادة.

وكان النفوذ الروماني بعد وفاة أذينة قد انبسط من جديد على المملكة التدمرية فراحت الزباء ترقب الاحداث ، حتى اذا دبت الفوضى في الامبراطورية الرومانية اعلنت ابنها « هبة اللات » قنصلا ثم امبراطوراً .

وكانت الخطوة الثانية التي أقدمت عليها هي ضرب نقود باسم ابنها الامبراطور ووضعها في التداول ، وفي عام ٢٧٢ ميلادية قامت بهجوم صاعق على مصر فخلصتها من قبضة الرومان، بعد ان سيرت لهذه الغاية جيشاً مؤلفاً من سبعين الف مقاتل يقوده (عبدوس) أو زيد كما يذكر الاستاذ كرد علي في كتابه خطط الشام.

وما كادت انباء النصر تصل الى تدمر ، حتى سارعت الزباء فأعلنت نفسها قيصرة و « هبة اللات » قيصراً ، وضربت نقوداً جديدة تحمل صورتها ولقبها الجديد كما تحمل صورة « هبة اللات » ولقبه .

وسار عبدوس الظافر الى آسيا الصغرى ، فبلغ أنقرة وسواحل البوسفور ، وكانت غاية زنوبيا من هذه الحملة الجديدة ، تحرير آسية من النفوذ الروماني، ولكن جيشها عاد دون قتال عندما لاحظ تصميم الآسيويين على ابقاء النفوذ الروماني .

وكان من الطبيعي ان يحقد الرومان على تدمر ؛ وان يحاولوا هدم سلطانها، فحشدوا قواهم ، وهاجموا مصر ، فأعادوا سلطانهم اليها رغم مقاومة المصريين

الضارية . عندئذ رأت زنوبيا ان تركز الدفاع عن مملكتها ، ولكن ( اورليان ) امبراطور الرومان ، وهو الذي يعرف بسالة التدمريين ، لجأ الى الحيلةوالخديعة فتظاهر بالانكسار في احدى المعارك ورجع عن انطاكية ، ثم أمر جنوده بنصب كمين وراء تلال المدينة وبساتينها .

وظن التدمريون ان الرومان قد هُزموا فعلا ، فاندفعوا ليقعوا بالكمين ويمنوا بخسارة فادحة ، رغم براعة عبدوس في الانسحاب الى حمص ليجعل منها خطاً دفاعياً جديداً عن المملكة .

وفي سهل حمص رأت الزباء ان كفة الرومان العسكرية هي الراجحة فجمعت مجلس قيادة الحرب للتشاور ، وسرعان ما تقرر التراجع الى تدمر واتخاذها حصناً أخيراً .

وحاصر أورليان تدمر وطال حصاره لها ، وعز على الزباء ان تستسلم فامتطت هجيناً وانطلقت قاصدة بلاد فارس لتطلب نجدة سابور ، ولكن جنود الرومان أدركوها وهي تعبر الفرات فقبضوا عليها وأعادوها اسيرة .

وعظم عليها ان تنهار مملكتها ، فأعلنت وهي في اسرها الصوم عن الطعام الى ان فاضت روحها ، فانطوت بموتها صفحة من صفحات النضال العربي ، وانهارت تدمر عاصمة الثورة على الاستعمار في القرن الثالث الميلادي ، وحاضرة العاهلين العربيين العظيمين أذينة والزباء .

## الغساسنة وبنو تغلب ومملكة سبا :

تعالوا معي نسير عبر التاريخ ... ونودع تدمر وحضارتها ، لننشر صفحة اخرى من صفحات المجد العربي قبل الاسلام .

ها نحن أولاء .. في مشارف الشام بين مضارب الغساسنة ... فهلموا نستنطق التاريخ عن امجاد هؤلاء السمر الأشاوس ، الذين بنوا ملكاً ، وأقاموا حضارة ، قبل انبثاق الفجر الاسلامي .

ان الحديث عن الحضارة النامية في مرابع هؤلاء العرب حديث محبب ، ولكنه اثير ايضاً عن قبيلة اخرى مسيحية عربيـــة ، هي قبيلة بني تغلب التي اشتركت في معارك عربية خالدة ، واشتهر منها شاعر كبير هو الأخطل . وأجـــدني الآن مدفوعاً لتلمس معالم حضارة عربية اخرى في الصحراء العربية السمراء ، وفي اليمن التي أطلق عليها الفرنجة منذ القدم لقب : العربية السعيدة .

تعتبر بلاد العرب الجنوبية من أقدم مراكز الحضارة عند الامم الساميـة ، إذ كان موقع اليمن الجغرافي من أهم الاسباب التي ادت الى نشوء حضارة مترفـة في ديارها ، فسبقت بذلك المناطق الشمالية من الجزيرة العربية . وتتمتع هذه المنطقة بخصب وافر في جبالها العالية وهضابها المخضرّة ، وسهولها الفسيحة ، كما تتمتع بحكم وجودها على طريق الهند ، بموقع تجاري بالغ الاهمية ، وقد ساعد هذان العاملان من ازدهارها ونمو الحضارة فيها ، ولقد أطلق الدكتور حتي على عرب اليمن اسم فينيقيي البحر الجنوبي ، لانهم رسموا خرائط هذا البحر ، وسيطروا على رياحه ، وتحكموا في تجارته في الالف والخمسمائة سنة قبل المسيح .

وكانت لليمنيين طرق تجارية أخرى في البر من حضرموت الى قارب ، ومنها الى مكة والبتراء ، ثم الى سورية ومصر والعراق . وكانت لغة سكان تلك البلاد اللغة الحميرية ، أي اللهجة العربية الجنوبية ؛ الى زمن يقرب من الفتح العربي ، حين احذت اللهجات الشمالية تتمتع بقوة وعزة ، بينما اخذت اللهجات الجنوبيـــة تتدهور وكان ذلك لفقدان بلاد اليمن حريتها واستقلالها ، فتدهورت حضارتها وانحطت ، فاستلزم ذلك انحطاط اللهجات الجنوبية ، وتلاشت لتحل محلها العربية الشمالية التي كانت تتمتع بدفق من الشباب والفتوة .

اما الدول العربية التي تداولت الارض اليمنية ، فأقدمها الدولة المعينية التي ازدهرت في اليمن بعد سنة ٦٥٠ قبل الميلاد .

وقد سيطرت في نهضتها على معظم اقسام الجزيرة العربية ، وما تزال معين العاصمة التي تحمل اسم الدولة المعينية الكبرى حتى اليوم ، كما ان معان المصرية تدلنا على امتداد تلك الدولة الى أطراف البلدان المجاورة للجزيرة .

ولقد استطاع المؤرخ « موللر » ان يكتشف اسماء ستة وعشرين ملكاً من ملوك دولة المعنيين اليمنية .

وكان السبائيون ورثة المعنيين ، قد بسطوا نفوذهم وسيطرتهم على جنوبي الجزيرة العربية وحكموها ، وكانت عاصمتهم قديماً ( مراوح ) ثم اصبحت مدينة مأرب المشهورة بسدها العظيم ، وكانت هذه المدينة ملتقى الطرق التجارية بين الشرق والغرب .

## المملكة الحميرية :

وبعد سنة ١١٥ قبل الميلاد ، يبدأ عهد دولة عربية جديدة ، هي المملكة الحميرية الاولى التي امتد بقاؤها حتى سنة ٣٠٠ بعد المسيح وكانت عاصمتها ( ظفار ) ويروي لنا التاريخ قصة القائد الروماني ( اليوس غاليوس ) الذي حاول غزو اليمن على رأس جيش روماني لأهميتها التجارية ، ولكنه لم يوفق في غزوه وعاد مع بقايا جيشه المنهزم الى مصر .

في هذه الحقبة من التاريخ ، عبر العرب أرض كوش ، ووضعوا فيها اسس المملكة الحبشية ، فكان لهم الفضل الاول في انشاء تلك الحضارة الحبشية . وبنى ملوك حمير ، تخليداً لاسمهم قصر رغدان ، الذي بقي قائماً نحو ( ٦٠٠ ) سنة وشاهده الهمداني ووصف روعته ، وما حوى في بنائه من آيات الفن والزخرف .

## حضارة اليمن :

وفي القرن الاول بعد المسيح، ينحرف التاريخ انحرافاً خطراً ؛ يؤدي في النهاية الى تلاشي سيطرة كل من اليمن وتدمر والبتراء ، وذلك ان العرب اليمنيين وكانوا كما قلنا يسيطرون على طرق التجارة بين الشرق والغرب ، ويفرضون رسوم المرور على البضائع، ويجبون منتجات بلادهم بأسعار باهظة . وكان عرب البتراء وتدمر والعراق، يتحكمون من جانبهم بالتجارة الشرقية الى ان سقطت مصر بيد الرومان؛ فأعاد بطليموس الثاني فتح القنال القديمة بين النيل والبحر الاحمر ، وتمكن الرومان بمساعدة الأحباش من الوصول الى المحيط الهندي ، فتم بذلك القضاء على السيطرة التجارية لليمن والبتراء وتدمر . وبدأ عهد الانحطاط في اليمن مع قيام الدولة الحميرية الثالثة ، التي تدخل المسيحية واليهودية في ايامها بتلك الاصقاع ، فتستبدل الحكم وينقسم عرب اليمن الى يهود ونصارى، ويتآمر «ذو نواس» آخر ملوك حمير على نصارى اليمن الغربي، لخضوعهم لنفوذ الحبشة، فيدبر لهم مذبحة في عام ٥٢٣ م ويتنادى النصارى الى الثأر، ويعبر سبعون الفاً من نصارى الحبشة بأمر من امبراطور بيزنطية ارض اليمن، ليتحكموا بأهلها جميعاً من نصارى ويهود بعد ان زعموا انهم جاءوا لحماية النصارى والثأر لهم .

وتجدر الملاحظة هنا ان هذا الاسلوب الاستعماري، ظل الى يومنا هذا وسيلة بارعة من وسائل الدول الكبرى لتفريق الشعوب الصغيرة واستعمارها . وفي هذه الفترة يتهدم سد مأرب العظيم على يدي القائد الحبشي (أبرهة) ويتعذر ترميمه ، ويهجر بنو غسان واللخميون اليمن الى حوران والحيره ، وكذلك يفعل الكثيرون من بني طي والتنوخيين وكندة ... وكثير غيرهم من عرب اليمن .

وبقيت اليمن مستعمرة حبشية الى ان قام ( سيف بن ذي يزن ) يريد تحريرها بتعاونه مع الفرس، ولكن آمال القائد العربي اصيبت بالفشل حين وجد ان الفرس ينوون الحلول مكان الجيش الحبشي في استعمار اليمن .

وهكذا استبدلت اليمن استعماراً حبشياً باستعمار فارسي، ظل مسيطراً الى ان ظهر عرب الشمال في القرن السابع بعد المسيح في احدى الحملات التي شنها اتباع الدين العربي الجديد .

## نهاية المطاف :

هذه ملامح من حضارة العرب قبل الاسلام ، وليس باستطاعة أي مؤرخ مهما كانت مقاصده وغاياته ، ان يشوه حضارة اليمن الزاهرة ، أو ان يتجاهل الانباط ، حلقة الاتصال بين تدمر وغزة ، وخليج فارس والبحر الاحمر واليمن ، او اهمال حضارة سلع وتدمر والمناذرة والغساسنة .

وهكذا نسير في معارج التاريخ ، فنجد المسيحية تدخل الجزيرة فيتنصر الكثيرون من ابنائها ، ثم تنبثق الارض العربية عن الرسالة المحمدية، فيكون الاسلام دين القومية العربية وابناً عبقرياً لها .

## موجات الاستعمار والبلاد العربية :

كيف لا يكون العربي عربياً لأنه اعتنق المسيحية او الاسلام ؟ وما علاقة الدين ـ كرسالة سماوية انسانية لكل الناس ـ بالقومية المختصة بشعب من الشعوب؟ لقد كانت العروبة ثم كانت المسيحية ، وكان بعدها الاسلام فعاشت هاتان الديانتان السماويتان في الارض العربية شقيقتين متجاورتين متجانستين . فمن اين جاء هذا الوهم الشائع بان العروبة تعني الاسلام ؟ وبأن المسيحيين في هذا الشرق العربي غرباء؛ ليس لهم من امجاد هذه الامة العريقة ما للمسلمين ؟

انه الاستعمار... الاستعمار الذي يحاول دائماً ان يندس في صفوفنا ليفرق ويسود، الاستعمار التركي الذي جاء من قبل ليحتضن المسلمين كما يدعي ، فاذا به نير ثقيل

يثقل أكتاف المسلمين قبل المسيحيين ، واذا بالثورة التحررية تنطلق من صفوف كل المواطنين الشرفاء، دون النظر الى دياناتهم المختلفة ، واذا باعواد المشانق ينصبها السفاح التركي جمال ، لقادة الحركة التحريرية مسلمين ومسيحيين ، واذا بالدماء المهراقة تنصهر في وحدة وطنية رائعة ، هي شيء من هذا القبس الحي المتوثب في روح كل فرد . انه الشعور القومي ، الشعور بالوطنية الصحيحة الصادقة التي تلف الجميع في النكبات وتصهرهم ببوتقة الوحدة الوطنية .

ويمضي الاستعمار التركي غير مأسوف عليه ، وتتنشق هواء الحرية ملء رئاتنا ولكن هذه الحرية ، ما تلبث ان تختنق بين قبضتي عملاق جديد من عمالقة الاستعمار ، انه الاستعمار الفرنسي وزميله الانكليزي الذي جاء هذه المرة ليحمي المسيحيين من المسلمين . وكانت وسيلته هذه المرة تجزئة الوطن الواحد الى اوطان وكيانات ، كان بعضها من نصيب فرنسا ، والبعض الآخر لقمة سائغة للانكليز .

ولكن الاستعمار أثبت مرة أخرى انه لا يحمل اليمن والخير والسعادة لفريق من المواطنين دون الآخر، غير انه يحمل لهم جميعاً الذل والمكر، والحقد والاستغلال وشرور العبودية . فاذا بالنضال من اجل الحرية يتجدد قوياً عنيفاً عند جميع المواطنين مرة أخرى تحت راية الوطنية الحقة، التي يتسع صدرها لجميع الديانات السماوية الكريمة .

هكذا شاء الاستعمار ان يقنع الاقلية المسيحية في الوطن العربي ، أن وحدة هذه الأقطار هي وحدة دينية فحسب ، يجمعها الاسلام ، وتاريخ الاسلام ، ورسالة الاسلام ؛ ولكن الفئات الواعية كانت تلقم هذا الاستعمار حجراً كلما طاب له ان يردد هذه النغمة ليمتص خير ارضنا ويسرق رخاءها .

## ليعلم الاستعمار :

ألا فليطمئن الاستعمار أياً كان نوعه ، على سلامة المواطن ، اي مواطن في هذه

الديار ، وليفهم ان المسيحيين من هذه الامة عرب قبل غيرهم ، لهم ما لغيرهم من أمجاد العروبة . ساهموا في بناء عزها ، وانهمرت دماء شهدائهم مع دماء اخوانهم المسلمين ، كلما تعرضت هذه البلاد لجور الطغاة الغزاة ونكباتهم .

وليعلم الاستعمار الذي ينصب نفسه وصياً وحامياً لحقوق الشعوب الصغيرة ، ليعلم اننا جميعاً بخير ما دام هو بعيداً عنا .

لقد كان هذا السبب من اهم الاسباب في اشاعة هذا الوهم المغرض ، ولكنه لم يكن الوحيد ، فلقد فصلتنا عهود الاستعمار البغيضة عن التاريخ العربي ، فجهلناه أو جهله معظمنا جهلا فاضحاً . وساعد على ذلك الثقافة الاجنبية التي لم تكن تلقننا العلوم فحسب ، بل تلقننا معها ان ننسى تاريخنا ، وان نهمل تراث اجدادنا الحضاري ، ليكون جيلنا جيلا منقطع الصلة بماضيه ، يعايش حاضره الاسود القاتم بائساً محطماً ، فيندفع الى احضان الحضارة الغربية التي تقدم اليه على اطباق من ذهب ، فيكون بذلك قد فقد عروبته الاصلية ، واصبح عضواً مشلولا غير ذي فاعلية في جسم العالم الكبير .

كانت هذه الاسباب تتراكم على الشرق العربي ، في فترة سوداء من تاريخه ، في عصر انحطاط تروج فيه الشائعات ، وتسود فيه المغالطات ، وبعض الناس ، والواعون منهم يحاربون اخطاراً أكبر من هذه ، والبعض الآخر يتخبط في محيط من الجهل طاغ ، ونحن واثقون في هذه الفترة التحررية التي تحياها بلادنا ، ان الضباب سينقشع ، وان الحقائق ستبدو جلية واضحة حين يكتب تاريخنا من جديد ، وحين نقضي نهائياً على هذا الدخيل الكريه ... الاستعمار ، وحين نقضي على اطماعه واذنابه ومطاياه في بلادنا .

## دور الاسلام في الوطن العربي :

بقي علينا ان نوضح مكان الاسلام في الوطن العربي .

ان القومية كما نعلم هي هذه الارض التي تنمو عليها مواهب الأمة من آداب وفنون وعلوم وحضارة . والاسلام في تاريخ العروبة ثورة تحريرية نضاليـــة وانتفاضة جريئة لهذه الأمة ، كشفت عن غيوم الجاهلية ، وحررت الشعب العربي في سورية ولبنان وفلسطين والاردن ومصر من نير الرومان ، كما حررت العراق من نير الفرس .

انه انقلاب جذري في حياة العرب وفي نفوسهم ، أهّلهم لقيـــادة العالم القديم لتحقيق مثل قيمة ، وحمل رسالة الخير والحق والعدالة لكل الناس .

فالاســـلام اذاً في حقيقته يفصح عن مواهب العروبة وعبقريتها ، ساهم في تاريخها وحمل رسالتها فامتزج بها في امجد ادوارها . ومع هذا فالاسلام ليس العروبة ، والقضية العربية ليست قضية اسلامية لان في العرب مسلمين وغير مسلمين . ولأن القومية غير الدين .. والا لوجب ان يؤلف المسلمون في العالم كله قومية واحدة ووطناً واحداً ، وان يؤلف المسيحيون بدورهم قومية واحدة ووطنا واحداً ، وهذا مغاير للحقيقة والواقع .

ولماذا نذهب بعيداً نسبر اغوار التاريخ ، ونكشف حقائقه ونحن نعيش واقعاً جلياً يوضح القضية من جميع جوانبها .

أفليست تركيا المسلمة من الدّ اعداء القومية العربية ؟

الا تحتضن هذه الدولة المسلمـــة اسرائيل المسخ ؟ وتشترك معها ومع بريطانيـــا وفرنسا في التآمر ضد القوميـــة العربية المتوثبة ؟ والتي تنتفض من جديد لتستعيد مركزها في العالم ، ولتحمل رسالتها في الخير والسلام بعد ان فرض عليها الاستعمار هذه الهجعة الطويلة .

أفلا نجد تركيا المسلمة ، تطل من وراء كل مؤامرة اجنبية تكيد لهذه الامة التي

تنشد السيادة والحرية ، فاذا بالارض التركيـــة مسرح حيكت عليه وتحاك كل مؤامرات الاستعمار ، واذا بالمسؤولين هناك اقطاب في تدبيرها ؟

وايران والباكستان المسلمتان ، الا تحالفان مستعمرينا وناهبي خيراتنا دون ان تردعهما رابطة الدين .

## رسالة المواطن العربي :

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا وحياتنا ، وفي هذه الايام العصيبة التي تمر بها دنيا العرب وهي تحارب الاستعمار بكل ما تملك من بأس وقوة ، وتتطلع الى الغد المشرق ، وتناضل الخونة والجواسيس وتجار الوطنية ، فتخوضها معركة حياة او موت ، معركة شعب اصيل ذي حضارة وامجاد ، معركة شعب يتطلع الى الماضي يستمد منه عزماً وايمانا وتصميما ، وتصهره الآم الحاضر فيحاول ان يخلق من كل ذلك مستقبلا جديراً بامته ، وان يتابع الرسالة الخيرة التي بشّر بها اجداده .

في هذه الايام يجدر بكل مواطن ان يعي هذه الحقيقة، وهي ان رسالة القومية العربية الجديدة، هي رسالة القومية التي لا تعرف العصبية او الحقد ، رسالة القومية المتفتحة، التي تود ان تعيش مع باقي القوميات في سلام وامان، لا استعمار ولا استغلال ولا عبودية .

هذه القوميـــة التي تضمنا مسيحيين ومسلمـــين ، ساهمنا جميعاً في بناء صرح حضارتها، وامتزجت دماؤنا جميعاً في معاركها ، انها ارث لكل منا ؛ لم يورثنا اياها نبي من انبياء الله؛ولا حملنا اياها دين من الاديان ، بل كونتها لنا طبيعة حياتنا وسر ارتباطنا .. ارضنا هذه التي نحيا من خيراتهـــا ، ونتنشق نسماتها ، ونحرث سهولها ووديانها ، ونسكن جبالها وشطـآنها .

اجل ان العروبة هي واقعنا الذي لاغنى لنا عنه ، وحاضرنا الذي لا حياة لنا بدونه ، ومستقبلنا الذي لا وجود لنا الا به ...

## نداء ونصيحة :

وليعلم الضائعون وراء سراب الاستعمار ، ان كل كيـــان في الاوطان العربية لا يستند الى عنصرالوطنيةالعربية،هو كيان اعرج أبتر، وان كل دولة تبني أركانها لهدف ديني ، وعلى طريقة طائفية كاسرائيل مثلا ، هي دولة فاشلة ،تحييها الظروف وتميتها الظروف ، وتقويها المناسبات وتفنيها المناسبات ، وانها تحمل طبيعة فنائها في ذاتها ، وسر زوالها بتكوينها .

ونصيحة اخيرة الى المبهورين بدعاية السوء ، الوجلين من العروبة ، نصيحة الى هؤلاء ألا تغرهم بهارج الاستعمار ، فسرعان ما يقلب لهم ظهر المجن ، ويتحول منهم اليهم اذا اقتضت ظروفه ومصالحـــه . وليعلموا ان كانوا غيارى على ابناء وطنهم ان العروبة اسمى درجات الوطنية وارقى مراقيها .

ان معركتنا مع الاستعمار هي المعركة الفاصلةمعركةالمصير الى الاجيال القادمة ومبدأنا الذي لايتحول هو : نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد .

obeikandl.com

# المرأة والحرية

● لدى المرأة من الامكانيات الطبيعية ما يندر توفره عند الرجل ، فاذا اختص هو بخصلة العنف فقد اختصت هي بخصلة العطف ، واذا كان واجبه الكسب . فطبيعتها الارضاع ، واذا اعتز وتباهى بأنه والد ، فانها هي الوالدة ، واذا صعّر خده وشمخ بأنفه بأنه أب ، فيكفيها فخراً انها ام ، واذا امتاز بالقوة العضلية فقد امتازت بالقوة النفسية .

● في القرن السابع للميلاد تندى قطر من صحراء العقائد ، وأطلت الشريعة الاسلامية كالطل على المرأة وتعهدتها بالعناية والرعاية ، وما من نظام تحت السماء انصف المرأة وناصرها وحررها مثل النظام الاسلامي .

● لقد اعطيت المرأة في الاسلام من الحقوق والامتيازات ما يجعل المطالبة بالمساواة بينها وبين الرجل ، وهماً من الاوهام ، وفرضت على الرجل من الواجبات والاعباء ما يجعله هو في موقف لا يحسد عليه .

تعتبر مشكلة حرية المرأة من أخطر مشاكلنا الاجتماعية ، وتحتل حيزاً كبيراً من تفكير ساستنا وحكامنا وذوي الرأي فينـــا . ولا غرو في ذلك ، فالمرأة نصف الأمة ، ومن اهم العوامل الفعالة في بناء المجتمع وخدمة الانسانية .

ومن المؤسف ان يكون تاريخ الامة العربية في العصور القديمة قد عبس للمرأة ، وتولى عنها ولم يبتسم لها ، وانما حفلت تلكم العصور بامتهانها ، ودأبت على ظلمها ، وسارت على سنة إذلالها وعدم الاحتفاء بها ، شأن كل امة لا تزال في دور الطفولة.

## المرأة الجاهلية

هذه المرأة ، التي تشغل اليوم نصف العالم ، وتملك ناصية التاريخ ، كانت في العصور القديمة للامة العربية ، سقطاً من المتاع ، ولوناً من ألوان الزينة ، ونوعـــاً جديداً من أليف الحيوان . ولم يعترف العرب الاولون لها بأبده صفاتها : صفـــة الانسانية .. فاشتركوا في الزوجات مثلما كانوا يشتركون في الاموال والمتاع، حسبما روى الجغرافي اليوناني ( سترابون ) .

واوضح دليل على ذلك ، بقاء بعض التقاليد الشاذة في الزواج عندهم ، حتى ظهور الاسلام ، كزواج الرهط : وهو ان يتزوج رجال عديدون امرأة واحدة . وزواج الاستبضاع: وهو ان يدفع الرجل زوجته الى عظيم او امير ليستولدها رغبة في نجابة الولد . ونكاح السفاح: وهو الزنى المعروف . ونكاح البـــدل: وهو ان يستبدل كل من الرجلين حليلته بحليلة الآخر ... الى غير ذلك من الانكحة الشاذة الفاسدة ، مما يعتبر دليلا واضحاً على ظلامية الحياة الاولى عند العرب .

ثم دار الفلك دورته ، ومشت الايام خطواتها ، وقام العرب بنهضة عظيمة ، تشبه نهضتهم في صدر الاسلام ــ مع الفارق ــ وسكبت ديمة هذه النهضة شآبيب الرحمة على المرأة ، وتلفتت الامة العربيـــة على تلكم الزهرة الممتهنة ، وتنسمت عبيرها ومدت اليها يد العناية ، لا يد الاستعباد ، ولحظتها بعين الرعاية لا بعين السخط ، وأصاب المرأة العربية من هذه النهضة نصيب وفير .

## المرأة والشرائع القديمة

منذ نيف وأربعة آلاف سنة ، قبل ميلاد السيد المسيح، جاءت شريعة حمورابي العربي، وهو الذي يعتبر في نظر فقهاء القرن العشرين أول المشترعين. جاءت ومنحت المرأة العربية رغم اعترافها بسيادة الرجل كثيراً من الحقوق، واسبغت عليها وابلا من النعم لم تكن تتوفر لها من قبل ، إذ حددت سلطة الرجل العائلية في الاحوال الشخصية ، وعاملت المرأة بشيء من العدل والرحمة في باقي الحقوق العامة : فأباحت لها مزاولة الشؤون التجارية والاعمال الزراعية ، والانتظام في سلك الكهانة ، فضلا عن اشغالها المنزلية .

## كيف تساوي المرأة الرجل ؟

وهكذا أضحت المرأة في هذه الناحية نداً للرجل ، ومساوية له تقريباً .

ولا غرابة في ذلك ، فهي نصف الامة ، ولديها من الامكانيات الطبيعية ، ما يندر توفره عند الرجل ، فاذا اختص الرجل بخصلة العنف ، فقد اختصت المرأة بخصلة العطف ، واذا كان واجبه الكسب ، فطبيعتها الارضاع ، واذا اعتز وتباهى بأنه والد ، فانها هي الوالدة ، واذا صعّر خده وشمخ بأنفه بأنه أب ، فيكفيها فخراً انها أم ، واذا امتاز بالقوة العضلية فقد امتازت بالقوة النفسية .

هذا ما تسلحت به المرأة العربية . وما مكّنها يومذاك من مشاركة الرجل في الحقلين المادي والاجتماعي ، بل زاحمته في الميدان السياسي وزحزحته عن أرائك الحكم .

والتاريخ اعدل شاهد واصدق راوية . فقبل ميلاد السيد المسيح ببضعة قرون تلقى شلمنصر الثاني الولاء والاحترام من ملكتين عربيتين ، ونصب اسر حدون

على احد العروش اميرة عربية ، والسطر الذهبي الذي سجل في تاريخ اليمن ، انما سطرته يد امرأة ، والسعادة التي رفلت بها الارض السعيدة انما هي من صنع امرأة ، انها بلقيس التي ورثت عن ابيها عرش اليمن لثلاثين عاماً تقريباً قبل المسيح ، وكانت مثال الحاكم العادل النزيه ، احسنت في الادارة اشد الاحسان وابدعت في التنظيم ما شاء الابداع ، ووطدت دعائم امرها ، ورئقت عرى ملكها ، وخلفت وراءها كثيراً من الرجال في الميادين التي يزعمون انها وقف عليهم وملك لهم ، ووصفها الهدهد لسليمان حسبما ورد في القرآن : ( فقال احطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين . اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ) .

وكان في ركابها حينما سارت الى سليمان مائة الف من الفرسان ، وكان من امرها معه ، ما سجله التاريخ وايدته السماء . فقد استبدلت بدين ابيها دين الله ، وقوضت في البلاد عمد الفوضى ، واقامت بنيان النظام وظللتها بظل من الأمن والسلام .

ومع ذلك لم تنفرد بلقيس في موكب الفخار ، ولم تتسنم وحدها القمة بين النساء العربيات ، بل شاركتها في ذلك ملكة عربية اخرى لها عظمتها وقدرها ، تلك هي زنوبيا ملكة تدمر ، التي عوزها صلابة الرأي ولا مضاء العزيمة ، ولم تنقصها قوة البأس ولا متانة الشكيمة ، بل قامت تثبت للتاريخ ان المرأة التي تهز بيمناها سرير الطفل ، تستطيع ان تهز بيسراها العروش والممالك ، انتضت زنوبيا البرهان نفسه الذي يظن الرجل به نفسه فوق المرأة ، انتضت السلاح وأخضعت كثيراً من الممالك ، واقتحمت كثيراً من البلاد ، واقتحمت كثيراً من المعاقل .

ولكن سرعان ما تبدلت الاحوال ، فبعد ان تبوأت المرأة العربية مكاناً باذخاً ، وبلغت عزاً شامخاً في ايام العرب البائدة من عمالقة العراق ، وفراعنة مصر ، وعاد وثمود في اليمن ، انقلبت الى ما بدأت به من البداوة والجهل ، وخنست عن مكانها الرفيع الى ما كانت عليه من الذل والضعة ، وحيل بينها وبين اهدافها ، وقلبت لها الايام ظهر المجن ، فغلبت على امرها ، وتحكم الرجال بها وتخيلوها متعة للرجل ، وزعموها

دمية من دمى اللهو ، أو وسيلة من وسائل التسلية ، وليت غيهم وقف عند ذلك ، وليت طغيانهم لم يتجاوز حده ، فانهم تجرأوا على الله تعالى وسلبوا المرأة انسانيتها ، بل سلبوها الحياة ، وفي هذا يقول مناظر امرىء القيس معبراً عن شعور قومه ، مفصحاً عن وجهة نظرهم :

فإن تسألوني بالنساء فانني ... بصير بأدواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه ... وشرخ شباب عندهن عجيب

## كره البنات

ولمنزلة المرأة الوضيعة ، كانوا في الجاهلية يمتعضون من ولادة البنات بل كانوا يستترون اذا ولدت لهم بنت ، حياء من القوم ، كأنهم ارتكبوا عاراً او اقترفوا جريمة ، وقد حكى القرآن الكريم ذلك عنهم بقوله :

( واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشر به . أيمسكه على هون ام يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون! )

## الحجاب

اما الحجاب بمعنى ستر الوجه ـ فقد كان قائماً عند كثير من قبائل العرب في الجاهلية ، واخبارهم تؤيد وجوبه ، واشعارهم لم تخل من التصريح بوجوده ، وفي ذلك يقول الربيع بن زياد العبسي في رثاء مالك بن زهير :

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسراً يندبنه ... يلطمن أوجههن بالاسحار

قد كنّ يخبئن الوجوه تستراً فاليوم حين برزن للانظار
يضربن حرّ وجوههن على فتى عف الشمائل طيب الاخبار

على ان الرجال كانوا يتعففون عن مغازلة النساء ، فلا يحاولون متى خرجن ان يتبعوهن بأنظارهم ، بل كانوا يفاخرون بغض النظر عنهن ، ولمثل هـذه الحالة اشار عنترة بقوله :

واغض طرفي ان بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

## تعدد الزوجات

اما من حيث تعدد الزوجات في الجاهلية ، فلم يكن عند العرب حد محدود في التزوج . وقد يتزوج الرجل امرأة ابيه بعد طلاقها او موت ابيه ، وممن فعل ذلك عمر ابن امية بن شمس ، ولما كان الزواج عندهم سهلا لكثرة انواعه ، فقـد كان الطلاق مثله في السهولة ، ولكن على غير حد وبدون نظام يكفل حق المرأة ، بل كان الرجل يضارها في الطلاق ما شاء له ان يضارها واذا مات لم يكن لها نصيب الارث ، وكيف ترث وهي في نظرهم من جملة المتروكات . وكان كل ما يصنعه الرجل بها ، انها ان كانت جميلة تزوجهـا ، وان كانت غير ذلك حبسهـا حتى تموت فيرثها .

هذه هي حال المرأة الجاهلية ، مبتذلة ممتهنة ، لا يقام لها وزن ولا يعترف لها بحق ، كانت تشترى وتباع كالسلعة والمتاع ؛ وكانت تورّث ولا ترث ، وتُملك ولا تَملك ، كما كانت مرهقة بظلم الرجل ينتقص من انسانيتها ، ويتصرف باموالها وممتلكاتها .

واختلف الناس ايام الجاهلية فيما اذا كانت المرأة انساناً او غير انسان ، وفي كونها تلقن الدين ، وتصح منها العبادة ام لا ، وفي كونها تدخل الجنة وملكوت السماء ام لا ، ولم يكن هذا حالها عند العرب في جاهليتهم فقط ؛ بل كان كذلك في اوروبة

يوم كانت اوروبة تعيش في ظلام دامس، ويوم قرر احد المجامع بروما ان المرأة مخلوق شرير يجب ان يعامل معاملة الحيوان . ولعل فرنسا هي اول دولة في العالم ايام الجاهلية ، عملت على انصاف المرأة ، حيث قررت بعد ولادة محمد وقبيل بعثته ان المرأة انسان ، الا انها خلقت لخدمة الرجل .

## انقاذ المرأة :

وفي وسط هذا النظام الجاهلي المليء بالمآسي المضطرب النظام ، تلفتت المرأة العربية التي هاضها الالم ، وبهظها الاضطهاد واثخنها الذل ، الى ما يحقق كامل انسانيتها او يقيلها من عثرتها ويتبنى فكرة مساواتها ، فاذا بمحمد بن عبد الله ترسله القدرة الى هذا العالم المضطرب ، ليحد من طغيانه ، ويخفف من غلوائه وهيجانه ، فقرر للمرأة على الفور ، كامل انسانيتها وحريتها ، وساواها بالرجل في النفس والجاه والكرامة ، وبذلك رفع عنها تلك الآصار ، وحررها من قيود الذل والاستكانة والهوان ، ونزل قوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة ، وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا ) .

## معطيات الاسلام للمرأة :

كفل الاسلام للمرأة العربية حرية التصرف ، واباح لها ان تملك العقار المنقول ، وان تهب وتشتري وتبيع ، وان توصي وتقاضي كما تريد ، على حين ان الدول الكبرى وصاحبات الدعوة الى حرية الشعوب ، لم تتوصل الى ما وصل اليه الاسلام فيما يتعلق بحقوق المرأة وانصافها الا في مستهل القرن العشرين .

اعطى الاسلام المرأة كل الحقوق التي اعطاها للرجل ، مدنية كانت ام سياسية فلها حق العمل بمزاولة كل مهنة شريفة تعجبها ، ولها حق الانتخاب ، والتمثيل النيابي والبلدي والاداري ولها ان تتولى مناصب القضاء .

## نساء مسلمات :

ففي عصر العباسيين تبوأت شجرة الدر عرش مصر ، وكانت ام المقتدر رئيسة لمحكمة الاستئناف ببغـــداد . وقصة ام المقتدر قصة المرأة الطموح التي اولدتهـــا الاقدار ملكاً على عرش بغـــداد ، وكان التاج على رأس وليدها بيد ان السلطة كانت طوع يدها ، وتاريخ هـــذه الام الملكة هو تاريخ المرأة المكافحـــة ، التي حاربت بطانة الشر باعمال الخير ، وحاشية السوء بمكر الداهية ، وثبتت الملك تحت قدمي طفل ، ما عرف عرش بغـــداد اشد هواناً منه ، مدة خمس وعشرين سنة . فضلا عن ركاكته واسفافه ، وفضلا عن مجونه وعبثه ، وفضلا عن خفته وهزاله .

ولقد سطرت هذه المرأة مع الزمن قصة الطيبة والدهاء، والغدر والوفاء، وقصة السياسة في احلك لياليها واظلم عهودها .. عهد المقتدر .

ام المقتدر ! وما ادراك ما ام المقتدر؟ انها جاريـــة من ذوات الدل والجمال، ومن اولئك اللواتي تجتمع لهن رجاحة العقل وصباحة الوجه ، ويدخلن التاريخ من قصور العظماء . فيهن ظرف وكمـــال ، يقرضن الشعر ويروين الطرائف ، ضالعات بالآداب عالمـــات بالقوانين ، يجمعن الى طريف الخبر معسول القول ، ويضفن الى ذلك درايـــة باصول الطرب وسحر الغناء .

أم المقتدر .. واي خليفة ؟ انه الصبي المقتدر ؛ لها في كل امر شأن، ولها في كل قضية حكم وميزان، ترعى الامور صغائرها وجلائلها ، واي غرابة في ذلك ، فالخليفة نفسه صغيرها ووليدها ، ترفع من تشاء وتضع من تشاء من امور هذه الدولة البعيدة الاطراف .

باشارة من بنانها المخضب ، او رنوة من طرفها الكحيل ، ينعزل والٍ من الولاة ، وينصّب قاضٍ من القضاة ، ويقوم قائم بغداد ويقعد قاعدها اذا رغبت السيدة ( شغب ) ام المقتدر .

من ذا الذي يعتصم به المغضوب عليهم من الامراء ، ويؤوبون اليه ويرومون

جواره، ويرجون شفاعته؟ انها ام المقتدر، ومن لقلوب الملوك - وهي كالبارود سريعة الغضب، شديدة اللهب - من الذي يطفىء لهيبها، ويكبت سخطها؟ انها ام المقتدر.

العدل والفوضى امران لا يستويان، غير ان ام المقتدر وقرت العدالة في الفوضاء، ونشرت السلام في ارض البغضاء، واستوت في كرسي القضاء، وفصلت الخصومات، وازالت العداوات، فكان لها مجلس في كل يوم جمعة، تنظر فيه امور الناس، وحولها الفقهاء والعلماء والقضاة والكبراء، تدهشهم جرأتها، ويأخذهم علمها وفضلها، ويعجبون لبعد نظرها، وصدق حكمها، وسعة افقها.

وعلى كثرة كتب التاريخ وحدة ألسنة المؤرخين، لم يقل واحد منهم ان أم المقتدر حكمت فظلمت، ولا سطر احدهم انها قضت بغير حق، بل صمتوا امامها صمت ابي الهول، وسكتوا سكوت الليل، وما من قوة اخرستهم والجمت السنتهم الا الحق. فاكتفوا بالقول: ان ام المقتدر امرت ونهت؛ وتسنمت مركز القضاء تحكم بين الناس، وتقضي في خلافاتهم، وترقع العقاب وتفرض الحلول.

## المرأة ومجالس العلم:

منح الاسلام المرأة حق الارشاد وحرية التعليم، وخصها بمزيد من العناية والاهتمام، وسوّى في ذلك بينها وبين الرجل حيث ورد (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وورد ايضا (اطلبوا العلم ولو في الصين) والصين اذ ذاك وطن مشرك ملحد، فليس معنى طلب العلم فيها تعلم الحديث والتفسير والتوحيد والتجويد، والفقه واصوله، وانما معنى الحديث تعلم كل فن ضروري للحياة ونافع، وتقصي المعرفة مهما بعدت منابعها.

وبذلك بلغت المرأة العربية في ظل الاسلام درجة اجتماعية رفيعة دونها مراتب النساء جميعاً، في انحاء العالم المعروف آنذاك، حيث لم يجد العلماء اي حرج في السعي الى امرأة لسؤالها عن حكم او فائدة، فهذه عائشة زوج النبي كان رسول الله ﷺ يقول في حقها: (خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء).

وهذه زبيدة زوج الرشيد ، وسكينة بنت الحسين ، وشهدة فخر النساء ، وبوران حرم المأمون ، وقطر الندى امرأة المعتضد ، وكثيرات غيرهن من فضليات السيدات كن يجلسن مجالس العلم والادب والمناظرة والمساجلة ، ويحكمن بين الشعراء والعلماء والخطباء .

## المرأة والقتال :

اما في علم الحرب والجندية ، فقد ضربت المرأة العربية في صدر الاسلام المثل الاعلى في الاستشهاد في سبيل العقيدة ونصرة الحق واعلاء كلمة الله ، ومن هاتيك النساء العربيات اللائي ابلين في الجهاد والانتصار على الاعداء عائشة زوج النبي ﷺ ، واسماء بنت ابي بكر ، وحسانة النميرية ، ورابعة العدوية ، والخنساء . تلك المرأة التي شهدت وقعة القادسية مع بنيها الاربعة ، وخطبتهم تحضهم على القتال بخطبتها المشهورة المعروفة ، ولما بلغها نعيهم جميعاً رفعت يديها الى السماء متضرعة قائلة ( الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، واسأل الله ان يجمعني معهم في مستقر رحمته ).

ولعل اعظم ما يجب الانتباه اليه ، ان المرأة العربية في عصر العباسيين كانت تتلون بلون مغاير لما كان قبلا ؛ بسبب دخول عنصر جديد على الحياة الاجتماعية العربية هو الموالي . وتتميز تلكم الفترة بازدياد الاهتمام بالأدب والشعر والغناء والموسيقى ، ونتيجة لذلك ، فقد تغلب الجانب الفني على حياة المرأة العربية ، وصادف ذلك هوى ورغبة في نفوس الخلفاء والامراء ، الذين امتلأت قصورهم بالجواري والاماء ، من كل صاحبة صوت وناظمة شعر أو قارعة دف ، أو ضاربة بوتر .

على انه مما يدعو الى الاعجاب ايضاً ، ان المرأة العربية في العصور الاسلامية الزاهرة ، لم تقتصر على تعلم العلم وتعليمه للمبتدئين فحسب ، وانما زحفت الى مركز الاستاذية حيث جلس امامها شيوخ كبار ، يلتمسون الاستماع اليها أو القراءة عليها او الاجازة منها ، واستمرت حركة التحرر في البلاد العربية سائرة على غاية من الدقة والانتظام ، حتى حلّ بالشرق الأدنى ما عكر صفوه ، وقلب من جديد

اوضاعه ، وانتهى الامر الى العثمانيين الذين كانوا اكثر ميلا الى الحياة العسكرية منهم الى الحياة المدنية المرفهة .

وعندئذ اختفى ويا للأسف على ايديهم ما نما وترعرع على ايدي سابقيهم ، فارتدت المرأة العربية على اعقابهـــا ، ورجعت القهقهرى الى عصور الظلام ، واحتجبت نهائياً عن المجتمع ، واقتصر نشاطها على كونها اماً وزوجة وربة بيت وحُرمت من مشاركة الرجل نشاطه في مضمار الحياة الى ان ظهر عامل جديد في الميدان ، تأثر الشرق به .. ذلكم هو النهضة الاوربية الحديثة .

## اوضاع المرأة الحديثة :

هذا عرض موجز جداً لوضع المرأة العربية في التاريخ والاطوار المتناقضة التي مرت بها عبر العصو

ومما تقدم يتبين لنا ان الا ـد توصل منذ زمن بعيد الى ما يطالب به المجددون اليوم ، وهو تحرير المرأة وتحقيق المساواة الفعلية بينها وبين الرجل لأنهما شريكان في الانسانية . وكلمة الانسانية مأخوذة منهما جميعاً . واذا كانت المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات ميزة ظاهرة تطبع العصر الحديث في البلدان المتمدنة التي تستمد لغاتها لفظ الانسانية من الرجال وحدهم دون النساء حيث يقال مثـــلا : ( Humanité ) مأخوذة من ( Homme ) وهو الرجل. فقد سبق الاسلام كافة المبادىء وحقق المساواة بين ابنائه الذين تستمد لغتهم لفظ الانسانية من كلمـــة انسان ، ألا وهو مجموع الرجل والمرأة ،

## واجب الدول العربية

واذا كان الناس لا يريدون تطبيق نظم الاسلام لغيرة او لغرور ، فخليق بهم

ان ينهجوا شرعة الامم المتحدة التي تقرر المساواة بين الجنسين، حيث تصرح المادة الاولى من مبادىء وأهداف هيئة الامم المتحدة في « سان فرنسيسكو » بانها تعمل على اشاعة وتشجيع الحقوق البشرية، والحريات الاساسية لكافة الناس دون ما تميز بين الاجناس واللغات والاديان او تفريق بين الرجال والنساء ، وحسبما تنص المادة الثامنة من هذه المبادىء ( بان المنظمة لا تفرض اي قيد يحد من دخول الرجال والنساء ضمن شروط متساوية في جميع الوظائف رئيسية كانت ام ثانوية ) .

نحن المسلمين من انصار المساواة الحقيقية ، لا الوهمية ونحن ندعو ونعمل من اجل تحطيم القيود التي تكبل المرأة ورفع السدود التي تحول دون دخولها الحياة العامة . ونحن واثقون انه لن يأتي اليوم الذي تصبح الأمة العربية فيه سيدة نفسها واثقة من مستقبلها ، آمنة على كافة حقوقها ومصالحها الا حين تصبح المرأة العربية بالذات ، عضواً صالحاً في المجتمع ، وتستقل فكراً وعملا ونزعة. وتشعر انها انسان لها حقوق الانسان ، وتعمل وتجد وتصبح مواطناً سعيداً منتجاً حراً بكل معنى الكلمة .

## ماذا نريد للمرأة :

الكلام في حقوق المرأة حديث جديد في المدنية ، واذا كانت المرأة العربية في ظل الاسلام قد حصلت منذ خمسة عشر قرنا تقريباً على كثير من الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في اوائل القرن العشرين ،فان المرأة العربية اليوم لم تستفد من احكام الاسلام شيئا، وواقعها واقع لا تحسد عليه ابداً لان اولي الامر وكثيراً ممن ينتسبون الى الدين الاسلامي ظنوا ان الاسلام ظلم المرأة وسلبها حقوقها ، مع العلم بأن الاسلام اعطاها من الحقوق،وفرض على الرجل من الواجبات ؛ ما يجعله هو في موقف لا يحسد عليه ،وما جعل بعض الظرفاء يطالبون للرجل بمساواته مع المرأة لما لها عليه من امتيازات .

## ميراث المرأة :

في القرن السابع للميـــلاد تندّى قطر في صحراء العقائد ، وظهرت الطمأنينة والسعادة في ضوضاء العرب ، واطلت الشريعة الاسلامية كالطل على المرأة المسكينة وتعهدتها بالرعاية والعناية، ولم تبخل عليها بالعناية، وجعلت لكل من الذكر والانثى نصيباً معلوما من ارث المتوفي ( للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ) . هذا هو الحق المعلوم الذي تفرضه البنوة على الابوة ونعمة الخير القائمة الاثر بين المولود والوالد ، والذكرى لاتموت بين الولدان في مراحهم وقصورهم ، والآباء في رموسهم وقبورهم ، وهذا النصيب القائم لا يتواضع أو ينكمش ان تواضع الوارث وصغر ، ولا يتضخم ويطغى ان عظم الوارث او كبر ، لا لشيء الا لانه حق ، وسيان في ذلك حق الامير والحقير ، وحق الكبير والصغير وحق الوزير والخفير ، وما ذلك الا طاعـة للقسمة الربانية ( فريضة من الله وكان الله عليما حكيما ) ،

اقام الاسلام للارث قواعد لاتحيد وما على الناقد البصير والباحث العدل ، الا ان يلحظ المزايا العظيمة للميراث في الاسلام ، والتي تنطوي عليها مصالح العباد او يتم بها نظام الحياة .

ألم تهاجم الاشتراكيـة على اختلاف اقسامها وكثرة وجوههـا ـ وابرزها اشتراكية سان سيمون ـ النظام الارثي الذي اثبته الاسلام ؟ الم يجحد القانون اليوناني والروماني حق القرابة وجاء الاسلام فأثبته ؟ ثم ألم يكن نظامه المتبع في التوزيع والتركة حسب السهام، ووضع الانصبة، فتحاً في عالم التنظيم والابداع تفرّد به دون سواه من الشرائع والقوانين تلـكم الشرائع التي كانت تفرق ... بين الارشد وغير الأرشد في ميراث الذكور ، وجاء الاسلام فسوّى وعدل ، والتي كانت تميز بين البكر وغيره وجاء الاسلام فقوّم واقسط ؟

## وجهاً لوجه مع المتهجمين :

وان الاسلام لايساوي المرأة بالرجل فقط بل يرفعها ويدنيه ، ويسعدها ويشقيه ، وما من امة تحت السماء انصفت المرأة وناصرت المرأة ، وقررت حقوق المرأة ، وحررت المرأة ، مثل الامة العربية .

وفي ذلك يقول فون كرومر ( إن العرب كانوا مفطورين على احترام النساء ، ومنهم تعلم الغربيون احترام نسائهم ) .

واذا كانت ارادة الله قضت علينا اليوم ان نصبح في مؤخرة الشعوب ، بعد ما كنا في مقدمتها ، نتيجة جمودنا وتخاذلنا ، فانه يجب علينا ان نعمد في ثنايا هذا الظلام الدامس الى نشر ما فطرنا عليه ، من احترام النساء ، وان نؤمن بأن التاريخ يجب ان يعيد سيرته ، وان الديموقراطية يجب ان تسود ، وان المرأة العربية يجب ان تتحرر ، وان المبادىء الانسانية يجب ان تعم وتنتشر (١) .

---

(١) راجع مؤلفات الاستاذ محمد جميل بيهم حول المرأة .



obeikandl.com

# لبنان

# إخاء بين المسيحية والإسلام

● يعتقد الاستعمار ان باستطاعته البقاء في لبنان مـــا دام فيه داء الطائفية ، ولذلك فهو يستخدمها في كل مناسبة للسيطرة .

● ان الدول الكبرى كانت تتقاسم الطوائف اللبنانية ، فهذه كانت تنعم بعطف فرنسا ، وتلك تساعدها بريطانيا ، والثالثة تنسجم مصالحها مع مصالح امريكا .

● حان الوقت لكي يعلم جميع المعنيين بأمر الطائفية ، ان المسيحيين ليسوا غرباء عن هذه الديار ، وان المسلمين ليسوا دخلاء عليها ، وان « استحالة الحيـــاة » بين هاتين الطائفتين في وطن واحد.. اصبحت نوعاً من «الخرافة» بفضل الوعي العربي .



obeikandl.com

السلم والسلام وكل ما يتفرع منهما ، ويجمّل الحياة بحقائقهما وينسب اليهما : من المبادىء الاساسية التي قامت عليها رسالات السماء عامة ، وحملت لواءها المسيحية والاسلام بصفة خاصة .

فاما المسيحية فرسالتهـــا الحب وطريقها الاخاء وغايتها السلام ، وشعارها المصوغ من هذه المثـــل الرفيعة : « المجد لله في الاعـــالي وبالناس المسرة وعلى الارض السلام » .

واما الاسلام فهو مرادف « السلام » وقرينه في الاشتقاق من مادة « سلم » وضريبه في امتاع الكون بالسلامة في الابدان والانفس والاموال .

من اجل ذلك كانت تحية ابناء الاسلام عند اللقاء « السلام » ووداعهم عند الفراق « السلام » واسم الله عندهم : السلام ، واقدس لياليهم ليلة القدر التي انزل فيها القرآن تميزت بالسلام « سلام هي حتى مطلع الفجر » .

فاذا كان هذا شأن الديانتين اللتين تنتسب اليهما الكثرة الغالبة من ابناء لبنان ، فكيف يعتبر التعايش السلمي بين اتباع ديانتي السلام قضية تحتاج الى اثبات ؟ أو مشكلة تتطلب العلاج ، او غاية يسعى اليها الاحرار والمنصفون من قادة الوعي في لبنان ؟

ان التعايش السلمي بيننا هو نتيجة حتمية لكوننا مسيحيين ومسلمين ، وهو الثمرة الطبيعية لانتسابنا الى المسيح ــ وهو رمز الحب والتسامح بين الناس سواء منهم المحبون والكارهون ــ والى محمد الذي يقول الكتاب الذي انزل عليه « ولا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون » والتعايش السلمي بديهة من البساطة بحيث لا تتطلب ارادة بحث ولا تقليب رأي ، للوصول الى اتفاق عليها أو الالتقاء حولها ، وهو كذلك حقيقة واقعة تشكل الطبيعة الصحيحة التلقائية لحياتنا الاجتماعية ، كما يشكل الجريان طبيعة الماء ، والهبوب طبيعة الهواء ، والتنفس طبيعة الحياة في الانسان .

## التعايش تجسيد لحقيقة قديمة :

ومع ان التعايش السلمي تعبير حديث ، فهو تجسيد لحقيقة قديمة اراد المستعمر ان يطمسها ويشوهها ، ليتاح له أن يتسلط وان يمد سيطرته ويوطد نفوذه .

فمنذ الرومان كانت القاعدة الاستعمارية « فرق تسد » هي « التكتيك » الناجح الذي يلجأ اليه المستعمرون لتحقيق النزاع بين طبقات الأمة ومختلف فئاتها ، يضربون بعضهم ببعض ، ويحرضون هذه على تلك ، ويثيرون المخاوف في صدر الواحدة تجاه الاخرى ليخلو لهم الجو ، وليأمنوا اتحاد هذه الفئات جميعاً ووقوفها في وجه الدخيل واطماعه ، والطغيان الاجنبي وشروره .

وكلنا يعلم ان كثيراً من بلاد الله كانت ميداناً تطبيقياً لهذه القاعدة ، فالهند مثلا لم تعرف الاستقرار في عهودها الذليلة ، لان الاستعمار حرّم عليها الاستقرار ؛ ولأن وسيلته الى غايته ، كانت في خلق نوع عنيف من الصراع المفتعل بين فئات الوطن الواحد بل على التحديد بين الهندوس والمسلمين .

الهندوسي يقدس البقرة ، والمسلم يعتبرها من الحيوانات التي خلقها الله لخدمة الانسان ، ورغم ذلك فان نوعاً من الاتفاق الضمني والتعايش السلمي كان قائماً بين التفكيرين ، فلا الهندوس يفرضون على المسلمين عبادة البقرة ، ولا المسلمون يطلبون الى الهندوس ان يتنازلوا عن عقيدتهم ، باعتبار ان العقائد الدينية ليست الا جزءاً من حرية الفرد الشخصية وحرية تفكيره .

وعندما كانت الاصطدامات تقع بين المسلمين والهندوسيين ، كان المستعمر حابك المؤامرات هو الذي يشعل نار الفتنة ويحرك شيطانها ، وهو الذي يفتعل السبب للالتحام ، ليصرف المواطنين عن هدفهم الاصيل الذى يسعى اليه القادة المخلصون .. الا وهو النضال الدائم المستمر لطرد الاجنبي وانتزاع جذور الاستعمار من ارضهم .

وكان هذا الدخيل ينبري حين تقع الواقعة ليذيع على الدنيا انباء الفتنة مكبرة مضخمة ، وليظهر للعالم ان الهند غير جديرة بالاستقلال ، وان وجوده فيها وبقاءه على ارضها ضرورة حيوية لاقامة السلم بين فئاتها ، وانه لولا تدخله لطغت فئة على اخرى وافنتها في حرب اهلية ضارية لا ترحم .

وكان بعض السذج يصدقون هذا المنطق ، ولكن الذين لم يكونوا يصدقونه هم الواعون المخلصون الذين آلوا على انفسهم ان يفضحوا الاستعمار ، وان يدحروه وان يفسدوا عليه خططه .

وبالفعل فلقد استمر نضالهم وامتد الى ان وجد الاستعمار نفسه عارياً من كل هيبة ؛ مجرداً من كل نفوذ ، والى ان تحقق ان اساليبه في تفريق الصفوف وتأريث الاحقاد، لا يمكن ان تحمي مصالحه ، فاضطر الى ان يغادر الهند وفي نفسه الحسرة والكمد ، وعلى مفرقه عار الزمن وسبة التاريخ .

## تجربة الاستعمار في البلاد العربية :

لم تنج بلادنا العربية من ان تكون حقلا للتجزئة ، فالاستعمار اياه حاول خلال فترة طويلة من الزمن ان يزرع الفتنة في مصر ، كما حاول ان يحمل بذورها الشريرة الى سوريا، ولكنه كان ينتهي دائماً ذليلا مدحوراً، تفضحه عيون الوطنية الساهرة وتكنّس آثاره طاقات الوعي التي تتفجر في دنيا العرب ، كلما طاب لمستعمر ان يتحدى ارادة شعبنا العربي ويتسلل الى صفوفه .

## الطائفية سلاح الاستعمار :

واما لبنان فقد كان له النصيب الاوفى من دسائس المستعمر وفتنته ، وكانت الطائفية هي السلاح الذي يتشقه في كل مناسبة ، بسبب تعدد ديانات سكان هذا

البلد واختلاف عقائده، وكان الطمع بلبنان يستند الى اسباب كثيرة ... اهمها ان هذه البقعة من الارض هي المنفذ الطبيعي لبقية البلاد العربية ، فالسيطرة على لبنان تسهل السيطرة على سورية والاردن والعراق ، ومن هذه البلاد كلها يمكن السيطرة على مصر وقناة السويس .

كما ان الاستعمار بسبب تعدد الطوائف اللبنانية ، كان ومايزال يعتقد ان باستطاعته ان يلعب ورقة الطائفيـــة في اي وقت شاء ، ليحقق اطماعه في الاستيلاء على هذه المنطقة الستراتيجية .

ومن هنا نشأت فكرة الحياد الايجابي . . الفكرة التي تحقق للعرب كسبين عظيمين : الاول استقلال بلاد هذه المنطقة وسيادة شعوبها ، وباستقلالها وعدم سيطرة احد عليها يتحقق الكسب الثاني والاهم الا وهو السلام العالمي . وهكذا نجد ان دور العرب في اقرار السلام العالمي هو دور رئيسي ، وكلما قويت جبهة الحياد الايجابي في العالم كلما ابتعد شبح الحرب الذرية التي تهدد الانسانية بالدمار والفناء .

## الدول الكبرى تتقاسم الطوائف :

ومن هنا ايضاً يتبين للمدقق اهمية الدور الذي يود الاستعمار ان يلعبه حـــين يحرك الطائفية ، ويستخدمها كسلاح فعال للسيطرة على لبنان . فهو يطلق الفتنة الطائفية حيناً بعد حين ، يطلقها بين المسيحيين والدروز وبين المسلمين والمسيحيين . حتى ليمكن القول ان الدول الكبرى كانت تتقسم الطوائف اللبنانيـــة ، ليجعل الاستعمار — وهو قاسمها المشترك الاعلى — من لبنان مناطق لنفوذه .

فهذه الطائفة مثلا ، تنعم بعطف فرنسا وتلك تساعدها بريطانيا وثالثة تنسجم مصالحها مع مصالح اميركا ، وهكذا دواليك حتى اصبحنا في وضع دقيق جداً ، فلا يكاد ينشب بين شخصين من طائفتين خلاف بسيط حتى يتعالى الصراخ من كل جانب وتكال التهم جزافاً للدولة والكيـــان بأسره ، وتعلو نغمه مقيتـــة تسبح بحمد الاستعمار وضرورة رجوعه للتهذيب والحماية ونشر الحضارة .

وهذا ما حدث فعلا في عام ١٨٤١ إذ تشاجر درزي من بعقلين مع مواطن من دير القمر ، فاذا ببريطانيا تهب لنصرة الدروز ، وإذا بفرنسا تتجند لحماية المسيحيين واذا بالعثمانيين يتجاذبون الفريقين حفظا لكرامتهم كحاكمين شرعيين للبلاد وصوناً لنفوذهم الذي تهدده بريطانيا وفرنسا بتدخلها السافر .

وليس جديداً بأن نقول بأن فتنة ١٨٦٠ الدامية التي وصمت حقبة من تاريخنا بوصمة مفتعلة، ليس جديداً ان نقول بأن هذه الفتنة كانت من نتائج الدس الاجنبي الذي كان يفتعل الحوادث ، ليتدخل او ليحمي بعضنا من البعض الآخر على حد زعمه .

## الهرة الثلاث :

ومن سوء حظنا ان الطامع بنا ، ببلادنا الخيرة ، بثرواتنا ، كان اكثر من واحد ، فاذا بنا كقطعة لحم طرية يتنازعها ثلاث هررة : الفرنسيون والانكليز والاتراك ، كل منهم يطمع ان يسيطر على مواردنا ، وان يستثمر خيرات بلادنا ؛ وهكذا فما كان ينشب خلاف عادي في سنة ١٨٦٠ حتى هبوا جميعاً يتنازعون على الغنيمة ويقتتلون في سبيل التفرد بها . وليس ادل على ذلك من سلوك العثمانيين في بلادنا . فالاتراك كمسلمين دخلوا البلاد كما هو معروف لحماية فئة معينة — ان لم يكن ذلك ظاهرياً فعلى الاقل بصورة ضمنية — ولكنهم ما كادوا يمسكون بزمام الامور حتى اخذوا يحاربون الوعي وينشرون الجهالة ويسومون جميع الطوائف اشد انواع العذاب والتنكيل ، بما في ذلك المسلمين. ومن لا يصدق فليسأل مشانق عاليه ، ومشانق بيروت ، وليستعرض اسماء الشهداء الذين علقهم السفاح التركي الغاشم ، وحينئذ تتجلى لعينيه حقيقة صارخة لا يمكن نكرانها ابداً .. وهي ان عناصر هذا البلد وفئاته على اختلاف عقائدهم لا تنساق لمطامع الاجنبي ، ولا تؤخذ بألاعيبه وأكاذيبه . ان مشانق جمال باشا السفاح لم تقف ولم تعف عن عنق المسلم لانه مسلم ولم تشد عنق

المسيحي لانه مسيحي ، بل اطبقت على اعناق النخبة من شباب الامة الذين تجرأوا وطالبوا بالحرية لبلادهم وبالكرامة لوطنهم .

## داء الطائفية :

كما ان الدلالة التي تحملها تلك الكارثة دلالة عميقة المعنى تلقم كل مضلل حجراً وتبرهن بأن الطائفية لم تكن يوماً ما حاجزاً بين نضال المسلم ونضال اخيه المسيحي اي ان نضال المواطن لم يتجزأ يوماً ولم يتلون بلون الدين وانما كان نضالاً مشتركاً ضد التحكم والتعسف والظلم والعدوان .

فداء الطائفية اذاً .. هذا المرض الخبيث الذي استشرى في جسم وطننا الحبيب واعيى علاجه نطس الطب وعلماء الاجتماع، هو دخيل علينا ومستورد من الخارج ، ان التدين في بلادنا قديم ولكن الطائفية مستحدثة ، اننا في هذا الشرق حواريو الانبياء واتباع الاولياء ولكننا لم ننغمس في الحقد الديني الذي يدعى « الطائفية » الا حينما جرتنا اليه اساليب الاستعمار واحابيل المستعمرين .

لا طائفية في الدين ولا دين مع الطائفية . هذا هو المبدأ الذي يجب ان يعتنقه المسلمون والمسيحيون في لبنان ، لان الدين رحمة للعالمين وهدى للناس اجمعين وهو شمس الله التي تشرق على الجميع ، وغيث الله الذي يحيي موات الخير في قلوب الجميع ، وشتان بين الدين وبين الطائفية .

لقد نظر القرآن الكريم الى جميع الاديان السماوية نظرة تمجيد وتكريم وخص المسيحيين بالذات حينما قال : « ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون » .

ولو اننا رجعنا الى صفحات التاريخ ، وتلمسنا سير تراجم اعلام المسيحية والاسلام في العصور القديمة والحديثة لالفينا ميزة الحب والاخلاص والتسامح جلية واضحة بينهم في اقوالهم وافعالهم وسائر شؤون حياتهم .

فهذا الخليفة المتوكل على الله العباسي ، حينما اراد ان يستوثق من امانة الطبيب الكبير حنين بن اسحق ويختبر درجة اخلاصه قبل ان يقربه منه لينتفع بعلمه وخبرته ، راوده ان يضع له دواء مسموماً ليغتال به احد اعدائه السياسيين وقال له : يا حنين ، اني اريد ان اقتل عدوي هذا قتلا قاحلا من غير ان يدري بذلك احد ، فأتني بما تدبره له .

ولم يكن الطبيب يعلم ان هذه تجربة له ليستوثق من امانته واستقامته ، مخافة ان تلعب بعقل الطبيب رشوة اعداء الخليفة فيقتله غيلة ، ومع ذلك فقد اجابه الطبيب قائلا :

ايها الخليفة ، انني تعلمت من العلم ما طاب ونفع ، وما عدا ذلك لاعلم لي منه ، فخيّره الخليفة بين امرين : هدية سنية ان لبى طلبه ، وان ابى فالسجن والموت ، فلم ينثن حنين عن عزمه ولبث في السجن حولا كاملا لم ينقطع خلاله عن التأليف والبحث .

ولما رأى الخليفة ان التهديد لا يؤثر في نفس ذلك الطبيب دعاه وقال له : يا حنين هدىء من روعك واطمئن الى نفسك ، فقد صرت على يقين من حسن طويتك وجعلتك طبيبي الخاص ، شريطة ان تخبرني عن سبب امتناعك عن تنفيذ ما اردت .

فقال الطبيب : انما كان ذلك لامرين : احدهما ديني فهو يمنعني عن كل ضرر ألحقه بأحد ولو كان عدوي ، وثانيهما صناعتي ، فلهما علي من الواجب ما يرغمني على فعل الخير بالناس .

وهذا الخليفة المعتضد العباسي يحاول ان يختبر مدى ايمان ابي قرة الصابئي وهل يبيع دينه بدنياه ، فعرض عليه أن يطعم مرة فولا ويأخذ الفي دينار ، ومن المعروف ان الصابئة تحرم أكل الفول فرفض الصابئي ذلك وقال له : لا والله يا

امير المؤمنين ، لا اطعمه ابداً ولو وزنت لي ملء هذه الحجرة ذهباً، فكان بموقفه هذا محلاً لرعاية الخليفة المسلم وحبه واحترامه .

وهذا المنصور بن ابي عامر الملك الاندلسي ذو الايمان الصادق واليقين العظيم ، ما كاد يزور مدينة سانتياغا البورتغالية ، ويزور ضريح يعقوب تلميذ المسيح عليه السلام حتى لاحظ بجوار الضريح راهباً منقطعاً لخدمته والعنايـــة بأمره ، فسر الخليفة المسلم كثيراً واعجبه من الراهب المسيحي ما رآه فيـــه من معالم الايمـــان والاخلاص ، فأغدق عليه عطاياه وبالغ في اكرامه .

ثم هذا الخليفة العباسي المعتصم يبكي ويطيل البكاء على طبيبـه المسيحي المخلص سلمويه ، لما عرف عنه من الصدق في الدين والاخلاص في العقيدة والاستقامـة في العمل ، ودفعه وفاؤه له وحبه اياه الى استشارته عن الشخص الذي يجدر ان يسند اليه عمله ، فقال له سلمويه: عليك بحنين بن ماسويه. ولما قضى سلمويه نحبه امر المعتصم ألا يدفن حتى يصلى عليه في قصره صلاة الجنـازة حسب الطقوس المسيحية ، ثم تقبل المعتصم التعازي واحجم عن الطعام ايامـــاً حداداً على صديقه وطبيبـــه سلمويه المسيحي .

أما الرحالة ابن جبير ، فانه يذكر لنا في رحلته ان غليوم الثاني ملك صقليـــة كان معجباً بايمان العلماء المسلمين وكبير اخلاصهم ، فاتخذهم مرافقين له يمهدون امامه طريق المعرفة ، ويدرسونه آداب اللغة العربية ، وكان يأتمنهم على كل خواصه حتى على طعامه وشرابه واسراره وقد نقش على خاتمه « الحمد لله وحده » .

ثم لم يكد ينتهي عهد الاتراك الاسود ، عهد الجوع والعري والتشرد ، عهد السفاح جمال ، حتى اطل علينا شبح استعمار جديد اخذ يتمركز في ربوعنا .

## ارض العروبة مهبط الرسالتين :

انبرى المواطنون الاحرار ليقولوا للاستعمار ان افتراقنا في الدين الى مسلمين ومسيحيين، لا يمكن ان ينال من وحدة البلد العربي الذي نشترك في شرف الانتساب اليه، ونتقاسم خيره وامجاده في اخوة صادقة ووحدة وطنية شاملة . ذلك بأن ارض العروبة مهبط الرسالتين المسيحية والاسلامية هي وطننا جميعاً ، نلتقي في ظله ونتعاون على اسعاده ، ونسير جنباً الى جنب في الدفاع عن مقدراته ، وتتعانق أشلاؤنا إذا جد الجد في ساحة الفداء له .

وما كان اختلاف الدين بين ابناء البلد الواحد عامل هدم او ترهين في كيانهم القومي ، متى استوفى مقوماته من اتحاد اللغة والجنس والأرض والمصالح والآلام والآمال .

ولقد قام الوطن العربي في ظل بطل العرب الاكبر محمد بن عبدالله صلوات الله عليه على اساس توافر هذه المقومات التي لم ينقص من اهميتها واثرها في تكوين الوحدة الوطنية ان يكون لابنائه يومئذ أكثر من دين .

نعم قامت دولة الاسلام ـ وان شئت قلت دولة العرب ـ الأولى في المدينة غب الهجرة ، فاذا دستورها المثالي كما تقرره صحيفة الموادعة بين المسلمين واليهود ، يبسط جناح الامن والسلام والاخاء على اهل المدن جميعاً بدرجة واحدة مساواة تامة في الحقوق والواجبات لا يلمح فيها ظل للتفريق بين المسلم صاحب الاكثرية والرياسة ، بين اليهودي الذي يمثل الاقلية التابعة .

وبهذا نقدم الدليل الحاسم على ان الدولة التي تقوم على التعصب وتبني سياستها على الاهواء الطائفية ، تكون قد ندت عن الناموس الطبيعي في قيام الدول وخرّبت الاساس الصالح الذي يحفظ عليها عنصر البقاء والاستمرار .

ومن هذه المغالطات التي تخلق نشوء الامم كانت دولة اسرائيل كياناً مزيفاً لا يمكن ان يعيش لانـــه قام على اساس ديني عنصري ، على شتات من امم مختلفة لا تجمع بينها وحدة تاريخ ولا وحدة مصير .

وقال الوطنيون الشرفاء للاستعمار الفرنسي : ليس المسيحيون غرباء عن هذه الديار ، وليس المسلمون دخلاء على هـــذه البلاد ، واكتشف الاستعمار انـــه هو وحده الدخيل وانه هو وحـــده العلقة التي تمتص دماء الشعوب والحشرة النهمة التي تأكل خيرات الآخرين ، وكان عليه ان يرحـــل وكان علينا نحن ان ندفع ضريبة الدم من جديد .

وحصدنا رصاص المستعمر الفرنسي دون ان يفرق بين مسلم ومسيحي ، واختلط دماء شهدائنا في طرابلس وصيـــدا وفي بيروت ومختلف المدن اللبنانيـــة ، دماء مسيحية ومسلمة ، امتزجت لتصنع للبنان تاريخاً من العزة والكرامة والمجد ، تاريخاً بريئاً من العنعنات الطائفية .. من هذا الطاعون الوافد الذي لا يمكن ان يعيش في ارضنا ابداً . وهكذا جمعنا النضال ضد المستعمر الفرنسي مرة ثانية بعد ما جمعتنا مشانق جمال باشا السفاح وكانت ثورة ١٩٤٣ التي سرنا في صفوفها مسيحيين ومسلمين ضد الاستعمار الفرنسي المسيحي مكملة لثورتنا ١٩١٦ ضد الاستعمار العثماني المسلم . وحمل الفرنسيون تاريخهم الاسود ورحلوا ، فهل انتهت فتن الاستعمار الطائفية في بلادنا ؟

لقد غادرتنا جيوش الاحتلال وانتهى بخروجها عهد الاستعباد ، اما المؤامرات فلم تنته ولكن الشيء الأكيد الراهن هو ان الطائفية لم تعد ابداً لسوء حظ المستعمرين السلاح الظافر او الورقة الرابحة .

## محاولة اخيرة فاشلة :

لقد حاول المستعمر خلال فترة ما بعد الاستقلال ان يوقظ نار الفتنة اكثر من مرة ، ظناً منه ان اشعال نار حرب اهلية في لبنان بين المسيحيين والمسلمين هو خير

سبيلة لتهديم الكيان وتقويض اركانه ، وخير حافز لفئة معينة للاستنجاد بفرنسا وطلب حمايتها . وانه لمن المؤسف حقاً ان يكون في صفوفنا بعض التجار ، تجار الاديان والوطنية الذين كان همهم الأوحد ان يحققوا للاستعمار اغراضه وان يصبوا الزيت على الفتيل ليشتعل عند اول احتكاك .

هؤلاء التجار التزموا لأسيادهم اضرام النار ، وكانوا حريصين جداً ان يقوموا بالتزاماتهم ، ومن اجل ذلك دأبوا على حبك الفتن في الظلام ، وراحوا في كل مناسبة يشنون حرباً استفزازية كلامية تعلن ابواقها ما يلقن المستعمر لهذه الابواق من اضاليل وتضليل ، ولكن الشعب المتراص المتكاتف عرف كيف يقابلهم في كل مرة بالسخرية والازدراء والاحتقار .

وقد اخذنا نلاحظ أن مروجي هذه البضاعة بدأوا يختفون عن المسرح السياسي شيئاً فشيئاً ، لانهم باتوا يخجلون من وعي الشعب ، من النور الفاضح المسلط على مخازيهم . ولقد بدأت قضية استحالة التعايش بين المسيحيين والمسلمين في وطن واحد ، لقد بدأت هذه القضية تدخل في تاريخ الخرافة بعد ان حطم وعي الشعب إرادة الفريقين المعنيين هذا الادعاء المضلل .

ولم لا نقولها بصراحة ان التعايش السلمي بين المسيحية والاسلام ، هذا التعايش القائم منذ نشوء الاسلام ، اصبح في لبنان ضرورة كيانية ملحة لبقاء هذا البلد واستمراره . وهل يعيش الطائر بجناح واحد وهل يحيا الانسان برئة واحدة ؟

في كل يوم يقف اكثر من رئيس ديني مسيحي ليعلن للعالم حقيقة هذا التعايش وفي كل يوم يقف اكثر من رئيس ديني مسلم ليؤكد للملأ ان هذا التعايش لا يمكن ان يؤثر فيه دس ولا تضليل ، ولكن الاستعمار لا يكل ولا يمل ، انه يؤمن باخلاص فئة ضئيلة من المأجورين ، ويعتقد ان باستطاعة هذه الفئة ان تحقق له اغراضه وان توصله الى غاياته .

ولكن الاستعمار اصبح من البلاهة والخرف ، وقصور التفكير وبلادة الذهن لدرجة تحمل فعلاً على الضحك والسخرية ، لانه اغفل عامل الوعي ونسي ان كل لبناني اصبح يعرف تمام المعرفة ماذا تعني دعايات الاجنبي وانه امسى يعرف تماماً ان تحريض فئة على فئة لا يستفيد منه الا المحرض .

لقد صار بامكان اللبنـــاني ان يستخدم معرفته للتوصل الى حقيقة الامور وجوهرها ، وصار بامكانه ان يميز الغث من السمين والحق من الباطل .

لقد تهدم جدار الرعب القائم بينه وبين جيرانه العرب ، واكتشف اللبناني ان المسلم في الجزيرة العربية مثلا او في مصر او في العراق او في سورية او في الاردن ليس الا اخاً له ، يفتح له صدره ، ويقف الى جانبه ليشد ازره عندما تدعو الحاجة ، وان يفتح له فوق ذلك صدر بلاده يسرح فيها ويمرح ، ويشارك في خيراتها ويعمل على ازدهارها ويسهم في تطويرها وانهاضها . ولم يعد يرى فيـــه بالتالي غولاً يستعد لالتهامه كما تصوره الدعاية الاستعمارية ، ولم يعد يرى في جاره المسلم . جاره في بلده ؛ قبضة مهددة تهم بالانقضاض عليه في اية لحظة لتؤدي به ولتقضي عليه وعلى كيانه الوطني .

## لاحاجة لاثبات الاخوة :

اذا حاولت ان اعدد المواقف التاريخية والازمات التي مرت بهذا البلد واثبتت متانة الوحدة بين ابنائه ، وروح الاخوة بين طوائفه والتعاون المثمر بين عقائده اذا حاولت ذلك ، فانني لا استطيع احصاء تلك المواقف ، واذا اردت ان اعدّد المحاولات اليائسة الفاشلة التي لجأ اليها الاجنبي وما يزال ليجعل من الطائفية مرتكزاً له في بلادنـــا ، واذا اردت ان اعدّدها اعوزتني المجـــلدات ، لان للاستعمار في بلادنا كل يوم محاولة ، واعتقد انه قد آن للاستعمار ان يفهم ان المسيحية والاسلام كديانتين سماويتين ليس بينهما اي خلاف أو صراع ، فالركائز الاساسية التي تقوم

عليها احداهـــا هي الركائز الاساسية التي تقوم عليها الاخرى ، ان الجوهر واحد والمثل واحد والغاية واحدة .

وكما فوّتت وحدتنا بالماضي على المستعمر اغراضه واطماعه ، فان هذه الوحدة بالذات هي التي تفوت عليه اليوم ما يؤمل .

## وحدة الوطن :

لقد آمنا جميعاً بوحدة هذا الوطن ضد الخطر الاجنبي ، وضد الخطر الذي يجثم على صدرنا الجنوبية ... ضد اسرائيل التي تترقب الفرص السانحة لتنقضّ على هذا البلد الآمن وعلى غيره من البلدان العربيـة ، فتحقق احلامها في مُلك يشمل النيل والفرات ، وتحقق اغراض المستعمر كقاعدة استعمارية في قلب منطقة الشرق الاوسط قاعدة ينطلق منها الى دول المنطقة بأسرها ليتحكم في مصائر شعوبها ، ويمتص خيراتها ويستغل الطاقات الخيرة الكامنة في ارضها .

لقد آمنا بوحدة هذا الوطن كجزء من شعب عربي كبير ، تآلف فيه المسيحيون والمسلمون ، وربطتهم عرى اخوة عريقة عبر التاريخ ، وصهرتهم آلام واحدة ، وجمعهم ماض وتاريخ وحياة مشتركة ، ويجمعهم مستقبل واحد وآمال واحدة ومصير واحد .

آمنا بوحدة هذا الوطن ، بتآلف طوائفه ونحله من أجل غد زاهر آمن لابنائنا جميعاً ومستقبل مجيد لأجيالنا الطالعة .

ان التعايش السلمي بين المسيحيين والمسلمين في لبنان فضلا عن كونه واقعـــاً ملموساً منذ اقدم الأجيال ، وحقيقة لا ينكرها الا مكابر ، فانه ضرورة كينونة ، ضرورة من اجل المثل العليا التي نؤمن بها جميعاً ، من اجل الأهداف المشتركة التي نؤمن بها جميعاً وهي الطاقة التي تمنح هذا البلد قوة الاستمرار ، وهي الرئة التي يتنفس بها ويعيش . فاذا لم تكن وحدة اللبنانيين من أجل جميع هذه المثل فلتكن على الاقل من اجل بقاء لبنان واستمراره .

هذا هو منطق الواقع والتاريخ ، في ضرورة التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى في هذ البلد الحبيب . فهل آن لنا ان نسمع كلمة الدين الخالص ، كلمة التشريعات المذهبية الصرف ، كلمة الاسلام والمسيحية في إثبات هذا التعايش ، وتيسير اسبابه وإزالة كل العقبات ، التي يتوهم المغرضون والجاهلون ، انها تقوم في طريقه .

هذا صوت المسيحية الحبيب ، يطرق اسماع الدنيا كلها بترانيم المحبة ، ويجعل شعار اتباعه الرفق والرأفة ، وتثور آلام نبيه العظيم عليه السلام ، من اجل حمامة واحدة ؛ ويبسط كف الصفح للمسيء فضلا عن المحسن ، حين يقول : « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » .

ويشغل كل انسان بعيبه حتى لا يأخذه الغرور فيتطاول على غيره ولو كان جديراً بأن يتطاول عليه !

ثم ان هناك موقفاً لروح الله المسيح عليه السلام حين اراد بعض اصحابه ان يرجم امرأة زانية فقال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها » فكف الناس ايديهم عنها .

ان ديناً هذا شأنه مع الخصوم وجيران السوء لا يمكن ان يرضى لابنائه ان تضطرب معيشتهم مع اخوانهم واحبابهم المسلمين .

اما صوت الاسلام الخالص فهو حقيقة التعايش السلمي بذاتها ، وهو الضمانات الكفيلة بامتداد طريقة رحبة فسيحة معبدة ؛ لا تعرف العقبات ولا تعرف المشكلة حتى تُقدم لها العلاج فالاسلام يقرر الا إكراه في الدين ، والرسول العظيم يكرم اضيافه من نصارى الحبشة حتى يقوم بنفسه على خدمتهم وتقديم الطعام اليهم ، وعمر بن الخطاب تحضره الصلاة امام كنيسة القيامة فيخرج للصلاة بعيداً عنها رعاية لشعور النصارى وخشية ان يغلبهم عليها المسلمون وهم في اوج الظفر

والانتصار ، والقرآن الكريم يضع المعابد على اختلاف اديانها في مستوى واحد من الاحترام، ويبلغ من مجاملته للأديان السماوية ان يقدم معابدها على معابده في نسق الآية الكريمة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً » .

الا يحق لنا ان نقول ان الاسلام يتعصب لعقيدة المسيحية اكثر مما يتعصب لحماية اتباعه المسلمين؟ فهل لمكابر بعد ذلك كله ان يزعم ان اختلاف الدينين مانع من التعايش السلمي بين الطائفتين؟ .. « كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذباً »

واخيراً فلتنحن الرؤوس ولتخشع القلوب لصوت الوحدة الدينية والاخوة الاعتقادية بين الأديان السماوية جميعاً تنطلق به الآية الكريمة :

« شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » .

# افتحوا باب الاجتهاد

**محاولة متواضعة من اجل تطور فكري مرتقب نقدمها الى جميع العاملين في حقل الدعوة ؛ الذين نذروا انفسهم من اجل اعلاء كلمة الله .**

بعد وفاة الرسول ﷺ حمل اتباعه هدى الرسالة، وانطلقوا في ارض الله ينشرون عقيدتهم ويدعون لها، ويجابهون بها حضارات الامم القديمة ، وهي حضارات عريقة ثابتة الاصول سامقة الفروع ، وكان لا بد لهم من ان يواجهوا مشاكل جديدة لم يكونوا ليعرفونها في اطار مجتمعهم الصحراوي ، وان كان كتاب ربهم وسنة نبيهم قد احاطا بالكثير من القضايا الاجتماعية والتشريعية والحياتية ، التي قد يتعرض لها المجتمع الاسلامي . وكان لا بد لهم ، ازاء هذه المشاكل من ان يلجأوا الى كتاب الله ، فان وجدوا فيه الحكم فيما يريدون ، طبقوا نص القرآن وتمسكوا به ؛ وان لم يجدوه، اتجهوا الى سنة الرسول القولية والفعليه ، يلتمسون فيها الحل، فان لم يجدوه اجتهدوا بآرائهم وحكّموا افهامهم ، فيما يرونه اشبه بالمعروف من مقاصد الشريعة وقواعدها في اقامة العدل بين الناس وصيانة المجتمع . ومثلهم في ذلك مثل القاضي في العصور الحديثة ، يتمسك بالنص حين يجده ، فان لم يجد النص، استلهم وجدانه ومثل العدالة وروح النص .

## اجتهادات عمر :

وقد تميز صدر الاسلام باجتهادات جريئة لعمر بن الخطاب ، تجلت فيها عبقرية الخليفة العظيم ، وطاقته التشريعية الهائلة ، وثبتت بها مرونة التشريع الاسلامي وقابليته للتطور ، ولأن يكون مرتكزاً لكل تصعيدة حضارية في اي زمان ومكان .

ومن اجتهادات ابن الخطاب انه خالف ظاهر النص القرآني واستلهم روحه . ففي عام الرمادة ، وهو عام قحط ومجاعة ، ابى ان يطبق حد السرقة على السارقين مكتفياً بتعزيرهم . وسبب ذلك ، انه ادرك عظمة الدين وسماحة القرآن ، وايقن ان الدافع الذي دفع هؤلاء الى السرقة ، انما هو الضرورة . والضرورات كما نعلم نحن اليوم ، تبيح المحظورات ، خصوصاً حين يكون المرء في موقف تهدد فيه حياته وحياة من يحب . او ان اعتبر على الاقل ان في الامر شبهة عامة ، وانهم انما كانوا يسرقون عن ضرورة ، والحدود تدرأ بالشبهات . وهذه القاعدة الفقهية هي اليوم احدى مرتكزات التشريع الجزائي الحديث ، اذ ان الشك ، كما يقول هذا التشريع ، يفسر دائماً لمصلحة المتهم .

وهناك حادثة اخرى ، خالف بها عمر ظاهر النص ، فلقد ادرك هذا الخليفة العبقري ، ان الاحكام تتغير بتغير الازمان ، فمنح المؤلفة قلوبهم من سهامهم المفروضة لهم بنصوص القرآن ، وحين طلب اليه ان يعلل حكمه ، اطلق تعليله جريئاً صريحاً ، فهو يفهم ان الاسلام انما اعطى هؤلاء نصيباً في الغنائم اتقاء لشرهم ، يوم كان الاسلام طريء العود ضعيف الجانب . اما وقد قوي الاسلام وانبسط ظله ، ولم يعد يضيره ان تنقلب عليه فئة لا همّ لها الا اطماعها ؛ اما وقد تسامق بنيان الدين ، فلا حاجة له لاسترضاء هؤلاء وليصرف المال في وجوه اخرى تضمن خير المجتمع ومصالح العباد .

واليكم مثالا ثالثاً ، بل امثولة ثالثة ضربهـــا ابن الخطاب ، فاذا هي ثورة على الجمود ، جمود العقل على الحرف ، وجمود الذهنية عن العطاء .

لقد طالبه المجاهدون ان يطبـــق احكام القرآن فيوزع عليهم سواد العراق وارض مصر كما توزع الغنائم ، وقالوا ذلك حق لنا نص عليه كتاب الله وحمته سنة رسوله ، وقال عمر : لا لن افعل . وابقى الارضين لاهلها ، وطرح عليها ضريبة الخراج ، لان ذلك اصلح لاحيائها ولانها تضحي ، والحالة هذه مورداً نامياً يغذي بيت المال وينتفع به جميع ابناء الامة .

وانتهى عهد الصحابة ، وابتدأت عهود اخرى امتدت معهـــا ظلال الدولة الاسلامية ، فانتظمت خليطاً من الشعوب ، واظلت كثيراً من الامم ، وكانت هذه الامم ، مختلفة النظم ، متباينة العادات والتقاليد واللغـــات . وشعر المسلمون مرة اخرى ، انهم مدفوعون الى الاجتهاد دفعاً ، تقودهم اليه طبيعة الاوضاع الجديدة وضرورات الحياة الجديدة ، فنشطت الحركة الاجتهادية نشاطاً عظيمـــاً ، وظهر امثـــال ابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد ، الذين لم يكتفوا باستنباط الاحكام من حوادث واجهها عصرهم ومجتمعهم ، بل انهم استنبطوا الاحكام من قضايا تخيلوها او اعتبروها ممكنة الحدوث ، فاثروا بذلك الفقه الاسلامي ، واوجدوا ثروة تشريعية هائلة ، تعتبر بحق ، اعظم ارث تشريعي للمسلمين .

## شروط المجتهد :

وتجنباً لفوضى التشريع ، وضع الاقدمون شروطاً لا بد من توفرها في المجتهد ، منها : ان يكون عالماً بمواضع الآيات التي يريد الاستدلال بها ، وابواب الحديث ، وان يعرف الناسخ والمنسوخ في القرآن ، وان يكون ملماً بالاجماع ، فيعلم انه ليس في المسئلة التي يبحثها اجماع يناهض رأيه ، وان يكون فوق هذا وذاك ضليعاً بلغة العرب واسرارها .

## لا جمود ولا عجز في الاسلام :

ومرت العصور سراعاً ، واستفقنا نحن اليوم على مدهشات العلم ومعجزاته ، ومست الحاجة الى مواجهة المدنية الزاهرة ، باحكام جديدة تنسجم معها وتسايرها وتطلعنا نحن المسلمين الى مؤسساتنا الفقهية ، نلتمس عندها الحلول ، ونطلب اليها ان تدلي برأيها من زاوية الدين .

فماذا كانت النتيجة .

لقد وجدنا ويا للأسف ، ان عقليتنا التشريعية تسمرت حيث تركها الاقدمون ، وجمدت عند النصوص التي خلفوها . ومعنى ذلك ، اننا اعترفنا بتقصير العقل الحديث عن اللحاق بالعقل الغابر ، بل لم لا نقول : ان معنى ذلك كان الغاء كلياً لعقولنا وملكاتنا الفكرية ، حتى ظن الكثيرون خطأ ، ان هذا الجمود التشريعي انما هو نابع من طبيعة ديننا ، وان هذا الدين فشل في مسايرة التطور والانسجام مع المدنيات الحديثة .

ما أبرأ الدين الاسلامي ، ايها القارىء العزيز ، من تهمة التحجر والجمود ، هذه العلة التي اصيب بها رجاله ، فاتهم هو بها ظلماً وعدواناً ، وعن جهل بما فيه من طاقات عجيبة ، وطواعية قادرة ، ومرونة هائلة ، وزخم حضاري عظيم .

## حل واحد :

هؤلاء السادة ، الذين زعموا لانفسهم سدانة الدين ، هم الذين خلعوا على فقهنا ظلاً من الصنمية والقداسة ، ونسوا ان العقل المستنبط يجب الا يقف عند نصوص الفقهاء ، ما دامت ينابيع التشريع في الدين الاسلامي معروفة ، وما دامت هذه

الينابيع من التدفق وسخاء العطاء ، بحيث توزع الخصب والنماء ، وتعطي الحضارات مقومات البقاء .

هناك حل واحد ينفي عن الاسلام تهمة الجمود ، هذا الحل يقضي بان يفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، دون التفات لاولئك الذين اقاموا انفسهم حراساً على ارثنا الفقهي ، واعتبروه من مقدساتنا التي لا تمس . ثم ان على الذين يقولون بسد باب الاجتهاد ان يبينوا لنا الطريق الذي حصل بسبب الانسداد ، أهو التقليد ام الاجتهاد ؟ فان كان التقليد ، فاننا لم نسمع ان احداً من صحابة النبي ﷺ وتابعيهم قال به ، وان كان الاجتهاد ، فلماذا لايحق لمن بعدهم ان يجتهدوا هم يجتهدون .

ان بين رجالات المسلمين اليوم ، من اوتوا من الانطلاق الفكري ، وصدق الايمان ونير العقلية ، ما يمكنهم من استنباط الاحكام الجديدة المنسجمة مع روح العصر ، وما يساعدهم على ان يظهروا الاسلام بمظهره الصحيح ، من التقدمية وسعة الصدر .

ولعل من مفاخر الشيعة الامامية ان باب الاجتهاد ما يزال عندهم مفتوحاً ، بخلاف المشهور عند جمهور المسلمين .

## اين المجتمع التشريعي الاسلامي ؟

ولكم نتمنى الآن على رجالاتنا الغيورين على دينهم ان يتنادوا الى تأليف مجمع يتولى اعادة النظر بارثنا الفقهي كله ، وان يستنبطوا ويجتهدوا ، ويخرجوا الفقه الاسلامي من قوقعته .

ولكم نتمنى ايضاً على جامعة الدول العربية ، ان يتضافر اعضاؤها في سبيل هذه الغاية ، وان يعملوا جميعاً من اجلها ، فقد اجتهد الائمة الاربعة وغير الائمة الاربعة ، في زمن كانت الابل فيه هي معجزة الصحراء ، أفلا يحق لنا نحن ، ان

نجتهد في عصر الذرة والرادار والراديو والتلفزيون والاجرام الاصطناعية .

لقد اجتهد ائمة الاسلام في العصور الغابرة ، واعتمدوا في اجتهاداتهم على القرآن وهدى السنة وروح الدين ، ولم يجدوا حرجاً في ألا تتوافق اجتهاداتهم احياناً ، فلعقل كل منهم حرمته ، ولكل فقيه منهم وجهة نظره ، فكيف يحرم علينا ان نجتهد وان نعمل عقولنا ، وكتاب الله ما زال بين ايدينا وفي صدورنا وسنة رسولنا الاعظم ما فتئت هي النبراس ، وهي المشكاة التي تبدد الظلمات ، وتهدينا سواء السبيل .

ان التشريعات الوضعية الحديثة ، آمنت بالاجتهاد ، وقضت على محاذيره وفوضاه ، بتأليف محاكم عليا لتوحيد الاجتهادات ، حين تتضارب هذه الاجتهادات وتتنافر ، ولم لا نلجأ نحن بعد فتح باب الاجتهاد ، الى تأليف محكمة عليا ، توحد وجهات النظر وتقارب بينها ، وتخدم الاسلام كما يجب ان يخدم ، وتنقذه كتشريع اجتماعي خالد ، من تهم القصور والجمود وعدم الانسجام مع الوثبات التصاعدية للمدنية الحديثة .

ارجو ان يعيد الزمن دورته ، ويسترد الاجتهاد مكانته ، ويمنحنا الله قوته .

# الفهرس


| | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | ٥ |
| **الاسلام عبر العصور** | ٩ |
| رسالتنا ـ حقيقتان | ١٠ |
| الاسلام بين الشرق والغرب | ١١ |
| جرثومة الاستعمار ـ نظرة على الماضي ـ بداية المعجزة | ١٢ |
| حقوق الانسان | ١٣ |
| الاسلام والعقائد | ١٥ |
| المسلمون وأهل الكتاب ـ رأي مؤرخ غربي | ١٦ |
| جريمة الاستعمار | ١٧ |
| لا تعصب في الاسلام ـ الاسلام والمدنية | ١٨ |
| الانتصارات العلمية والعملية | ١٩ |
| ما هو سبب الوهن | ٢١ |
| اخبار الانحطاط ـ صور قاتمة | ٢٢ |
| درس من ملك رخج ـ عصور مظلمة | ٢٣ |
| الهوان العجيب ـ المرأة الجبارة | ٢٤ |
| عصر الدولة العثمانية ـ حاضر الاسلام | ٢٥ |
| انقاذ وقيادة | ٢٦ |
| الصراع المقدس ـ اننا متفائلون | ٢٧ |





obeikandl.com

الصفحة


| | |
|---|---|
| الاسلام والنظريات المادية | ٢٨ |
| العمال بنظر الاسلام ـ مثل رمزي | ٣٠ |
| الضمان الاجتماعي | ٣١ |
| كيف تتم عملية الانبعاث | ٣٢ |
| واجب المعبد والمهد والبيت | ٣٣ |
| المشكلة الواحدة | ٣٤ |
| متى ؟ | ٣٥ |
| **الحريات العامة في الاسلام** | ٣٧ |
| مشكلة الرق | ٣٨ |
| رأي مستشرق في الرق ـ التحرير لم يتم فعلا | ٤٠ |
| حرية الفكر والعقيدة | ٤١ |
| لا اكراه في الدين | ٤٢ |
| لا هوادة مع المتآمرين ـ هنات عابرة | ٤٣ |
| حرية الرأي والقول | ٤٤ |
| موقف عمري ـ موقف آخر | ٤٥ |
| موقف ثالث ـ النبي وحرية الرأي | ٤٦ |
| الحرية المقيدة ـ حرية الآخرين | ٤٧ |
| حرية المرأة | ٤٨ |
| حرية العمل | ٤٩ |
| حرياتنا في الميزان | ٥١ |
| **المجتمع المثالي :** | ٥٣ |
| معركة بين النظريات | ٥٣ |




obeikandl.com

الصفحة


السعادة ضالة البشر ٥٤
عمل الاسلام من اجل العدالة ــ معنى العدالة في رمضان ٥٦
دعائم المجتمع المثالي ــ تطهير داخلي ٥٨
اسس البناء الثلاثة : اولاها وحدة المنشأ.وثانيها وحدة القيمة ٦٠
وحدة المصير ٦١
المساواة المطلقة ٦٢
صور فذة من تطبيق مبدأ المساواة ٦٣
نظرة الاسلام الى الاديان ٦٤
الاسلام والانبياء ٦٥
قواعد العدالة الاجتماعية : ٦٦
١ ــ اعلان الاخوة بين ابناء المجتمع الاسلامي ٦٦
٢ ــ تشديد النكير على كل عمل يوهن الاخوة الاسلامية ٦٦
٣ ــ الترغيب في كل ما يجمع القلوب ويدعم الوحدة ٦٧
٤ ــ اعلان الاخوة الانسانية، واسقاط التفاضل بالانساب والمظاهر ٦٨
لفتات نبوية حول الاخوة الانسانية ــ العدل اساس الملك ٦٨
الناس امام العدل سواء ٧٠
العدل الاقتصادي توأم العدل الاجتماعي ٧١
عمر يحقق الضمان الاجتماعي ٧٢
لا استغلال ٧٣
حلقات التكافل الاجتماعي ٧٤
الدين والدنيا ــ اين هو المجتمع المثالي ٧٥
من حقنا ٧٦




obeikandl.com

الصفحة


**الديموقراطية المفقودة** ٧٩

ديموقراطية محمد ٨٠

ليسمع عظماء اليوم ٨٢

صفحة ناصعة ٨٣

امثولة رائعة ٨٤

اختيار الحكام ٨٥

محاسبة الولاة ٨٧

بين عمر وعامل حمص ٨٨

ديموقراطيتنا وديموقراطيتهم ٨٩

ماذا تفعل فرنسا ــ مجازر الجزائر ٩٠

فظائع مريعة ٩١

شاهد من اهله ٩٢

ماذا تفعل بريطانيا وماذا تفعل اميركا ٩٣

امثلة من ديموقراطية اميركا ٩٤

اللون المجرم ٩٥

لا وجود للديموقراطية ــ انبعاث الديموقراطية العربية ٩٦

**الاشتراكية الاسلامية :** ٩٧

الاشتراكية قبل ماركس ٩٨

الاسلام والرأسمالية ٩٩

تشابه نظام الوقف والنظام الاشتراكي ١٠٠

نظام الوراثة ١٠٠

الاسلام والربا ١٠١

الاسلام والاحتكار ١٠٢




obeikandl.com

الصفحة


الاسلام ومبدأ المصالح المرسلة ـ اي المصالح العامة ١٠٣
الاسلام ومبدأ شيوع الموارد العامة ١٠٣
الاسلام ومبدأ تحريم الترف والاسراف ١٠٤
الاسلام ومبدأ الكنز ١٠٥

**بين الاشتراكية والقومية** ١١١

تعريف الاشتراكية ١١٢
انظمة اشتراكية اخرى ١١٢
اهداف الاشتراكية ١١٣
الاشتراكية والمذاهب العنصرية ـ تعريف القومية ١١٤
القومية العربية ١١٦
هل تناقض القومية الاشتراكية ؟ ١١٨
الاشتراكية العربية ؟ ١١٩
النضال القومي العربي والاشتراكية ١٢٠
ميلاد القومية العربية ١٢٢
مراحل تكوين القومية ١٢٤
القومية العربية والاشتراكية ١٢٥
القومية العربية متحركة ١٢٨
الاشتراكية والنهضة العربية ١٢٩
الاشتراكية طريق القومية ١٢٩

**بين العروبة والاسلام :** ١٣٣

فترة حاسمة ١٣٥
بين العروبة والاسلام ١٣٥




obeikandl.com

الصفحة


| | |
|---|---|
| الاسلام للانسانية | ١٣٧ |
| العروبة : لا تخيف احداً | ١٣٨ |
| المساجد والصوامع في القرآن الكريم | ١٣٩ |
| الملوك المنحرفون ــ رسالة الاسلام وحقيقة القومية | ١٤٠ |
| حضارة العرب قبل الاسلام | ١٤٢ |
| الغساسنة وبنو تغلب ومملكة سبأ | ١٤٦ |
| المملكة الحيرية | ١٤٨ |
| حضارة اليمن | ١٤٩ |
| نهاية المطاف ــ موجات الاستعمار والبلاد العربية | ١٥٠ |
| ليعلم الاستعمار | ١٥١ |
| دور الاسلام في الوطن العربي | ١٥٢ |
| رسالة المواطن العربي | ١٥٤ |
| نداء ونصيحة | ١٥٥ |
| **المرأة والحرية** | ١٥٧ |
| المرأة الجاهلية | ١٥٨ |
| المرأة والشرائع القديمة ــ كيف تساوي المرأة الرجل | ١٥٩ |
| كره البنات ــ الحجاب | ١٦١ |
| تعدد الزوجات | ١٦٢ |
| انقاذ المرأة ــ معطيات الاسلام للمرأة | ١٦٣ |
| نساء مسلمات | ١٦٤ |
| المرأة ومجالس العلم | ١٦٥ |
| المرأة والقتال | ١٦٦ |
| اوضاع المرأة الحديثة ــ واجب الدول العربية | ١٦٧ |




obeikandl.com

الصفحة


ماذا نريد للمرأة ١٦٨
ميراث المرأة ١٦٩
وجهاً لوجه مع المتهجمين ١٧٠


## لبنان اخاء بين المسيحية والاسلام


التعايش تجسيد لحقيقة قديمة ١٧٣
تجربة الاستعمار في البلاد العربية ١٧٤
الطائفية سلاح الاستعمار ١٧٤
الدول الكبرى تتقاسم الطوائف ١٧٥
الهررة الثلاث ١٧٦
داء الطائفية ١٧٧
ارض العروبة مهبط الرسالتين ١٨٠
محاولة اخيرة فاشلة ١٨١
لا حاجة لاثبات الاخوة ١٨٣
وحدة الوطن ١٨٤


## افتحوا باب الاجتهاد ١٨٧


اجتهادات عمر ١٨٨
شروط المجتهد ١٨٩
لا جمود ولا عجز في الاسلام ــ حل واحد ١٩٠
اين المجتمع التشريعي الاسلامي ١٩١




obeikandl.com

تمّ طبع هذا الكتاب

عام ١٩٥٩

obeikandl.com